



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

القيم الكبرى في الإسلام

الجزء الأول

الطبعة الثانية
1447 هـ - 2025 م

إعداد
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

إعداد
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

الطبعة
الطبعة الأولى 1447 هـ - 2025 م

الترقيم الدولي
ISBN 9789948706410

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكافة طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي أو المسموع أو استخدامه حاسوبياً بكافة أنواع الاستخدام وغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من الناشر

+971 2 4999000 info@mbzuh.ac.ae www.mbzuh.ac.ae

mbzuh MBZ university for humanities

الْعِيمُ الْكُبْرَى فِي الْإِسْلَامِ

الجزء الأول





﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[البقرة: 129]

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: 151]





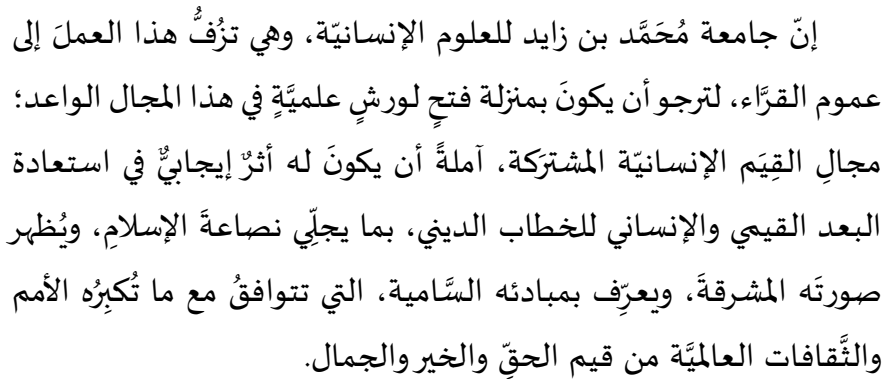
مَقْدَمَة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبيِّه الأُمِين؛ سيّدنا مُحَمَّد، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى كلّ من اهتدى بهديهم إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فيسعدُ جامعة مُحَمَّد بن زايد للعلوم الإنسانيّة أن تقدّم إلى المكتبة الإنسانيّة هذا الكتاب؛ الذي هو إحدى بواكير الأعمال العلميّة التي تسعى من خلالها إلى أداء رسالتها الثّقافيّة والحضاريّة، المتمثّلة في إبراز الصّورة الحضاريّة النَّاصعة للإسلام؛ المتأسّس على القِيَم، والهادف إلى تحقيق السّعادة للعالمين.

إنّه كتابٌ فريدٌ في موضوعه وأسلوبه ومنهجه؛ يتناولُ القِيَم الكبرى في الإسلام؛ انطلاقاً من مقارنةٍ تمتعُ من معين القرآن الكريم، والهدي النبوي العظيم، وتنهل من روافد المعارف الحكميّة والفلسفيّة؛ ليكون بذلك خيرَ ترجمان للرّؤية المنشودة في تحقيق التّكامل، ومدِّ جسور الوصل بين المعارف الدينيّة والإنسانيّة.

ولا شكَّ أنّ صدور هذا الكتاب سيُسهم - بمشيئة الله - في تيسير سُبُل التّواصل بين الثّقافات المعاصرة، الذي سيكون له عظيمُ الأثر في إيجاد تفاهمٍ عالميٍّ حول القِيَم المشتركة وتفعيلها؛ بما يحفظ الإنسان، ويستديم العمران.



• مقدمة العلامة عبد الله بن بيّه حفظه الله.

- الأسس النظرية للقيم، وفيها:

(1) مدخل إلى فهم القيم، ويشتمل على: تعريف القيم لغة واصطلاحاً.

(2) مفهوم القيم، وفلسفتها، وخصائصها، وأبعادها، وعناصرها.

(3) أهمية القيم للفرد والمجتمع.

(4) تصنيف القيم.

- **القيم المركزية الكبرى في الإسلام، وهي:**

(1) الرحمة: وأهم فروعها: الإحسان، والرفق، والعطاء، والرأفة والعطف، والتعاون والتضامن.

(2) السلام: وأهم فروعها: الكرامة الإنسانية، والأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش، والتواصل والتعارف والاحترام، والعدل والاعتدال.

(3) العلم: وأهم فروعها: الاجتهاد والتفكير والتفكير، والصدق، والأمانة العلمية.

(4) الحكمة: وأهم فروعها: التعقل والمنطق، والصبر والشكر، والإيجابية والأمل، والجمال.

(5) تهذيب النفس: وأهم فروعها: الإيمان، والعبادة، والقدوة، والحب.

(6) المواطنة: وأهم فروعها: الوطن، وإرث زايد، والانتماء والولاء، والمسؤولية.

وبين طياتها إشارات وإشارات إلى ما يندرج في كلّ منها من قيم فرعية: تعريفاً بها، وبياناً لسبل تمثّلها.

• الخاتمة.

سائلين الله تعالى أن ينفع به، ويكتب له القبول في السماء والأرض.

وبالله التوفيق



مقدمة العلامة عبد الله بن بيّه

رئيس المجلس العلمي الأعلى لجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية،
رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد النَّبِيِّ
الخاتم، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وبعد:

لقد حازت جامعتنا، جامعة مُحَمَّد بن زايد للعلوم الإنسانية، مِزَّةَ
الاسم وخصوصية المجال؛ فإنَّ الاسم الذي شُرُفَتْ بحمله ليس اسمَ علمٍ
من أعلام الأمة الكبار وقائداً حكيماً فحَسْبُ، بل هو عنوانٌ لرؤيةٍ وَطَنٍ
وروايةٍ أُمَّةٍ، رؤية الإمارات العربية المتحدة؛ القائمة على تقديم المقاربات
التَّواصلية، وتبَيُّ النَّمَاذج التَّعايشية.

إنَّ الطُّمُوح الذي أسَّس هذا الصَّرح المعرفيَّ الجديد متشَوِّفٌ إلى الإبداع،
ومؤكِّد على ضرورة الابتكار، فالمرجُو أن تكون جامعتنا منارةً للإشعاع العلميِّ
في المنطقة كُلِّها، وصرحاً معرفياً، وفضاء للبحث ومناراً للإشعاع والتَّفاعل
مع المجال الثَّقافي الرَّحَب من حولها، وأن تنتهز لمهمة تجديد الخطاب
الدِّيَنيِّ؛ باستعادة بُعده الإنساني، وأسلوبه الحواريّ، وتحيين مفاهيمه،
وتفعيل قِيَمِهِ؛ وَفَق ما استجدَّ من أحوالٍ، وطراً من مُتغيِّراتٍ.

ولعلَّ من أهِمِّ مداخل التَّجديد: استعادة المضمون القِيَميِّ الذي أصابه
ضمورٌ شديد، ووَصَلَ ما انفصلَ من علاقة الدِّين بالقِيَم، فلا بدَّ من خطابٍ
يجدِّد القِيَم في النُّفوس، خطابٍ تنساب في أوصاله روحٌ من الرَّحمة والمحبة
والنُّضامن؛ لتتنزَّل سكينته على القلوب.

إِنَّ الْقِيَمَ رُوحُ الدِّينِ، وَلِغَتُهُ الْكُونِيَّةُ، وَسَبِيلُ اسْتِعَادَتِهِ لِدَوْرِهِ الْإِجَابِي فِي إِرْشَادِ الْعَالَمِ وَإِسْعَادِهِ، وَاقْتِرَاحِ الْحُلُولِ؛ لَا سِيَّمًا فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْعَصَبِيَّةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الْإِنْسَانِيَّةُ.

في إطار هذا المسعى التَّجديديّ يدخل هذا الكتاب القَيِّم؛ الذي أرادت له الجامعة أن يكونَ فاتحةً خيرٍ لمشروعٍ علميٍّ كبيرٍ في هذا المجال الواعد؛ مجال البحث في القِيَم الإنسانيَّة المشتركة.

إِنَّ الْقِيَمَ فِي اللُّغَةِ هِيَ الشَّيْءُ الثَّمِينُ الَّذِي يَحْرَصُ الْإِنْسَانُ عَلَى اقْتِنَائِهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا الْمَعْنَى الْحَدِيثُ لِلْقِيَمِ فَهُوَ تَرْجُمَةٌ لِلْكَلِمَةِ (Valeur) بِالْفَرَنْسِيَّةِ أَوْ (Values) بِالْإِنْجَلِيزِيَّةِ، فَالْمُرَادُ مِنْهُ: مَا يَكُونُ مَعْيَارًا لِلخَيْرِ وَالْجَمَالِ وَالْحَقِّ، أَوْ مَا يَكُونُ مَرْجَعًا يَرْجَعُ إِلَيْهِ مَعْيَارًا أَخْلَاقِيًّا، لَكِنَّ مَعْنَى الْقِيَمِ فِي الْإِسْلَامِ رَبِّمَا يَكُونُ أَوْسَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَهِيَ تَعْنِي: الْفَضَائِلَ وَالْخِصَالَ الْحَمِيدَةَ، وَكُلَّ أَمْرٍ يَزَكِّيهِ الْعَقْلُ وَيَشْهَدُ لَهُ النُّقْلُ، فَالْقِيَمُ بِهَذَا الْمَعْنَى الْإِسْلَامِي تُرَادِفُ الْخِصَالَ وَالْخَلَالَ.

لقد اختلف العقلانيون من الفلاسفة في أصل القِيم بين قائل بالألّا فرقَ بين مجتمعٍ ومجتمعٍ في أصل القِيم، فما كان فاضلاً في الماضي؛ هو فاضلٌ نبيلٌ في الحاضر، وما كان فاضلاً في أوروبا؛ فهو فاضلٌ في الصين، وهذا مذهب "إيمانويل كانت - Emanuel Kant"¹، وبين قائلٍ بنسبتيها وخصوصيتها للإنجليزيّ "وايتهد - Whitehead"².

1 انظر: كانت، إيمانويل، *المبادئ الأساسية لميتافيزيقا الأخلاق*، (ترجمة: عبد الغفار مكاي)، مؤسسة هنداي، 2020، ص 40.

2 انظر: وايتيد، ألفريد نورث، مغامرات الأفكار، (ترجمة: أنيس زكي حسن)، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، ص 389 - 390.

ولعلَّ المذهب المطلق هو الذي تؤيِّده الرسالات السَّمَاوِيَّة وتقدِّمه أوعيةُ اللُّغة ومفاهيمُها، فـ"العدل" في كلِّ لغة وفي كلِّ مكان كلمة جميلة، وعندما ننطق كلمة "الوفاء" فإنَّها كلمة جميلة، وعند أهل الأديان، وبخاصَّة الإسلام، فإنَّ القِيَمَ إلهيَّة المنشأ، بشريَّة المنتهى، متفاوتة في المتعلَّقات طبقاً لظروف المجتمعات.

ومعنى كونها إلهيَّة المنشأ هو أنَّها تقوم على مبدأ أخلاقيٍّ روحيٍّ عميق؛ وهو وجوب التَّخَلُّق بأسماء الله الحسنى التي تصلح أن يقتدي بها العبادُ، ويتمثَّلوها في حياتهم، كاسمه: الغفور، والصَّبور، والرَّحيم، والكريم، والجميل، والرُّوف، والعدل، والحليم...، وما أشبه هذه الأسماء التي تكون بالنِّسبة للإنسان قِيَمًا إيجابيّةً تحكِّم حياته.

إن الله سبحانه وتعالى يضرب مثلاً للإنسان، وهو جلَّ وعلا له المثل الأعلى، ويُقدِّم له وسيلة للإيضاح عن طريق التَّشْبِيهِ والتَّشْبُّه، وهو سبحانه لا يشبهه شيء، ولكن مع ذلك لِيُرْغَبَ الإنسان في الفضائل ولِيُرَقَّى هِمَّتُهُ للخير، فهو رحمن رحيم، فعلى الإنسان أن يكون رحيماً، و"إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"¹، فالإنسان مدعوٌ للتَّخَلُّق بأخلاق الله تعالى التي يمكن له، ولو على سبيل المجاز، أن يتَّصف بها؛ ولذا ورد في الحديث في الدُّعاء في

1 مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق محمد ذهني أفندي، وإسماعيل الطرابلسي، وأحمد حصاري، وآخرون، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334هـ، رقم الحديث: 91، 93/1.

رمضان: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا"¹.

هذا المعنى الجميل هو الذي عبّر عنه المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، في حكمته الأصيلة ورؤيته الإيمانية حيث يقول: "التسامح واجب وإذا كان أعظمُ العظماء الخالقُ عز وجل يسامح، ونحن بشرُ خلقنا ما نسامح؟!"

وكذلك من مصادر القيم: التَّخَلُّقُ بأخلاق الأنبياء والمصلحين، ثم أعمال العقل البشري، وفي هذا الأصل يكون المشترك الإنساني، فالعقل أحسن الأشياء توزيعاً بين النَّاس كما يقول ديكارت.

ويذكر الباحث الفرنسيّ دوريان أستور وغيره أنّ الفيلسوف نيتشه، مع موقفه السّليبيّ من الأديان، كان شديد الإعجاب بمن يسمّهم المُشرّعين الكبار: موسى وعيسى ومُحمّد، بوصفهم القلّة الذين وضعوا للبشريّة قيمها. إنّ الإسلام يزكّي الفضيلة أيّما كان مصدرها أو مُصدِّرها، ومهما يكن منشؤها أو مُنشئها، كما يدلُّ على ذلك تزكية النَّبيِّ ﷺ لحلف الفضول الذي عقّده قبائلُ من العرب قبل الإسلام، وإنّما أتت خصوصيّته من كونه لم يؤسّس على ما هو معهود في ذلك العصر من المشترك الدينيّ أو الانتماء القبليّ أو العرقيّ، بل تأسّس على القيم والفضيلة.

1 الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة، (ت: 279هـ) سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، رقم الحديث: 3513، 534/5، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق عصام موسى هادي، دارالصدوق للنشر، السعودية، ط2، 1435هـ/2014م، رقم الحديث: 3850، 1265/2، وابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد الشيباني، (ت: 241هـ)، ابن حنبل، المسند، تحقيق أحمد معبد عبد الكريم، دار المنهاج، 1432هـ/2011م، رقم الحديث: 25384، 42/236.

لذا، فهناك قِيَمٌ أَزَلِيَّةٌ تُرَكِّمُهَا النُّبُوتُ وَالرِّسَالَاتُ، وتتلَقَّاهَا العقولُ بالقبول، منها قيمة الحياة، وقيمة الكرامة، وتلك المتعلقة بالكَلِّيَّاتِ الخمس: الدِّينَ وَالنَّفْسَ وَالْعَقْلَ وَالْعَرَضَ وَالْمَالِ، هذه القِيَمُ مشتركة تجب إعادتها في حياة النَّاسِ، وهي مبثوثة في كلِّ رسائل ودعوات الأنبياء، والإنسانيَّة كُلِّها اليوم محتاجة إليها حاجةً الفطيم إلى الحنوِّ والحنان والعطف؛ بعد أن أحال السُّفهاء والمجانين مجالات حركتها إلى حقول أُلغام؛ إنَّها قِيَمُ السِّلَمِ الثَّابِتَةُ التي لا تتغيَّر، والتي يَزَكِّيها العقل وتقتضيهما المصالح الإنسانية، وتصلح أساساً متيناً للعمل المشترك والالتقاء حولها.

فأهمُّ القِيَمِ المشتركة بين الأديان، بعد الإيمان بالله سبحانه وعبادته، هي إعلاءُ كرامة الإنسان واحترامه، فالبشر جميعاً، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ومعتقداتهم، كَرَّمَهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بنفخةٍ من روحه في أبيهم آدم عليه السَّلام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70].

ولهذا نجد أن القرآن الكريم يؤكد مبدأً أصيلاً نصَّت عليه الكتب السماوية السابقة؛ إذ يجعل قيمة كل نفس إنسانية بقيمة البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة: 32].

ونشأ عن قيمة الكرامة الإنسانية قيمة أخرى هي قيمة المسؤولية: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 36 - 39].

القِيَمَةُ الثَّالِثَةُ هي قيمة السَّلام، فالسَّلام اسمٌ من أسماء الله تعالى،

وقيمة تدعو الأديان أتباعها إليها، وفي القرآن الكريم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: 208]، ونجد هذه القيمة في نصوص الأديان
السَّماويَّة: فنقرأ في العهد القديم سفر مزامير داود: "جِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعْ
الْخَيْرَ. اطلُبِ السَّلام، وَاسْعَ وَرَآءَهُ"¹. وفي سفر الأمثال: "لُقْمَةُ يَابِسَةٍ وَمَعَهَا
سَلام، خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَلَانٍ مَعَ خِصَامٍ"². وكذلك في إنجيل يوحنا: "سَلاماً أَتْرُكُ
لَكُمْ. سَلامِي أُعْطِيكُمْ. لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبْ"³.

يقول الفيلسوف السَّويسريّ هانس كيونغ: "لا يمكن تحقيق السَّلام في
العالم من دون السَّلام بين أتباع الأديان".

ومن أهمِّ القيمِ قيمة الأمل، وهو ضد اليأس، في القرآن الكريم نقرأ
مقولة أبينا إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:
56]. ووصيَّة يعقوب لأبنائه: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ
اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

كما ترسَّخ الأديان المحبَّة بين النَّاس، ففي الحديث: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ
حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"⁴، فسَرَّها العلماء بأنَّ الأخوَّة الواردة في
هذا الحديث تشمل الأخوَّة في الإنسانيَّة.

1 سفر المزامير لداود، إصحاح، 33: 14.

2 سفر الأمثال لسليمان، إصحاح، 17: 1.

3 إنجيل يوحنا، 14: 27.

4 البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: 256هـ)، الجامع المسند الصحيح
المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق مجموعة من العلماء، المطبعة الكبرى
الأميرية، بولاق، مصر، 1311هـ، رقم الحديث: 13، 12/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم
الحديث: 45، 67/1.

لقد كان من نصيبنا في دولة الإمارات أن نعيش في بلد تأسس على القيم المستلهمة من قيم الدين الإسلامي والقيم الإنسانية المشتركة وقيم العرب في شجاعتهم وسماحتهم وإحسانهم إلى الغريب والقريب، وهذه القيم كلها تجسدت في الوالد المؤسس الشيخ زايد طيب الله ثراه؛ فلم تكن مجرد أقوال بل أفعال وتطبيق عملي.

لقد غرس الشيخ زايد (طيب الله ثراه) القيم الفاضلة النبيلة في شعبه وبلده؛ فصارت دولة الإمارات العربية المتحدة بلدًا يؤمن بالتفاؤل، ويبني سياساته على إيمان بأن الخير قادم بحمد الله، والمستحيل ممكن بعون الله تعالى.

بمثل هذه الرؤية تتخلص النفوس من اليأس، وتتجاوز الأزمات مهما اشتدت واحتدت. وبمثل هذه الرؤية استلهمنا التاريخ، ووصلنا إلى المَريخ.

إن أبناء الشيخ زايد وعيال الشيخ زايد يمثلون تلك القيم ويعملون في نطاقها، وبمقتضاها، وقد برزت القيم الإماراتية في أبهى صورة خلال أزمة كورونا؛ حيث شاهد العالم عملاً دؤوباً، وروحاً وثابة، وإنسانية وتضامناً.

وهكذا، فإنَّ قيمَ التَّعايش والتَّفاهم التي تقوم عليها الإمارات هي قيم موروثة وماثورة، هي القديم والجديد، والطريف والتَّليد.

فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ¹

فالنَّخْلُ هنا في دولة الإمارات غُرست في منابت القِيمِ والهِمَمِ.

وختامًا، أرجو أن يجد المطالع الكريم في هذا السِّفَرِ الْقَيِّمِ الفائدة
المرجوة والثمرة المنشودة، وأدعو الله أن يحفظ قيادتنا الرشيدة ووطننا
الحبيب، ويصلح أعمالنا ويكملها بالنَّجَاحِ والتَّوْفِيقِ.

والسَّلَامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

1 البيهقي لزهير ابن أبي سلمي، قاله في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوفٍ ومعناه: أن أصله الفرع وما يكون فيه من خيرٍ وكرمٍ إنما يأتيه من أصله وسلفه، انظر: ابن أبي سلمي، زهير، (ت: 609م)، ديوان زهير بن أبي سلمي، تحقيق علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1988م، ص 87.





الأسس النظرية للقيم

تعريف القيم:

أولاً- في اللغة:

القيَم: جمع قيمة¹، وكلمة "القيمة" أو "القيَم" تعود إلى الجذر "قَوَم"، الذي تتعدّد استخداماته ومعانيه في اللغة، ومن ذلك:

- الحُسْنُ: ومنه: خلق قَيِّمٌ، أي: حسنٌ².
- الديمومة والثبات والاستمرار: فالقيمة تطلق على الشيء الثابت المستمر³. و"قيمة: ثبات ودوام على الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: [البقرة: 255]، أي: الدائم الباقي"⁴، ويُقال: ما لفلان قيمةٌ، أي: ما له ثباتٌ ودوامٌ على الأمر⁵، وهو مجازٌ⁶، يُقال: قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به⁷.

1 ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ/1997م، (5 مج)، 43/5، (قوم).

2 الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني، (ت: 1205هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1385 - 1422هـ/1965 - 2001م، 319/33، (قوم).

3 ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م، (5 مج)، 125/4، (قوم).

4 عمر، أحمد مختار (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1429 هـ - 2008 م، 4 مج، 600/1.

5 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، القاهرة، ط 2، 1392هـ/1972م، 768/2.

6 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 312/33، (قَوَم).

7 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 125/4، (قوم).

• الاستقامة والاعتدال: قَوْمُ الْعُودِ فَاسْتَقَامَ، أَي: عَدَّلَهُ فَاعْتَدَلَ وَأَصْبَحَ مُسْتَقِيمًا¹. "وَأَمْرٌ قَيِّمٌ: أَي: مُسْتَقِيمٌ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ [البينة: 3]: أَي: مُسْتَقِيمَةٌ"². وَقَامَ الشَّيْءُ وَاسْتَقَامَ: اعْتَدَلَ وَاسْتَوَى، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: 30]، أَي: عَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَلَزِمُوا هُدَى نَبِيِّهِ ﷺ³.

• تقدير الشيء وتقييمه: وَهُوَ مَأْخُذٌ مِنْ قِيَمَةِ الشَّيْءِ وَثَمَنُهُ⁴، وَقِيَمَةُ الشَّيْءِ: قَدْرُهُ، وَكِتَابٌ قَيِّمٌ: ذُو قِيَمَةٍ⁵، فَالْقِيَمُ جَمْعُ قِيَمَةٍ، وَهِيَ مَا يَكُونُ بِهِ الشَّيْءُ ذَا ثَمَنٍ أَوْ فَائِدَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَلِيٍّ: "قِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا يَحْسُنُهُ"⁶.

• عماد الشيء: قِوَامُ الشَّيْءِ: مَلَكَهُ، وَعِمَادُهُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ، وَمِنْهُ: هَذَا قِوَامُ الدِّينِ وَالْحَقِّ: أَيِ بِهِ يَقُومُ⁷، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ عَائِيَّتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: 25]، أَي: قِيَامُهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ تُرَى⁸.

1 الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي، (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، 125/2، (قوم).

2 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 319/33، (قوم).

3 ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، 15 مج، 498/12، (قوم).

4 ابن منظور، لسان العرب، 500/12، (قوم)، وانظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 312/33، (قوم).

5 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 768/2.

6 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 423/34، (حسن).

7 ابن فارس، مقاييس اللغة، 43/5، (قوم).

8 الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الأمل، (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (د.ط)، (د.ت)، 482/18.

- حفظ الشيء، والقيام بأمره: ومنه (القيام) اسم من أسماء الله الحسنى، ومن معناه: القائم الحافظ لكل شيء، وقِيم القوم: سيدهم، الذي يقوم بشأنهم ويسوس أمرهم¹.

ثانيًا- في الاصطلاح:

يظهر من التعريف اللغوي أن مصطلح "القيمة" في أصل اللغة يتوافق في بعض الوجوه مع المعنى الاصطلاحي السائد والشائع اليوم عن القيم، فلكل وجه من هذه الوجوه اللغوية المتقدمة حظٌّ في معنى القِيم؛ فالقِيمُ تتَّصِفُ بالحُسْن، وبالثَّبُوتِ والدوام والاستمرار، والملتزم بها مستقيمٌ ومعتدلٌ، وهي ذاتُ قيمة ثمينة وغالية، وهي مكُون رئيس في السلوك والأخلاق، تقوم عليها، وتحفظها وتوجهها، ولكن هناك تعريفات اصطلاحية معاصرة حدَّثت معنى القيم، نختار منها أنها: مجموعة من المبادئ العليا والمثل المجردة؛ المتضمنة لعددٍ من السلوكيات والأخلاق، التي ترتقي بالأفراد والمجتمعات والأوطان، وتضمن العيش بسلام وطمأنينة².

ونظرًا إلى أن مفهوم القيم يدخل في مجالات العلوم الإنسانية كافة؛ فقد تنوّعت معانيه الاصطلاحية تبعًا للمجال والأساس النظري الذي ينطلق منه، فتعددت تعريفات العلماء والمتخصصين في العلوم الإنسانية في العصر الحديث، نذكر أهمها:

1 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 768/2.

2 انظر: خليفة، عبد اللطيف محمد، ارتقاء القيم - دراسة نفسية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001م، ص 29، 30، 35-، و زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، 1984م، ص 32.

• التعريف الفلسفي:

القيم من المباحث التي اهتمَّ بها كثير من الفلاسفة قديمًا وحديثًا؛ إذ يقسِّم الفلاسفة العلوم التي تبحثُ فيها الفلسفة إلى ثلاثة مباحث رئيسة، وهي:

1 - مبحث الوجود.

2 - مبحث المعرفة.

3 - مبحث القيم¹.

فتبحث الفلسفة في نشأة القيم وطبيعتها وماهيتها، وأصل القيم من حيث إطلاقها (إيمانويل كانت - Emanuel Kant)²، ونسبتيها زمنيًا ومكانيًا (وايتهد - Whitehead)³، والقيم من المفهومات الفلسفية التي كانت وما زالت إلى حدٍّ كبير محورًا لخلافات أساس بين المدارس والمذاهب الفلسفية المختلفة، فبينما يرى بعضهم في معنى القيم رأيًا ما، يرى آخرون رأيًا آخر يناقضه تمامًا، لذلك تعددت فيها الآراء، وتشعبت فيها المذاهب⁴.

1 انظر: الشيباني، محمد عمر التومي، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975م، ص 30-32، والمحيا، مساعد بن عبد الله، القيم في المسلسلات التلفازية (دراسة تحليلية وصفية مقارنة لعينة من المسلسلات التلفازية العربية)، دار العاصمة، الرياض، 1414هـ، ص 30، 31.

2 انظر: كانت، إيمانويل، المبادئ الأساسية لميتافيزيقا الأخلاق، ص 40.

3 انظر: وايتهد، ألفريد نورث، مغامرات الأفكار، ص 389 - 390.

4 انظر: المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، ص 31، وابن بيه، الموقع الرسمي، القيم المشتركة.

وتنقسم القيم عند الفلاسفة إلى ثلاثة أقسام كبرى، تنضوي تحتها شتى المعاني التي تضبط مسالك الإنسان في حياته، وهي: (الحق، والخير، والجمال)، وترى الفلسفة الطبيعية أن الأشياء ليست في ذاتها خيراً أو شراً، حقاً أو باطلاً....، إنما هي أحكام تصدرها على الموضوعات أو الأشياء نتيجة اتصالنا بها وتفاعلنا معها وسعينا إليها وتكوين رغباتنا واتجاهاتنا نحوها، بمعنى أن القيم هي نتاج عادات فكرية كونها حول الموضوعات أو الأشياء التي ترتبط عندنا بتلك القيم، فالقيمة -بناء على ذلك- هي: القرار الذي يُصدره الإنسان بالنسبة لأمر ما؛ بناء على دستور من المبادئ أو المعايير التي تميز بين هذه الجوانب القيمية الثلاث التي تضمها الخبرة الإنسانية¹.

• التعريف النفسي:

يتكافأ مفهوم القيمة عند "ماسلو" مع مفهوم الحاجة، ووصف الفيلسوف الأمريكي "موريس تشارلز - Morris Charles" القيم بأنها علم السلوك التفضيلي²، بمعنى أن أي سلوك يمثل تفضيلاً لمسلك على الآخر، والمسلك المختار هو الأحسن والأكثر قبولاً وأهمية في نظر الفرد، طبقاً لتقديره وإدراكه³.

1 انظر: المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، ص 31 - 38.

2 تشارلز وليام موريس، في كتابه أنواع القيم الإنسانية.
Charles William Morris, *Varieies of Human Value*, niversity of Chicago Press (1956).

3 دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، 1966م، ص 23 - 24.

• التعريف الاجتماعي:

عرّفها "روكيش - Rokeach" بأنها "اعتقاد دائم (ثابت) بأنَّ نمطاً معيناً من التصرفات أو النواتج القائمة تعد شخصياً أو اجتماعياً مفضلة على نمط آخر من التصرفات أو النواتج القائمة، وأنها تمثيلات معرفية لحاجات الفرد أو المجتمع، وأنَّ الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات"¹.

وعرّف الفيلسوف وعالم الاجتماع البولندي "فلوريان زنانيكى - Florian Znaniecki"، وعالم الاجتماع الأمريكي "ويليام توماس - William homas" في كتابهما (الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا) القيمة الاجتماعية بأنها "أي معنى ينطوي على مضمون واقعي، وتقبله جماعة اجتماعية معينة، كما أن لها معنى محدداً؛ حيث تصبح في ضوئه موضوعاً معيناً أو نشاطاً خاصاً"². وعُرفت القيمة الاجتماعية بأنها: "الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك"³.

1 انظر: مجلة القضايا الاجتماعية، "إحداث التغيير والاستقرار في نظم المعتقدات وهياكل الشخصية"، مج 41، ع 1، 1985، ص 153، والخلف، سعد بن إبراهيم، القيم، فلسفة الفهم ومنهجية البناء، دار الرواد للنشر، 1442 هـ - 2020 م، ص 30.

2 بيومي، محمد أحمد، علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 1990م، ص 146.

3 دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، ص 52.

• تعريف القيم في الإسلام:

بناء على ما تقدم من تعريفات يمكن القول: إن القيم في الإسلام هي مجموعة من المبادئ المستمدة والمستوحاة من النصوص القرآنية والنبوية، الواقعة تحت حكمها من التحسين والتقبيح، أو أحكامها من الأمر والنهي، والثواب والعقاب.

ومن سمات القيم التي أگدها الإسلام أنها:

• صافية المنشأ: فالقيم في الإسلام تستند إلى وحي السماء، وتسمو عن الاختلاف البشري.

• شاملة متكاملة: اشتملت على الجانب الروحي والجسدي، والنفسي والعقلي والعاطفي، الفردي والأسري والاجتماعي، المادي والمعنوي، الدنيوي والأخروي...

• عامة: تتحقق عموميتها في الخلق كلهم، على اختلاف الأزمنة والأمكنة والمجتمعات، فهي تخاطب الناس من دون استثناء، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

• واقعية: لا ترتبط بالمثالية التي لا يستطيعها إلا أظهر الناس وأنفاهم من الأنبياء والقديسين، ولا بالخيال الذي يعلو على الواقع المعيش وينحصر في فردوس التنظير، إنما هي ميسورة مقدورة، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 233]، راقية المطلب، واقعية التطبيق، تراعي الطاقة المتوسطة

والأداء المقدور لعموم الناس، تقدّر الضعف البشري، وتراعي الدوافع الإنسانية، والحاجات البشرية، والمؤثرات المادية، والظروف الطارئة.

• ثابتة: لا تتبدل ولا تتغير، ولا تختص بزمان دون زمن، ولا تقتصر على بعض المجتمعات دون بعض، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوجود البشري من دون تفريق ولا تمييز، متناسبة مع الطبيعة البشرية، منسجمة مع الفطرة السوية والمنطق الإنساني الصحيح؛ بحيث يلتزمها الإنسان عن رغبة حقيقية وإرادة صلبة، لا عن تكلفٍ مصطنع وتمثيل ظاهري.

• متوازنة: لا غلوفها ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، متوازنة بين الدنيا والآخرة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201]، وبين الحقوق والواجبات ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

• خيرة: ينعم بخيرها الفرد والمجتمع.

تحرير مصطلح القيمة والمصطلحات القريبة منه:

• الفرق بين الأخلاق والقيم:

تباينت وجهات نظر المفكرين والباحثين حول العلاقة بين القيم والأخلاق والفرق بينهما، ويمكن اختصار ذلك في النقاط الآتية:

1 - الأخلاق إحدى أنواع القيم.

2 - كل الأخلاق إلزامية، وبعض القيم اختيارية.

3 - القيم عالمية، والأخلاق مجتمعية ودينية.

• الفرق بين المبادئ والقيم:

المبادئ هي القواعد التي تصوغ مجالاتها وتحكمها، فهي قوالب فكرية، تطوّرت بتراكم الخبرة، ومصادرها متنوعة: (الدين، التربية، العادات، القناعات الشخصية، الخبرة...)، وهي تشكل النظرة الكلية للحياة، وتعمل على تفسير الواقع وإكسابه معنى، كما تتدخل في صياغة القيم وترتيبها¹. أما القيم فتستند إلى هذه المبادئ المستمدة والمستوحاة من مصادر متنوعة، وتتأثر بها صياغة وترتيبًا.

1 انظر: الخلف، سعد بن إبراهيم، القيم، فلسفة الفهم ومنهجية البناء، ص32 وما بعدها.

مفهوم القيم وفلسفتها وخصائصها

لا تخفى على ذي عقل أهمية القيم وعِظَم دورها في بناء الإنسان وتكوين المجتمعات بمختلف ثقافات وأعرافها، وفي إطار هذه الأهمية الكبيرة للقيم نحاول هنا أن نوضح مفهوم القيم؛ ببيان طبيعتها، وخصائصها، وتصنيفها، وأهميتها للفرد والمجتمع.

طبيعة القيم:

القيم من المباحث التي اهتمَّ بها كثيرٌ من الفلاسفة قديماً وحديثاً، وهي من المفهومات الفلسفية التي كانت -وما زالت- إلى حدٍّ كبير محوِّراً لخلافات أساسية بين المدارس والمذاهب الفلسفية المختلفة، وسنحاول الوقوف على طبيعتها وخصائصها من خلال بعض الأسئلة الخلافية حول ذلك:

1. هل القيم ذاتية أم موضوعية؟

عدَّ الفيلسوف الألماني "ماكس شيلر - Max Scheler" القيم أولَّيةً قبليةً وموضوعيةً وثابتةً، وخالفه في ذلك كثير من الفلاسفة المعاصرين، من أشهرهم: فيلسوف الأخلاق الأسترالي "جون لسلي مكي John Leslie Mackie" (1917-1981م) في كتابه: "الأخلاق: ابتداء الصواب والخطأ"؛ حيثُ عقد فيه فصلاً بعنوان: "ذاتية القيم"، نفى فيه وجودَ قيم "موضوعية"؛ لما يمكن أن يؤوّل إليه القولُ بذلك من تنميط القيم، وإضفاء الطابع المعياري

على نماذج منها، وفي ذلك تحكّم فيها، وتهديد للأخلاق وكلّ شيء يُعدّ قيمة أو ذا أهمية¹. فالقيم عنده نسبية أو ذاتيّة، على اختلاف ترتيبها في سلّم الأهميّة، بدءًا بمفهوم "الخير الأخلاقي" وانتهاءً بكل ما يتعلق به من المفاهيم؛ سواء أكانت موافقةً له أم مخالفة².

وهو يرى أنّ الخلاف في طبيعة القيم بين "الموضوعيّة" و"الذاتية" إنّما هو خلافٌ لفظيٌّ؛ إذ إنّ كلا المذهبين يُصدر أحكامه التقويميّة على الأفعال الإنسانية بناءً على "تجربة ذاتية"، قد تكون "حدسًا أخلاقيًا" عند الموضوعيين، أو "موقفًا شخصيًا" عند الذاتيين.

إذن، فإنّما هي "معركة كلمات، قولُ الشّيء عينه، لكن بالفاظ مختلفة"³.

2. هل القيم ساكنة أم تقبل التبدّل والتغيّر؟

يجيب فيلسوف الأخلاق "ريتشارد ميرفين هير - Richard Mervyn Hare" عن هذا التساؤل؛ منطلقًا من تحديد منشأ القيم في مصدرين: الرغبات الذاتيّة، والتقاليد المجتمعية.

ولما كانت التقاليد المجتمعية - عادةً - ممّا يُرغّب في اتّباعه؛ صحّ أن يقال: إن للقيم مصدرًا وحيدًا مشتركًا هو الرغبات الذاتيّة؛ إذ قولنا عن

1 Mackie, John Leslie, *Ethics : Inventing Right and Wrong*, Viking Press, 1977, p. 14.

2 Ibid, p. 21.

3 Ibid, p. 319.

شيءٍ إنَّه "مهم" لدينا معناه أننا اتَّخذناه "موضوعًا" لاهتمامنا الشَّخصيِّ، ولا يكفيننا في ذلك أن يكون محل اهتمام الآخرين فحسب، مهما بلغ حرصنا على تقليدهم واتباعهم!

ويمثل "هير" لذلك بمثابة من مجال الجماليات؛ حيثُ تظهر الفوارق بين ما يستحسنه جيل الآباء من ألوان الموسيقى وبين ما يُؤثِّرُه جيل الأبناء؛ إذ لا يكون تقليد الآباء في ذلك الاستحسان إلا تظاهراً؛ لإشباع رغبة تقليدهم والتشبُّه بهم.

ومن أقوى الدلائل على قابلية القيم للتغيُّر في نظر "هير" ما جرت به العادة من تغيُّر قيم الأسلاف عن الأجيال اللاحقة، ممثلاً لذلك بمعيار الشرف؛ الذي تحصره الأجيال الماضية في الشجاعة والمبادرة إلى خوض غمار الحروب، وتعدّ الإحجام عن ذلك وصمة عار على جبين من لم يُقدم عليه، لكنَّ الأجيال المعاصرة - حسب "هير" - تؤثر السلام، وتعد ترك الاعتراض على ذلك الإقدام وما يترتب عليه من مجازر عاراً أكبر.

فيمثل هذه الردود المتعاقبة، للأجيال اللاحقة على السابقة، تغيُّر القيم المشتركة كما يقول "هير"¹.

3. هل القيم واحدة أم متعددة؟

يرى الفيلسوف والمؤرخ الروسي البريطاني "أشعيا برلين - Isaianh Berlin" (1909-1997م) أنَّ القيم بطبيعتها متعدّدة، وذلك لما تتسم به من

1 Mackie, *Ethics*, p. 309-310.

نسبية، نتجت عن الصبغة الذاتية لها؛ فاعتبارُ الاختلاف في القيم منحصرًا في مفهوم الاختيار - على رأي "هير" - دون أن يتعداه إلى الخلق والإنشاء والإبداع؛ معناه نفي الفاعلية والحرية عن الإنسان.

والحق - في نظر أشعيا برلين - أنّ الاختيار بين أسى القيم إنما ينتج عن مقولات أخلاقية ومفاهيم جوهرية تنشأ عند الإنسان من رؤيته للعالم، ومن تصوّره لهويته التي تجعل منه إنسانًا¹.

وحتمية الاختيار تفرضها طبيعة تصارع القيم؛ لأنّه لا يمكن تصوّر عالم تتواءم فيه القيم الجوهرية التي تحكم حياة النّاس في مختلف مجالاتها، فلا يمكن - مثلاً - أن تتواءم الحرية التامة مع المساواة التامة، ولا يمكن أن يتلاءم العدل مع السماح، ولا أن تتوافق المعرفة مع السعادة، فتحقيق الانسجام بين هذه الثنائيات القيمة المتضادة أمرٌ بالغ غاية الصّعوبة في مستويي النظر والتنزيل².

ولذلك؛ لا بد من الاختيار فيما بين القيم الإنسانية الجوهرية التي تُعدّ غايات في ذاتها، على ما في ذلك من صعوبة وعُسْر؛ إذ لا يمكن تصوّر وجود العالم إلا بتجرّع مرارة ذلك الاختيار وتحمل تبعاته، فتحتاج البشرية إلى إيجاد نظام قيميّ متّسم بالتعددية، قابل أن يتكيّف مع القناعات الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية المختلفة؛ بحيث لا يجد فيه أي منها مناقضة لقناعاته الأخلاقية الأكثر عمقًا والأقوى رسوخًا في نظره³.

1 Berlin, Isaiah et Jahanbegloo Ramin, *En toutes libertés*, traduit de l'anglais par Gérard Lorimy, Éditions Le Félin, Paris, 2006, p. 217-218.

2 Ibid, p. 173-174.

3 Ibid, p. 173.

إن تفهّم اختلاف الثقافات وتعدّد القيم - حسب "إشعيا برلين" - لا يتنافى مع الانتماء إلى غيرها، ولا ينعدم هذا التفهّم إلّا كان سبباً في التّطرف؛ إذ لا معنى لانعدامه إلا الإيمان بقيمٍ مطلقة واجبة الاحترام، لا تجوز مخالفتها بحال من الأحوال¹، وذلك أعظم أسباب التطرف وما ينشأ عنه من إراقة الدماء.

وقد كانت بين "إشعيا برلين" وصديقه الفيلسوف "ليو شتراوس - Leo Srauss" مناقشات حول القيم بين النسبية والإطلاق؛ إذ يحكي "إشعيا" أن صديقه "ليو" حاول مراراً أن يحمله على ما يؤمن به هو وتلاميذه من وجود قيم أزليّة مطلقة، ومعتزّف بها من قبل جميع الناس، في جميع الأزمنة والأمكنة، قيّم تُدرّك بعين ميتافيزيقية، وبمملكة عقلية أفلاطونية، وتمثل الحياة الفضلى للإنسان، يدركها القديسون والفلاسفة، لكنّ "إشعيا" يعتذر بأنه لا يملك الامتياز بذلك الإدراك! ولا يتوقّع على ذلك النوع من العقل الذي يُجيبُ المركزية للحياة بإجابات قطعيّة لا يأتيها الباطل²!

4. هل القيم عامة ومشتركة؟

إن اشتراك القيم الخاصة بمجتمعات معيّنة والتي مرّدها إلى العرف والعادة أو الدّين، أمرٌ لا شك فيه، ولكن القيم العامة المشتركة بين الناس كلّهم هي أمر تردّد فيه الفلاسفة، واختلفوا فيه اختلافاً شديداً وذهبوا فيه

1 Berlin, et Ramin, *En toutes libertés*, p. 134-135.

2 Ibid, p. 136.

مذاهب، فكانوا طرائق قدداً من اقتصاديين واجتماعيين ونفعيين ومثاليين. فالفلاسفة لم يكونوا متفقين على وجود قيم مشتركة، فمنهم من يقول بالنسبية - مثل: "وايتهيد - Whitehead" -، أي: إن القيمة نسبية ولا توجد قيم عامة؛ لانعدام وجود مفاهيم تنظيمية معينة مضبوطة ضبطاً كافياً لإيضاح تفاصيل السلوك لكل الكائنات العاقلة على الأرض. ومنهم من يقول بعموم القيم؛ بغض النظر عن دوافعه - مثل: "هنترميد - Huner Mead" -، ويرى أنه لا يوجد إلا معيار واحد أو في حالة الأخلاق قانون واحد هو الصحيح منذ الأزل، وهو الذي يسري على البشر أجمعين، هذا المعيار لا يسري على نحو عالمي شامل فحسب، بل إنه أيضاً مستقل عن العصر، وعن الموقع الجغرافي، والتقاليد الاجتماعية المألوفة، والعرف القانوني وكل شيء آخر؛ فالخير والحق شامل يسري على كل زمان ومكان.

أما في الإسلام فكل التصورات الفكرية تشير إلى أساس مشترك للقيم بين الناس، فقد قرر الإسلام مبدأ المساواة المطلقة بينهم وردهم إلى أصل واحد؛ لأن ربهم واحد وأباهم واحد، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، وقال ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِي، وَلَا لِعَجَمِي عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالْتَقْوَى"¹. ورسالة النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ هي للناس كافة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]،

1 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 23489، 474/38.

والنزعة إلى الخير والإيمان والحق فطرة لكل الناس، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: 30].

إن من البدهي أنه توجد قيم مشتركة وأن العقل الذي هو أحسن الأشياء توزيعاً بين الناس - كما يقول "ديكارت - Descartes" - واللغة هما خير برهان على ذلك؛ فكل عقل وكل لغة يعتبر فيها "العدل" كلمة نبيلة حبيبة على النفوس، وكلمة "الصدق"، وكلمة "التسامح"، و"الوفاء"... وغيرها من الألفاظ المحمودة عند كل الأقوام. وفيها نقيض تلك الألفاظ؛ وهو مذموم لا يقبله أحد، مثل "الجور"، "الظلم"، "الكذب"، ولو قلت لأشد الناس جوراً: إنه جائر، لسخط من ذلك وأحب أن يوصف بالعدل؛ حتى الكذاب لا يريد أن يوصف بذلك، ومثله: "التعصّب"، "الخيانة"، "الغدر"...، إنها صفات مذمومة كريمة إلى النفوس ممقوتة من جميع الأقوام، الفطرة والعقل يمجانها في كل زمان ومكان¹.

5. هل من شأن القيم أن تتعايش أم تتصارع؟

آمن عالم الاجتماع الألماني الشهير "ماكس فيبر - Maximilian Weber" (1864-1920م) بمثل ما آمن به "إشعيا برلين" من نسبية القيم وتعددتها، فالمجتمعات تختلف في تصوراتها لمبادئ قيم الحق والخير والجمال... اختلافاً يمنعها من الانتظام حسب أهميتها في سلم تراتبٍ متفق عليه، داعياً إلى أن يلتزم الباحث الحياد فلا ينتصر لقيمة على أخرى.

1 انظر: ابن بيه، الموقع الرسمي، القيم المشتركة.

وعلاقات التواصل بين البشر - على اختلاف ثقافتهم - ما كانت لتوجد لولا إيمانهم بوجود القيم، وتفعيلهم لما يعدونه منها مشتركاً بينهم.

6. هل القيم كونية أم خصوصية؟

تعالّت نداءاتُ الخصوصية أمام زحف العولمة خلال العقدين الماضيين في صفوف مختلف الأمم والقوميات، وقد أثر ذلك تأثيراً سلبياً على العلاقات البينية التي كانت تربط مختلف تلك الأمم والقوميات؛ إذ كانت تلك النداءات بمنزلة إعلان لانحسار الاهتمام بالمشترك الإنساني. ذلك الاهتمام الذي نجد في تراثنا الثقافي ما يشهد له بالعراقة والتأصل، كقول أبي حيان التوحيدي (ت: 414 هـ - 1023 م) متحدّثاً عن السمات الحضارية للأمم المختلفة: "لكل أمة فضائل وورائل، ولكل قوم محاسن ومساوئ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلّها وعقدّها كمال وتقصير؛ وهذا يقضي بأنّ الخيرات والفضائل والشُّرور والنقائص مفاضة على جميع الخلق، مفضوضة بين كلهم"¹.

وقول شيخه أبي سليمان السجستاني المنطقي (ت: 380 هـ): "اشتركت الأمم في جميع الخيرات والشُّرور، وفي جميع المعاني والأمور اشتراكاً أتى على أول التفاوت ووسطه وآخره، ثم استبدّت كل أمة بقوالب ليست لأختها، واشتراكهم فيها كالأصول، واستبدادهم كالفروع، وفيما اشتركوا فيه المحمود والمذموم"².

1 التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت: نحو 400 هـ)، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، 1424 هـ، ص 71، 72.

2 السابق، ص 147.

وهذا الرأي المنصف - حسب التوحيدي - لا يرتقي إلى إدراكه والعمل بمقتضاه إلا "من كان صحيح البنية، بريئاً من الآفة، متنزهً عن الهوى والعصبية، محباً للإنصاف في الخصومة، متحريراً للحق في الحكومة، غير مُسْتَرْقٍ بالتقليد، ولا مخدوع بالإلف، ولا مسخر بالعادة"¹، مؤمناً بأن: "الأمم كلها شركاء في العقول، وإن اختلفوا في اللغات"²، وبأن: "الحكمة مشاعة بين الخلق، لا تنسب إلى جيل، ولا تقف على قبيل، وإنما حظوظ الخلق فيها على قدر مشاربهم منها"³. ولعل أبو حيان لو أدرك زماننا هذا لكتب: "والأمم كلها مشتركة في القيم".

ومن الفلاسفة المعاصرين الذين يؤمنون بما آمن به التوحيدي من وجود القيم المشتركة، وضرورة الدّعوة إلى تفعيلها: الفيلسوف "إشعيا برلين"، الذي لاحظ - مع إيمانه بنسبية القيم كما تقدم - أن مفاهيم الخير والشر لم تغب قطّ عن أيّة ثقافة بشريّة، إمّا وعياً نظرياً بها، وإما تطبيقاً عملياً لمقتضياتها في مستويي السلوك والمواقف، ويرى "إشعيا" أن حقوق الإنسان ليست إلا قيماً تهّم النّاس جميعاً بوصف الإنسانية، لا باعتبار انتماءاتهم العرقية أو القومية أو الدّينيّة أو غيرها⁴، على ما بينهم من تفاوت في تصوّر تلك القيم، وأنّه لا سبيل إلى التفاهم الضّامن للتسامح بينهم إلا

1 التوحيدي، الإمتناع والمؤانسة، ص 74.

2 أبو حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت: نحو 400هـ)، البصائر والذخائر، تحقيق دوداد القاضي، دار صادر - بيروت، 1408هـ - 1988م، مج 10، ص 228/1.

3 السابق، 163/2.

4 Berlin, et Ramin, *En oues liberés*, p. 60- 61.

بتفهم الظروف التي أدّت بكل منهم إلى تكوين نظرتهم إلى تلك القيم من حيثُ التّصوّر والتنزيل¹.

وقد وافق فيلسوفُ التّأويل "بول ريكور - Paul Ricœur (1913 - 2005م) ما ذهب إليه "إشعيا" من التمثيل لمشارك القيم بحقوق الإنسان؛ إذ لاحظ أن تواطؤ الأمم والمجتمعات والثقافات الإنسانية المختلفة على حاجة الكائن البشري إلى تلك الحقوق لا شيء زائد على طبيعته البشرية؛ أوضح دليل على إمكان التوافق على القيم المشتركة.

خصائص القيم:

تتميز القيم بعدد من السمات والخصائص، بيّنها في الآتي:

1. الوجود والقيام:

فلا يمكن أن تنعدم القيم أو تنكّر، ولا مجالاً للمجادلة في ثبوتها أو إثباتها؛ إذ لا تخلو منها لحظة في حياة الإنسان، تعكسها عبارته في مدح الأشخاص ذوي الفضائل والمكرّمات، وتُجَلِّمها كلماته في الثناء على ذوي المواهب والقدرات، وتُظهرها جُمل الإعجاب ببديع وعذب الألحان والمعزوفات، وفي كلّ شيء يستحسنه الإنسان دليلٌ على وجود القيم وثبوتها في عالمه المعيش، ومثل ذلك ما يستهجنه ولا يرتضيه من الأقوال والآراء والأخلاق، وما يُظهر فضله على غيره - من مثيل أو قسيم - في مقام المقارنة والمفاضلة، كلّ ذلك شاهد أن للقيم وجوداً ضرورياً يُغني عن تكلف إثباتها بمسالك النظر والاستدلال!

1 Berlin, et Ramin , *En toutes libertés*, p. 85.

2. الثبات والاستمرارية:

فالقيم - من حيث الأصل - أصول وثوابت، لا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان أو الأشخاص؛ لأنها تمثل الأسس الأخلاقية والروحية للمجتمعات.

وربما كان ذلك في القيم الأصلية العامة لا الفرعية أو الذاتية، فإن كانت القيم ذاتية ارتبطت بالفرد ارتباطاً وثيقاً يجعلها تتأثر به من حيث المعتقدات والاهتمامات والأمزجة والميول والرغبات... فتؤثر فيه تأثيراً ينعكس على أفكاره ومواقفه وتوجهاته، وما هذا الاختلاف الملاحظ بين الناس في ذلك إلا بسبب اختلاف هذه القيم الذاتية الفرعية.

وكما تختلف القيم الفرعية باختلاف الأفراد؛ قد تختلف - كذلك - باختلاف الأزمنة والأمكنة والأجيال، وتقدم قول "هير" في ذلك ومثل له بمثال من مجال الجماليات؛ حيث تظهر الفوارق بين ما يستحسنه جيل الآباء من ألوان الموسيقى وبين ما يؤثره جيل الأبناء، وكذلك تتغير بعض المفاهيم بتغير العالم وتطوره ونضجه الإنساني، وهذا من أقوى الدلائل على قابلية القيم للتغير في نظر "هير" كما تقدم، ولعلنا نوافقه في وقوع التغير في القيم الفرعية والذاتية دون الأصلية والمركزية والجماعية، التي لها أساس مشترك بين الناس جميعهم، تكون نبيلة محببة إلى النفوس، منسجمة مع الفطر والعقول على اختلاف المجتمعات وامتداد الجغرافيا وتعاقب التاريخ، وتكون أضدادها كريهة إلى النفوس مذمومة ممقوتة من جميع الأقوام، تمجُّها الفطرة والعقل في كل زمان ومكان؛ كما تقدم من قول ابن بيه حفظه الله¹.

1 انظر: ابن بيه، الموقع الرسمي، القيم المشتركة.

3. الفطرية:

فالقيم تنبثق من الفطرة الإنسانية، وتنشأ مع الإنسان منذ طفولته، ومما يدل على فطريتها: الرغبة الذاتية للإنسان في تمثل الأخلاق العالية، والسعي نحو السلوكيات الحسنة، كالتعاطف، والتعاون، والعدالة...، وهذه النقطة المتعلقة بمنشأ القيم مختلف فيها بين الفلاسفة كما تقدم، تصدق على كثير من القيم، ولا تصدق على غيرها من القيم الفرعية المكتسبة؛ التي تخضع لمبادئ التعلم وقوانينه وآلياته واستراتيجياته.

كما تشترك القيم ببعض الخصائص التي سبق ذكرها في خصائص القيم في الإسلام، نحو:

1. الشمول والتكامل:

فالقيم منظومة متكاملة، تشمل الجوانب الروحية والمعرفية والعملية للإنسان، وتستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، في تكامل بين جميع المجالات؛ الاجتماعية والاقتصادية والوطنية، وغيرها.

2. الواقعية والمرونة:

فالقيم تتسق مع إمكانيات الإنسان، وتتناغم مع قدراته، كما أنها -مع ما تتسم به من ثبات-؛ على درجة عالية من المرونة، والقدرة على التكيف مع البيئات المختلفة، مما يسمح بتنزيلها في كل بيئة وفق طرق واقعية وفعالة، وذلك يسهم في فهم اختلاف منظومات القيم بين المجتمعات والثقافات، ويعين على تقبل الآخرين، والتكامل معهم، والاستفادة من قيمهم وإفادتهم.



أبعاد القيمة وعناصرها

تتفق أغلبية الدراسات على أن القيمة بجميع أنواعها تتكون من ثلاثة أبعاد ترتبط بعلاقات تفاعلية مستمرة ومتداخلة¹، وهذه الأبعاد هي:

- (1) المعرفة (الإدراك).
- (2) الانفعال (الوجدان).
- (3) السلوك.

1 انظر: الخلف، سعد بن إبراهيم، القيم، فلسفة الفهم ومنهجية البناء، ص68.

أهمية القيم للفرد والمجتمع

زرعُ القيم وتربيتها في النفوس قديمٌ قَدَمَ البشرُ أنفسهم، ونقلُ القيم من جيل إلى جيل يعدُّ جزءًا من حياة الإنسان، ويقع موضوع القيم ضمنَ اهتمام كثيرٍ من التخصصات العلمية؛ كالفلسفة، والدين، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وغيرها، وهي قضيةٌ كبرى تواجهها التربية المعاصرة في كل مجالاتها، وتُناقشُ على المستوى الوطني والإقليمي والعالمي، دافعة مخرجاتها للاهتمام بمنظومة القيم وإعادة تثبيتها عند الإنسان المعاصر. وفي هذا السياق نتناول هنا أهمية القيم على مستوى الفرد، والمجتمع:

أهمية القيم للفرد:

تتضح أهمية القيم للفرد بالأمور الآتية:

1. القيمُ جوهرُ الكيان الإنساني:

ميز الله تعالى الإنسان بالعقل، الذي يعمل على تحديد الخيارات وفقًا للمنظومة القيمية التي تشكل منبع السلوك وخلفية القرارات والمواقف، وبذلك يلتزم ما يحفظ له وجوده وإنسانيته ومنزلته، ولو لم تستند خياراته وأقواله وأفعاله إلى هذا المخزون القيمي لفقد إنسانيته، وسيطرت عليه أهوائه وقادته مصالحه وغرائزه، فأنحرف عن مساره، وفقد بذلك أهم مِيزة مَيَّزَهُ الله تعالى بها عن سائر المخلوقات.

- 47 -

1. القيم صمام أمان المجتمعات:

تحصّنها من السلوكات الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة، وتحفظ لها سلامتها وقوتها بقوة ثبات القيم والمثل التي تسود فيها، وهل يقوم الأمن في المجتمعات بغير منظومة قيمية تحمله؛ تتكون من الأمانة والعدل والرحمة والاعتدال...؟ وهل يعالج الكره التعصب والتطرف والإقصاء بغير ترسيخ قيم التعايش والتسامح والاحترام والمحبة في المجتمع؟! من هنا كانت المنظومة القيمية للمجتمع هي صمام الأمان له ولأفراده، تحفظ نسيج المجتمع من الآفات التي تفتك به، مثل الفردانية والأنانية والمصلحية والأثرة...، وكم من حضارة ذكرها التاريخ وقصها القرآن الكريم عبرةً توافرت فيها أسباب القوة المادية، ولكنها زالت لذلك الخلل القيمي والأخلاقي الذي فشا فيها.

2. القيم تميّز هوية المجتمع:

تشكل القيم محورًا رئيسًا من ثقافة المجتمعات والشعوب، وتشمل نواحي الحياة المختلفة، فتنعكس على أنماط السلوك الإنساني وتحكم التفاعلات الاجتماعية فيها، والذي يشكل بمجموعه هوية المجتمع وسمعته وفقًا للمنظومة القيمية السائدة فيه.

ولذلك يستند الحفاظ على هوية المجتمع وسمعته وتميُّزه إلى العناية بقيمه والمحافظة على معاييرها المتأصلة فيه، وأي خطر يلحق بهذه المنظومة القيمية الاجتماعية ينعكس ضعفًا في الهوية.



3. القيم مؤشر النمو والبقاء:

لا يخفى على الناظر في التاريخ والواقع أَنَّ قوَّةَ المجتمعات وضعفها لا تتحدد بالمعايير المادية وحسب، بل إن بقاءها ونموها وازدهارها رهين منظوماتها القيمية والأخلاقية، والتي تشكل لها بذور البقاء والاستمرار والتطور.

تصنيف القيم

تختلف تصنيفات القيم باختلاف زاوية النظر إليهما، أو باختلاف مجالاتها وأنواعها، ويمكن اختصار هذه التقسيمات فيما يأتي:

صاحب النظرية	المعيار	التقسيم
سيرانجر (Spranger, 1928) في كتابه: "أنماط الرجال"	محتوى القيمة موضوعها أو مجالها والنشاط المرتبط بها	النظرية، العقلانية
		الاقتصادية
		الاجتماعية
		السياسية
		الدينية
		الجمالية
وايت (White, MG 1951)	محتوى القيمة موضوعها أو مجالها والنشاط المرتبط بها	جسمية
		اجتماعية
		ذاتية
		عملية
		معرفية
		ترويحية
		قيم اللعب
		قيم الأمن

صاحب النظرية	المعيار	التقسيم
لويس (F.A, Smith, 1964)	مقصد القيمة	قيم غايات: يعدها المجتمع مهمة في ذاتها، وهي الفضائل: كالأمانة والصدق.
	الغاية والوسيلة	قيم وسائل: لبلوغ غايات أخرى أهم، كالعمل من أجل الحياة الكريمة.
كاندي (Candy)	عمومية القيمة	قيم عامة: يعتنقها أفراد المجتمع جميعهم ويرغبون بها، كالتعاون والأمانة.
	العمومية	قيم خاصة: تتعلق بجماعة أو فئة معينة.
	والخصوصية	قيم فردية: تتعلق بالأشخاص، مثل الانضباط الذاتي.
أبو العينين (1988)	دوام القيمة الديمومة والانقطاع	قيم عابرة: كالقيم المتعلقة بالموضة وغيرها.
		قيم ثابتة: ما يمس مقدسات المجتمع، ودينه، وضروريات الحياة.
تقسيمات أخرى	شدة القيمة درجة إلزاميتها للأفراد والمجتمعات	قيم ملزمة أو أمرة: ما يمس كيان ومصلحة الفرد أو المجتمع ومقدساته واستقراره.
		قيم تفضيلية: التي يشجع المجتمع عليها، ولكنه لا يعاقب على تركها
		قيم مثالية: يدرك المجتمع استحالة تحقيقها بصورة كاملة، لكنها موجهة للسلوك.
	وضوح القيمة	صريحة: التي يعبر عنها الفرد بالكلام.
		ضمنية: التي يستدل عليها من خلال السلوك.

والذي اعتمدناه في هذا الكتاب بعد استقراء عامة القيم المركزية الكبرى والثابتة في النصوص القرآنية والنبوية، الواردة في كتب القيم الأصلية، وإخضاعها بالجملة لمجموع التقسيمات السابقة وترتيبها حسب المحتوى، والمقصد، والعمومية، والدوام...؛ لنخلص بعد ذلك إلى عدد من القيم الكبرى رأيناها الأكثر إلحاحًا والأبرز أهمية ضمن رؤية الكتاب وهدفه، وذلك لشمولها وإحاطتها بأبرز ركائز النمو الذاتي ومشاركات التواصل الإنساني، وإسهامها في إثراء وغرس وتنمية وتعزيز القيم في المجتمع، بشكل نظري وعملي، مثالي وواقعي؛ فكانت هي: (الرحمة، السلام، العلم، الحكمة، تهذيب النفس، المواطنة)، وأثبتنا لكل قيمة من هذه القيم الأصلية المركزية أبزر ما يتصل بها من القيم الفرعية التي تدور في فلكها، وتوصل إليها، وتشارك معها في الأهمية والعمومية والثبات.





القيم الكبرى في الإسلام

الفصل الثاني

القيم الكبرى في الإسلام

منظومة القيم التي أگدها الإسلام

شغلت القيم الإنسانية حيِّزًا كبيرًا في الشرائع الدينية، واجتمعت الأديانُ على ترسيخ أهميَّة التحلِّي بنبيل الأخلاق وشريف الشَّمائل وجميل الخصال في نفوس المؤمنين بها، فكانت القيم بذلك من أقوى أعمدة الدِّين وأركانهِ الكبرى.

ويعدُّ القرآن الكريم - كونه خاتم الكتب السماويَّة - ينبوع قيم؛ ونجده متجسِّدًا في خُلُق النَّبِيِّ ﷺ، الذي "كان خُلُقُه القرآن"¹، وهي إشارة واضحةٌ إلى أنَّ القرآن الكريم يضمُّ بين دفتيه نظامًا خُلُقِيًّا جامعًا ومتكاملاً، عمليًّا واقعيًّا، دلَّت على أسسه وأصوله آياتٌ عديدةٌ، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في القرآن للخير والشر²، وقال بعض المفسرين: "ما من شيء يحتاج إليه النَّاس في أمر دينهم ممَّا يجب أن يُترك أو يُؤتى إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية"³.

1 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 24601، 148/41.

2 الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1990م، رقم الحديث: 3358، 388/2، وصححه، ووافقه الذهبي.

3 الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، 95/3.

• القرآن الكريم ينبوع القيم ودستور الأخلاق:

إنّ متأمل القرآن الكريم ليجده منبع القيم، ودستور الأخلاق والفضائل، ونبراس كلّ من أراد أن يسمو بنفسه ويرقيها بالخصال الرفيعة؛ وذلك لأنّه حتّى على التحلي بالأخلاق الفاضلة انطلاقاً من أمرين: أولهما: بيان المثال المقتدى به الواجب اتّباعه. وثانيهما: الثناء على بعض الصّفات الحميدة، والأفعال السديدة التي تمثّل الخلق الحكيم الواجب تمثّله.

ومن الآيات التي تبين القدوة القيّمية الخُلقيّة قولُ الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وقوله سبحانه في موضع آخر واصفاً محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

ولكي تكتمل صورة القيم والأخلاق بين القرآن الكريم الإجمال الوارد في هذه الآيات، فكأنّ سائلاً يسأل: وما هذه القيم والأخلاق التي اتّصف بها الرّسول الكريم ﷺ؟ فأجاب الله عن ذلك في جملة من الآيات، كأمره تعالى بالعدل والإحسان في الآية المتقدّمة، وكأمره بالصدق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، وكأمره بالعدل في الشهادة ولو في حق النّفس والوالدين والأقربين في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ نَعِزُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135].

• القيم والأخلاق في الهدي النبوي:

ثم جاءت النصوص النبوية مؤكدة فضل القيم، حاصرة غاية الرسالة في إتمام مكارم الأخلاق؛ قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"¹، وبين ﷺ أن أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق؛ قال عليه الصلاة والسلام: "مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ"²، وقال ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"³، وجعل ﷺ حسن الخلق معياراً للخيرية وكمال الإيمان؛ كما في قوله ﷺ: "إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"⁴، وقوله ﷺ: "إِنْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ"⁵.

وعادة النبي ﷺ أنه لا يكتفي بالتنظير للمسائل، بل يتمثلها في سلوكه، فقد كان ﷺ حسن الأخلاق مع أهله، وصحبه، وعشيرته، وخدمته، ومع الناس أجمعين، يقول أنس: "خدمتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفٍّ، وَلَا: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلَا: أَلَا صَنَعْتَ"⁶.

1 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 8952، 513/14، والبخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: 256هـ)، الأدب المفرد، ط3، 1409م - 1989م، رقم الحديث: 273، ص104، والحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 4221، 670/2، وصححه، ووافقه الذهبي.

2 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2003، 363/4.

3 أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 4 مج، رقم الحديث: 4798، 252/4.

4 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3559، 189/4.

5 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2612، 9/5، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 24204، 242/40.

6 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6038، 14/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2309، 1804/4.

ومن القصص الدالة على عظمة أخلاقه ﷺ حديث أنس بن مالك أنه قال: "كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيّ غليظُ الحاشية، فادرّكه أعرابيٌّ فجَبَذَهُ بردائه جَبَذَةً شديدةً؛ حتى نظرتُ إلى صَفْحَةِ عاتقِ رسول الله ﷺ قد أثَّرتْ بها حاشيةُ البُردِ من شدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثم قال: يا محمد، مُرّني من مالِ الله الذي عندك! فَالْتَفَتَ إليه رسولُ الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمرَ له بَعْطاءً"¹.

فإذا كانَ نبيُّ الإسلام ﷺ كاملاً الأخلاق؛ فإنَّ جميعَ تعاليمِ دينه تقصد إلى تعزيز القيم وإتمام مكارم الأخلاق، وتنهى عن كلّ ما يناقض ذلك، وإنَّ كلّ اعوجاج سلوكيّ يورث الضَّغائن في النُّفوس، والحدق في القلوب، ويوقظ الفتن، ويوقّع في التطرف، ويهدم التَّسامح والسَّلام الذي دعا إليه الإسلام؛ فليس من الإسلام في شيء ولو أدخل عليه من ألف باب وباب، ولو نُسب إليه بألف تأويل وتأويل، ولن يعدو أن يكون انحرافاً أخلاقياً وقيميّاً انعكس تطرفاً فكريّاً وسلوكيّاً، وفي ذلك يقول معالي الشَّيخ عبد الله بن بيّه: "أكثر من انتقل إلى التَّطرف يكون قادماً من أُنْفُق الانحراف الأخلاقي"².

إنَّه من الواجب أن تكون القيم والأخلاق ميزاناً نقيس به أعمالنا وأقوالنا، فكلّ ما وافقها فذلك الخير العميم الذي نعصُّ عليه بالتَّواجد، وما خالفها فذلك الشَّر الذي يُدفع ويحذَر ويصحَّح.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5809، 146/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1057، 730/2.

2 ابن بيّه، الموقع الرسمي، الجذور المعرفية والفكرية للتطرف.

• القيم المركزية في القرآن الكريم:

لقد أسّس القرآن الكريم جملةً من القيم المركزية ذات الطابع الإنساني، أرسى بها دعائم منظومة قيمية كبرى، تتسم بالثبات والدوام؛ من شأن الالتزام بها والعمل بمقتضياتها أن تسهم في حماية المجتمعات من الآفات النفسية والاجتماعية، وذلك لشمولها وإحاطتها بجميع العلاقات الإنسانية وميادينها، وهي: (الرحمة، السلام، العلم، الحكمة، تهذيب النفس، المواطنة)، وتحت كلٍ منها قيم فرعية، تدور في فلكها، وتنتسب إليها انتساب الفروع إلى أصولها، وترتبط بها ارتباط الجزئيات بكليّاتها، نعرضها مع فروعها في هذا الكتاب على النحو الآتي:

الرحمة	السلام	العلم	الحكمة	تهذيب النفس	المواطنة
الإحسان	الكرامة الإنسانية	الاجتهاد والتفكير والتفكير	التعقل والمنطق	الإيمان	الوطن
الرفق	الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش	الصدق	الصبر والشكر	العبادة	إرث زايد
العطاء	التواصل والتعارف والاحترام	الأمانة العلمية	الإيجابية والأمل	القنوة	الانتماء والولاء
الرفقة والعطف والتعاون والتضامن	العدل والاعتدال		الجمال	الحب	المسؤولية

• المنهجية المتبعة للتعريف بالقيم:

وللتعريف بهذه القيم التزمنا منهجية شاملة واضحة، متمثلة في مقدمة تمهيدية مقتضبة، يتلوها التعريف بالقيمة في اللغة؛ ببيان أهم المعاني المتصلة بها قيمةً، دون المعاني اللغوية الأخرى التي تنأى بالقارئ وتُثقل الكتاب ولا تثرى سياقه، ثم التعريف الاصطلاحي، والذي ينطلق غالباً من صلب الدلالة اللغوية للمصطلح؛ مع ذكر أهم التعريفات الاصطلاحية المنقولة عن أهل العلم السابقين والمعاصرين.

ثم يكون الوقوف على الأهمية التي تتفرّد بها القيمة المدروسة على مستوى الفرد والمجتمع، والدين والدنيا والآخرة، وإن كان للقيمة أركان وأنواع وأقسام؛ بينهاها، وكذلك المنافع والثمار المترتبة على تمثّل القيمة، ومضار العمل بما يناقضها، مع بيان طرق الاكتساب ومسارات التعزيز، مع التركيز على التنزيلات السلوكية لها؛ أو ما يطلق عليه "تجسيد القيم".

وقد حاولنا ضبط دلالة توازن القيمة ببيان ضوابطها ومضاداتها وما ليس منها وما لا يقدر فيها؛ للتمييز بين السلوكات المعبرة عنها، والمنسجمة معها، واللازمة لها، والأخرى التي تمثّل نقيضاً أو تطرّفاً لها؛ مع تشابههما في بعض الوجوه.

وكان المنطلق في كل ذلك من قواعد راسخة، ورؤى تتسم بالنقاء والدقة، فاعتمدنا الخارطة القرآنية للقيمة مرجعاً، بإيراد أهم الآيات المشتملة على ذكر القيمة لفظاً أو معنى، مع بيان الشاهد أو شرح موجز له إن لزم، ثم الخارطة النبوية - صور القيمة في الهدي النبوي -، بذكر

الأحاديث ومرويات السيرة النبوية لتكون نماذج عملية يمكن الاقتداء بها للتحلي بالقيمة في السلوك.

كما أعطينا الخارطة الفلسفية مساحتها، وأثبتنا أهم ما وقع تحت أيدينا من أقوال الفلاسفة والحكماء الداعمة للقيمة، ومثلها الأقوال المأثورة والأشعار المختارة لفحول الشعراء، والمواقف المناسبة من تاريخ الحضارة الإنسانية عمومًا والإسلامية خصوصًا، وصولًا إلى البعد الوطني والعالمي المعاصر، الذي يمثل صورة واقعية معاصرة، ويبين المظاهر العملية للقيمة في إرث زايد والسنع الإماراتي والمبادرات والإنجازات الوطنية.

ثم ختمنا البحث بذكر أهم ما مرّ فيه إبرازًا لأهميته وتوكيدًا عليه، فإن كانت القيمة مركزية وأصلية أتبعناها بأهم خمس قيم فرعية متعلقة بها، والتزمنا في التعريف بها ما التزمناه في القيم المركزية الكبرى.

أملين أن يكون ذلك وافيًا في التعريف والبيان، مشتملاً على ما يضمن تحويل هذه القيم إلى قناعات شخصية راسخة، وإيمان ذاتي يكون موجبًا عمليًا للفرد والمجتمع؛ بحيث يبني عليه قراراته واختياراته ومواقفه بما ييسر التواصل الإنساني، ويعزز التعايش السلمي، ويسهم في استدامة العمران والإنسان وازدهار الأوطان.



القيم المركزية الكبرى في الإسلام

القيمة المركزيّة الأولى (الرحمة)

وأهم فروعها:

الإحسان

الرفق

العطاء

الرأفة والعطف

التعاون والتضامن



الرَّحْمَةُ

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الذي أودع البسملة ذكرَ رحمته مؤكِّدًا، وافتتح بها القرآن على الإجمال، وافتتح بها سُورَه على التفصيل، ويُفتتح بها كلُّ أمرٍ ذي بال، وهي عند ابتداء كلِّ عمل مستحبة¹، تذكيرًا بها وتوكيدًا لها ووصية بالتزامها في كل حال، ولذلك جاءت في هذا الكتاب أول القيم المركزية؛ لافتقار كلِّ قيمة إلى وجهٍ من وجوه الرحمة ومعنى من معانيها، ومن هنا كان الفلاسفة يُعلون شأنها، فكان "جالينوس" يقدم في الأخلاق ثلاث قوى: الرحمة، والحياء، والسخاء².

إن الرحمة كلمة صغيرة، ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في اسمها والشمس في حقيقتها، ولوتراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مهضوم، وإذا وُجد في الإنسان القلب الرحيم؛ وَجَدَ المجتمع ضالته من السعادة والهناء³.

والرحمة من أفعال القلوب ابتداءً، ومن معالي الأخلاق وكمالات السلوك انتهاءً، فإذا كانت الرحمة من الناس فهي فعل وانفعال، وَخُلُقٌ ينبعث من

1 ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ/2003م، 230/1.

2 أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 154/4.

3 انظر: المنفلوطي، مصطفى لطفي بن محمد لطفي (ت: 1343هـ)، النظرات، دار الآفاق الجديدة، 1402هـ-1982م، 3 مج، 100/1.

شعور الإنسان بما يقاسيه غيره من هموم وآلام وأحزان، فيحمله ذلك على الوقوف إلى جانبه، وإسداء المعروف إليه، فتدل ثمرتها على سلامة الصدر وصفاء القلب ونقاء السيرة، ويتجلى أثرها بين الناس في الشفقة والمحبة والعطف، والرأفة والرقّة واللطف، والمبادرة إلى قضاء الحوائج، والمساعدة إلى إنماء كل خير وبرّ لهم، كما تظهر آثارها في علاقات اجتماعية متماسكة، ومجتمعات إنسانية متلاحمة، وعالم تسوده المحبة والتعاون والسلام.

وإذا كانت الرحمة من الله سبحانه وتعالى فهي فعل لا انفعال، وتعني مطلق الإحسان إلى المرحومين، والتسامح واللطف والعفو من ذي الرحمة، الرحمن الرحيم، أرحم الراحمين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما سبحانه.

تعريف الرحمة:

أولاً- في اللغة:

تأتي الرحمة في اللغة لمعانٍ عدة، أهمها:

أ - الرأفة والعطف والرقّة: "الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه؛ إذا رَقَّ له وتعطف عليه"¹، "وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً"².

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 498/2 (رحم). بتصرف يسير.

2 الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م، 6 مج، 1929/5، (رحم).

ب - الإحسان والتفضل: فالرَّحمة رَقَّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، ومنه: "رحم الله فلانًا"، أي: أحسن إليه، وتفضل عليه، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال¹، وقد سَمى الله تعالى المطر رحمة فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]؛ لأنه إفضال من الله وإنعام².

ج - القرابة: "فالرَّحِم: علاقة القرابة، ثمَّ سَمَّيت رحم الأنثى رحمًا من هذا؛ لأنَّ منها يكون ما يرحم ويرقَّ له من ولدٍ"³، "ومنه استعير الرَّحِم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة"⁴.

ثانيًا - في الاصطلاح:

عرِّفت الرحمة بتعاريف عدَّة؛ من أهمها:

- أنها: "خلق مركَّب من الودِّ والجزع، فالرَّحمة هي محبةٌ للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُحِم، وهذه الحال مستحسنة ما لم تخرج بصاحبها عن العدل، ولم تَنْتَه به إلى الجور"⁵.

1 الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 2009م، ص 347، (رحم).

2 الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن، (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 3، 1420هـ/1999م، 93/4.

3 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 498/2، (رحم).

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 347، (رحم).

5 الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب (ت: 255هـ)، تهذيب الأخلاق، تحقيق إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، 1410هـ/1989م، ص 24.

وتتجلى أهمية الرحمة في مظاهر عدة، من أهمها:

1. اشتقاق اسمي الله (الرحمن الرحيم) من مادة الرحمة، واتصافه جل جلاله بها:

ثَبَّتَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ"، وهما اسمان مشتقان من الرَّحْمَةِ، وهما من أبنية المبالغة، ورحمن أبلغ من رحيم، والرَّحْمَنُ خاصٌّ لِلَّهِ لَا يَسَعَى بِهِ غَيْرُهُ، وَلَا يُوصَفُ، وَالرَّحِيمُ يُوصَفُ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فيقال: رجلٌ رحيمٌ، ولا يقال: رجل رحمن¹.

"وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والرأفة واللطف أخصُّ باسم الرَّحْمَن، وكثره في الفاتحة إيداناً بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته.

وَالرَّحْمَةُ سببُ وَاصِلٍ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، بِهَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رُسُلُهُ، وَأَنْزِلَ إِلَيْهِمْ كُتُبُهُ، وَبِهَا هَدَاهُمْ، وَبِهَا أَسْكَنَهُمْ دَارِثَوَابِهِ، وَبِهَا رَزَقَهُمْ وَعَافَاهُمْ"²، فَمِنْ رَحْمَتِهِ سَبْحَانَهُ إِرْسَالُهُ الرُّسُلَ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وَإِنْزَالُ الْمَطَرِ ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الروم: 46]، وَإِرْسَالُ الرِّيحِ ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: 57]، وَإِنْبَاتُهُ الزَّرْعِ ﴿فَإَنْظُرْ إِلَىٰ ءَآثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 50]، وَتَسْخِيرُ الْكَائِنَاتِ ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ

1 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 210/2، (رحم).

2 الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، نشره: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، من 1393هـ/1973م إلى 1416هـ/1996م، 55/3.

لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» [القصص: 73]، ورفع البلاء ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [الأعراف: 72]، ورفع الحرج في التشريع ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 173]، وقبول التوبة والعفو عن الخطأ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14]، ومن رحمته السعادة الزوجية وطيب النسل ﴿وَعَائِتْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ [الأنبياء: 84].

فكفى الرحمة شرفاً ورفعةً قدر أنّها صفةٌ من صفات الله عز وجلّ، يتضمنها اسمان من أسمائه سبحانه، وأن رحمته سبحانه هي الرحمة العظمى، التي ﴿وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، رحمة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3]، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]، الذي ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 12]، فتجلّت بإحسانه وحفظه وحلمه وعظيم مغفرته وعفوه، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54].

وضرب النبي ﷺ مثلاً لِسَعَةِ الرَّحْمَةِ الإلهية، فقال: "إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمةً واحدة"¹، "فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة"².

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6469، 99/8.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2752، 2108/4.

ورأى رسول الله ﷺ امرأة أخذت صبياً وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: "أترون هذه المرأة طارحةً ولدَها في النار؟" قالوا: لا، والله، وهي تقدر على ألا تطرحه! فقال رسول الله ﷺ: "للهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها!"¹.

قال أبو هريرة : قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابيُّ وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فلما سلّم النبي ﷺ قال للأعرابي: "لقد حجّرت واسعاً!". يريد رحمة الله².

هذه الرحمة العظمى لله تعالى؛ والإنسان يتخلق بأخلاق الله، ويتقرّب إلى رحمة الله برحمته عباده، فيعامل الخلق بما يحبُّ أن يعامله به الحق سبحانه.

2. الرحمة صفة من صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

أرسل الرحمن الرحيم رسلاً بالرحمة إلى خلقه، فكانت رحمة بهم قلوبهم، يريدون الخير لهم، ويشفقون عليهم، ومن أمثلة ذلك:

• قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَقُومُوا أَرْعَبْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَيْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: 28].

• ومن رحمة إبراهيم الخليل عليه السلام بقومه قوله لربه: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36].

• ومن رحمة شعيب قوله لموسى عليهما السلام: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُشَقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: 27].

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5999، 8 / 8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2754، 2109/4.

2 السابق، رقم الحديث: 6010، 10 / 8.

• وقال موسى للخضر عليهما السلام مذكراً بالرحمة: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: 73].

• ومن رحمة عيسى عليه السلام بقومه استجداؤه المغفرة لهم من الله تعالى، قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118].

• وخاتم الأنبياء محمد ﷺ هو نبي الرحمة، أرسله ربُّه رحمةً للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فهو "رحمةٌ مُهداة"¹، ومعلِّم الناس الرحمة، وسيأتي تفصيل ذلك قريباً عند الحديث عن الرحمة في الهدي النبوي.

3. الكتب السماوية دساتير رحمة للإنسانية:

أرسل الله تعالى الرسل وأنزل معهم الكتب مفعمة بمضامين الرحمة، قال تعالى عن التوراة: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأنعام: 154]، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأعراف: 154]، وقال جل جلاله عن القرآن الكريم: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157].

وإن الدين الإسلامي جاء للرحمة بالبشرية؛ لما لهذه القيمة من أثرٍ في خلق مجتمعٍ آمنٍ ومنسجمٍ ومتماسكٍ، شعاره المحبة والتّوَاد والتّعاون

1 الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 100، 91/1، وصححه، ووافقه الذهبي.

والوئامُ. وقد رَغِبَت النّصوص القرآنية والنبويّة في خُلُق الرّحمة، وحدّثت ونفّرت من ضِدِّه؛ فالرحمة قيمة مركزية في القرآن الكريم، وردّ ذكرها في نحو ثلاثمئة وستة وعشرين موضعاً، معظمها لاسم الله الرّحمن والرّحيم، ولامتنانه سبحانه برحمته على عباده، وقد ورد في القرآن الكريم مدحُ خُلُق الرّحمة والدّعوة إليه، وفي القرآن سورة كاملة باسم "الرّحمن"، كما تضمنت تعاليم القرآن الكريم أبلغ معاني الرحمة، وأسمى معالم التراحم بين الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 51]، وجمع الفيروزآبادي معاني الرّحمة التي وردت في القرآن الكريم، فوجدها عشرين وجهاً¹.

4. الرحمة قيمة مركزية في الهدي النبوي:

إن الحديث عن الرّحمة يحتمّ البحث في معناها وإبراز نماذج منها في حياة نبينا وسيدنا محمد ﷺ للاقتداء والتأسيّ بذلك؛ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقد جاءت النصوص في الهدي النبوي الشريف تؤكّد أهمية الرّحمة، وتجسّدتها عملياً في مجالات شتى، فالنبي ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فكان ﷺ رحمةً للصغير والكبير، والقريب والبعيد، والمخالف والموافق، لمن آمن به، ومن لم يؤمن به، ومن

1 الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 3/ 55 - 58.

رحمته ﷺ بمن لم يؤمن به حرصه على إيمانهم وسعادتهم؛ حتى قال له الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 3]، ولما جاءه ملك الجبال ليُطبق عليهم الجبال بعد أن كذَّبوه وعدَّبوه؛ لم يرضَ النبيُّ ﷺ ذلك، وقال: "بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشركُ به شيئاً"¹.

وروي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشجَّ وجهه يوم أُحُد شقَّ ذلك على أصحابه شقًّا شديدًا وقالوا: لو دعوتَ عليهم²! فقال: "إني لم أُبعثُ لعنًا، وإنما بُعثتُ رحمةً"³.

وضربه قومه فأدموه، فكان يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"⁴. "انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحُسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم؛ إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم، فقال: "اغفر" أو: "اهد"، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: "لقومي"، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: "فإنهم لا يعلمون"⁵.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3231، 4 / 115، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1795، 1420/3.

2 القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفحاء - عمان، ط2، 1407 هـ، 2 مج، 221/1.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2599، 2006/4.

4 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3477، 4 / 175، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1792، 1417/3.

5 القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 221/1.

ومن الأمثلة الدالة على عِظَم رحمته ﷺ - كذلك - ما فعله مع قريش الذين أذوه واستهزؤوا به، وأخرجوه من دياره، هو وأصحابه، ثم قاتلوه، وحرّضوا عليه غيرهم؛ حتى تمالأ عليه جمعهم، فلم يزد لما أمكنه الله منهم على أن عفا وصفح، فقال: "اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ"¹.

هذه رحمته بمن خالفه ولم يؤمن به، وقد تجلت رحمته ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه وتصرفاته وسائر أحواله، قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس، إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ مُهْدَاة"²، "وإنما بعثني رحمةً للعالمين"³، فجعل عليه الصلاة والسلام يعامل الناس بالرحمة، ويرسخ قيمتها فيهم، ويثبتها في كافة أركان حياتهم؛ حتى وصفه الواصفون بقولهم: "كان رحيماً رقيقاً"⁴، وفي رواية: "كان رحيماً رقيقاً"⁵.

وامتنَّ الله عليه بأن جبله على الرحمة، ومحبة الرفق، وبأن جنبه الغلظة والفظاظة؛ فقال تعالى مخاطباً إياه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

1 ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت: 213هـ)، السيرة النبوية،

تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1375هـ/1955م، 2 مج، 412/2.

2 الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 100، 91/1، وصححه، ووافقه الذهبي.

3 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4659، 215/4، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 23706، 110/39.

4 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 674، 465/1.

5 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 628، 1/128.

مجالات الرحمة:

تتنوّع مجالات الرحمة، وتتسع دوائرها، بدءًا من الفرد، مرورًا بالأسرة، فالمجتمع، فالوطن، انتهاء بجميع المخلوقات، قال رسول الله ﷺ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ"¹.

وفيما يأتي بيان لأهم مجالات الرحمة:

أولًا- الرحمة الذاتية:

إن أعظم مجالات الرحمة وأولها: رحمة الإنسان ذاته، قال بعض الحكماء: "ارحم نفسك قبل أن تسترحم غيرك؛ فإنها إذا رحمتها أكرمتك"².

وتتمثل الرحمة الذاتية في:

أ- الرفق بالذات، والاهتمام بالصحة، والعناية بالتغذية، وإعطاء النفس حقها من الراحة، وتجنبها الضغوط، والتوازن بين المتطلبات، ومقتضيات المسؤوليات والأعمال، وفي الحديث: قال سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: "إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ!" فقال النبي ﷺ: "صَدَقَ سلمان"³. ولئن كانت الرحمة متمثلة في الشفقة على خلق الله؛ فإن

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 285/4، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1924.

2 التوحيدى، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو 400هـ)، المقابسات، تحقيق حسن السندوبى، دار سعاد الصباح، ط2، 1992م، ص255.

3 البخارى، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1968، 38/3.

نفس الإنسان هي أولى بالشفقة والرحمة عليها من غيرها، بل فائدة شفقتة على غيره راجعةٌ إليها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7]¹.

ب- الحرص على مداواتها، وحمايتها، وسلامتها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، وسئل رسول الله ﷺ: ألا نتداوى؟ قال: "نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء"². وفي حديث آخر قال ﷺ: "لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه" قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: "يتعرّض من البلاء لما لا يطيق"³.

ج- تزكية النفس بالتقوى والعمل الصالح، والعلم النافع، وتعزيز الثقة فيها، والحرص على نفعها، وتنميتها وتطوير مهاراتها وتهذيبها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9]، وقال ﷺ: "أحرص على ما يَنْفَعُكَ"⁴.

1 انظر: المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت: 1353 هـ)، تحفة الأحوذى، دار الكتب العلمية، بيروت. 10 مج، 42/6.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3855، 3/4، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2038، 383/4.

3 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2254، 523/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4016، 1332/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 23444، 435/38.

4 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 2052/4.

ثانيًا- الرحمة بالناس:

وتتمثل في الرحمة العائلية، والرحمة المجتمعية، والرحمة العالمية، والرحمة المستدامة، وهذا ببيانها:

1. الرحمة العائلية:

وهي الرحمة التي تكون بين أفراد العائلة الواحدة، من آباء وأمهات، وأزواج وزوجات، وأبناء وبنات، وإخوة وأخوات، وسائر الأقارب والأرحام، فمن الرحمة ما يكون:

أ - بالعيال: وتتمثل في العطف عليهم، واللطف معهم، واحتوائهم، ومراعاة أحوالهم، قال ﷺ: "ليس منّا من لم يرحم صغيرنا"¹، وأثنى النبي ﷺ على رحمة أمِّ بأبنائها، ففي الحديث أن امرأة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها تسأل ومعهما صبيّان، فأعطتها عائشة رضي الله عنها ثلاث تمرات، فأعطت كلّ صبيّ تمرّة تمرّة، وأمسكت لنفسها تمرّة، فأكل الصبيّان التمرتين، فعمدت إلى التمرة فشقّتها نصفين؛ فأعطت كلّ صبيّ لها نصف تمرّة، فجاء النبي ﷺ فأخبرته، فقال: "وما يُعجبُك منها؟! لقد رَحِمها الله برحمتها صبيّها"².

وعن أنس بن مالك قال: "ما رأيتُ أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم - ولده - مسترضعًا له في عوالي المدينة، فكان

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1920، 322/4.

2 الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 7349، 196/4.

ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظنُّه قينًا - [وهو زوج مرضعته، كان حدًّا] -، فيأخذه ﷺ فيقبله، ثم يرجع"¹.

وفي الحديث أن ابنةً للنبي ﷺ أرسلت إليه: إن ابنًا لي قُبِضَ فائتنا...، فقام النبي ﷺ، فَرَفَعَ الصَّبِيَّ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ ونفسه تقعقع، ففاضت عينا النبي ﷺ، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: "هذه رحمةٌ وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرُّحَمَاءُ"².

وقبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا! فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: "مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يُرْحَمَ"³. قال العلماء: "هذا عامٌّ يتناول رحمة الأطفال وغيرهم"⁴، و"فيه الحُضُّ على استعمال الرحمة: لجميع الخلق، ويدخل في الرحمة: التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب"⁵.

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2316، 1808/4.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5655، 117/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 923، 635/2.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5997، 8/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2318، 1808/4.

4 النووي، أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1972م، 77/15.

5 ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 440/10.

ب. وبالوالدين: ببرّهما، والإحسان إليهما، وقضاء حوائجهما، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، أي: أمر وألزم وأوجب، وقيل: أوصى¹، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾² وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23-24].

ويلحق بذلك رحمة فطرة الوالدية، وتقدير روابط الأبوة والأمومة التي جُبِلَ عليها الوالدان؛ فيُرحَم الوالدان برحمة ولدتهما، وبتقدير الرحمة المستودعة بينهما؛ بأن ﴿لَا تُضَارَّ وَلَدَةٌ يُولَدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ﴾ [البقرة: 233]، وقال ﷺ: "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ"².

ج. وبين الأزواج: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]، فالحياة الزوجية قائمة على التراحم بين الزوجين؛ رعاية ومراعاةً، وبذلاً واهتماماً، وتقديرًا وإعانة.

وفي الحديث: أتى النبي ﷺ على أزواجه وسَوَّاق يسوق بهنَّ يقال له: أنجشة، فقال: "ويحك يا أنجشة، رويدًا سوقك بالقوارير!"³.

1 القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني؛ وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1964م، 237/10.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 707، 1/143.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6149، 8/35، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2323، 4/1811.

د. وبين الأرحام: فالرَّحِم - علاقة القرابة - مشتقة من الرحمة كما تقدم، والأصل في الأقرباء أن يرحم بعضهم بعضاً، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ومعناه: اتقوا الله الذي تعاطفون به والأرحام، أو: واتقوا الله الذي إذا سألتكم بينكم قال السائل للمسؤول: أسألك بالله وبالرحم، أو أن المعنى: واتقوا الله في الأرحام فصلوها¹.

2. الرحمة المجتمعية:

وتمتد الرحم وتتسع لتغشي الرحمة كلَّ صلة بين الخلق، فالإنسانية رحم، والوطن رحم، والهمم بالمصلحة العامة رحم بين أهله، والعلم بين أهله رحم، والإيمان كذلك رحم... هذه الرحمة التي فاضت بها المواقف النبوية غُرست في نفوس الصَّحْب رضي الله عنهم قولاً وفعلاً؛ حتى شهد لهم القرآن بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 347/6 - 348.

وتتمثل الرحمة المجتمعية في التراحم بين أفراد المجتمع الواحد، والوطن الواحد، وتمثل بنود وثيقة المدينة المنورة¹ نموذجًا للتأسيس النظري والعملي لهذه الرحمة؛ فقد عاش أبناء وطن المدينة - على اختلاف معتقداتهم وأعراقهم - في تواجدٍ وتراحم؛ يتساندون، ويتساعدون، ويتواصلون، ويتعاملون كل أنواع المعاملات بينهم.

ومن مظاهر الرحمة المجتمعية:

أ- الرحمة بالكبار والصغار والمرضى: ورحمتهم تكون بمراعاة ضعفهم، وبخدمتهم، والتخفيف عنهم، فقد أوصى النبي ﷺ: "... فمن أمَّ قومًا فليُخَفِّفْ؛ فإنَّ فيهمُ الكبير، وإنَّ فيهمُ المريض، وإنَّ فيهمُ الضَّعيف، وإنَّ فيهمُ ذا الحاجة"². وفي الحديث: "ليس منا من لم يَعْرِفْ حقَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا"³.

ب. الرحمة بالعمال: وذلك بالرفق بهم، والتخفيف عنهم، ورعاية كرامتهم، قال ﷺ في حقهم: "هُمُ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يَكْلِفْهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعْنِهِ عَلَيْهِ"⁴.

1 انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 501-504.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 468، 1/ 341.

3 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 6935، 11/ 527.

4 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6050، 8/ 16، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1661، 3/ 1282.

ج. الرحمة بين زملاء العمل: وتتجلى باحترام الزميل لزميله، وإنصافه، واللطف في معاملته، والتغاضي عن هفواته، والسعي في تطوير مهاراته، وتنمية قدراته، وإعانتته والتخفيف من أعبائه، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ"¹. وروي: "ما اصطحب اثنان قط إلا كان أعظمهما أجرًا أنفعهما لصاحبه"²، وفي لفظ: "أرفقهما بصاحبه"³.

د. الرحمة بأصحاب الهمم⁴: وتتمثل باستنهاض هممهم، واستثمار جوانب تميزهم، وتسخير كافة الإمكانيات والوسائل لدمجهم، وإعانتهم على تجاوز ما يعيقهم، مع مراعاة خصوصيتهم ومشاعرهم، وجبر خواطرهم، ورفع المشقة والحرَج عنهم، والتيسير عليهم، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكثِيرَةٌ..." وذكر منها: "وَتُسْمَعُ الْأَصَمُّ، وَتَهْدَى الْأَعْمَى، وَتُدُلُّ الْمُسْتَدَلُّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةٍ سَاقِيكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمَلُ بِشِدَّةٍ ذِرَاعِيكَ مَعَ الضَّعِيفِ؛ فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2442، 128/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2580، 4/ 1996.

2 ابن نصر، عبد الرحمن بن عمر بن نصر (ت: 410هـ)، فوائد ابن نصر عن مشايخه، تحقيق أبو عبد الله حمزة الجزائري، مكتبة دار النصيحة - دار المدينة النبوية، 1428 هـ - 2007 م، رقم الحديث: 86، ص91.

3 الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت: 505 هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 175/2.

4 في عام 2016 قدم صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي (رعاه الله) مصطلح "أصحاب الهمم" لوصف الأشخاص الذين كانوا يطلق عليهم رسميًا صفة "ذوي الاحتياجات الخاصة".

منك على نفسك".¹

هـ- الرحمة باليتامى والمساكين والضعفاء: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ [الضحى: 9-10]، وقال رسول الله ﷺ: "اللهم إني أحرّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة".²

3. الرحمة العالمية:

الرَّحْمَةُ قيمة عالمية تشمل جميع الناس، على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم، ومختلف أعراقهم وأديانهم، لا تخص أحداً دون أحد، قال ﷺ: "والَّذي نفسي بيده، لا يَضْعُ اللهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ"، قالوا: يا رسول الله، كلُّنا يرحم! قال: "ليس برحمة أحدكم صاحبه، يُرْحَمُ النَّاسُ كَافَةً".³

هذا، ويُشهد لدولة الإمارات العربية دورها الريادي وسبقها الدائم في تعزيز التراحم وتفعيله عبر المؤسسات الحكومية والجمعيات الخيرية والخدمات الإنسانية والمبادرات الاجتماعية، وتقديم العون بكافة أشكاله

1 ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها (صحيح ابن حبان)، تحقيق مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل، القاهرة، 1435هـ- 2014م، رقم الحديث: 3377، 171/8.

2 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3678، 1213/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 9666، 416/15، والحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 211، 131/1، وصححه، ووافقه الذهبي.

3 أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت: 307هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404هـ/1984م، رقم الحديث: 4258، 131/7، والهيثي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ/1994م، 187/8.

لِلْأَجْنِينَ ومتضرري المجاعات والحروب الأهلية حول العالم؛ يشهد لذلك "الفارس الشهم" الإماراتي، الذي يصل الرحم، ويرحم الضعيف، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، ويحرص على تقديم مساعدات سخية إلى الحكومات والشعوب النامية والمحاجة، وإغاثة المتضررين من الكوارث، ونجدة الملهوفين والضحايا في مناطق الصراعات والأزمات¹.

4. الرحمة المستدامة:

وهي تلك الرحمة التي تمتد لتشمل الأجيال القادمة، وتتجلى في الحفاظ على حقهم في الموارد البيئية، والمقدّرات الطبيعية، من خلال الممارسات البيئية المستدامة، كما تظهر هذه الرحمة في ترك إرثٍ علميٍّ وفكريٍّ وقيميٍّ وابداعيٍّ لهم، يمكنهم من الارتقاء، والتغلب على التحديات بكفاءة.

وقريب من هذا المعنى في رحمة الذرية وحفظ مستقبلهم قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9]، يقول: أليس يكره أحدكم إذا مات وله أولاد صغار أن يتركهم بغير مال، فيكونوا عيالاً على الناس؟! فلا ينبغي أن يقال لمن حضره الموت: تصدق من مالك، وأعط منه في سبيل الله، وأوصي... بما يضرُّ بورثته، فأمر الله سبحانه الذي يسمع الموصي أن يتقي الله ويوفِّقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته إذا خشي عليهم الضيعة².

1 انظر: مركز الاتحاد للأخبار، علوم الدار، "الفارس الشهم".. الإمارات "سند" الأشقاء والأصدقاء.

2 انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 447/6.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: جاء النبي ﷺ يعودني وأنا بمكة، قلت: يا رسول الله، أوصي بمالي كله؟ قال: "لا". قلت: فالشطرن؟ قال: "لا". قلت: الثلث؟ قال: "فالثلث، والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء؛ خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم"¹.

ثالثاً- الرحمة بالحيوان:

وتتمثل رحمته بالإحسان إليه؛ سواء أكان مما يُنتَفَع به بأكل أو استخدام، أم لم يكن كذلك، وإلا فالكفُّ عن إيذائه وظلمه.

1. رحمته إن كان مما يستخدَم أو يؤكل:

وتكون بسقيه، وإطعامه، وعدم إجهاده، وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ ببيعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: "اتقوا الله في هذه الهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة"².

وعن النبي ﷺ قال: "إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله إنما سخرها لكم لتبليغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفس، وجعل لكم الأرض؛ فعليها فاقضوا حاجاتكم"³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2742، 3/ 4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1628، 3/ 1250.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2548، 23/3.

3 السابق، رقم الحديث: 2567، 27/3.

2. المبادرة إلى رحمته وإن لم يُستفد منه:

قال النبي ﷺ: "بيننا رجلٌ يمشي، فاشتدَّ عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي! فملاً خفَّه ثم أمسك به فيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له"، قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في الميائم أجراً؟ قال: "في كل كبدٍ رطبة أجر"¹. "في هذا الحديث دليل على أن الإساءة إلى الميائم والحيوان مما لا يجوز ولا يحل، وأن فاعلها يأثم فيها؛ لأن النص إذا ورد بأن في الإحسان إليهن أجراً وحسنات، قام الدليل بأن في الإساءة إليهن وزراً وذنباً، والله يعصم من يشاء، وهذا ما لا شك فيه ولا مدفع له، وهو أمر لا تنازع بين العلماء فيه"².

3. الكفُّ عن إيذاء الحيوان أو ظلمه:

قال رسول الله ﷺ: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض"³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2363، 3/ 111، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2244، 4/ 1761.

2 ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت: 463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ (24 مج)، 9/22.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3318، 4/ 130، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2242، 4/ 2022.

وعن عبد الله بن مسعود ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخهما، فجاءت الحُمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: "مَنْ فجَعَ هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها!" ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: "مَنْ حرقَ هذه؟" قلنا: نحن، قال: "إنه لا ينبغي أن يُعَذَّبَ بالنار إلا ربُّ النار"¹.

ورأى أنس بن مالك فتیانًا نصبوا دجاجة يرمونها، فقال: "نهى النبي ﷺ أن تُصَبَّرَ البهائم"². "قال العلماء: صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهذا النهي للتحريم؛ لأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليتها وتفويت لذكاته إن كان مذكًى ولمنفعته إن لم يكن مذكًى"³. وقد: "نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم"⁴. ما لم يكن ذلك لغرض تعليمها وتدريبها.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2675، 55/3.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5513، 7/ 94، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1549/3، 1956.

3 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 108/13.

4 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 2562، 26/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1708، 210/4.

- 91 -

مِنْ حَوْلِكَ ﴿[آل عمران: 159]، فكان لينه ﷺ للناس ورحمته ورفقه بهم وحسن خلقه معهم جامعاً لقلوبهم مستبقياً محبّتهم ومودّتهم، ولو كان جافياً قاسي القلب لتفرقوا عنه حتى لا يبقى حوله أحد منهم¹.

3. كمال السعادة:

فَطَر الله تعالى الإنسان على الرحمة، فهي مركوزة في نفسه، وجزء لا يتجزأ من جوهره وطبيعته، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مِثْلَ رَحْمَةٍ: أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً... فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَحَّمُونَ"². وقوله ﷺ: "لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ"³، أي: لَا تُسَلَبُ الشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ⁴، فحقيقة الرحمة إرادة المنفعة، وإذا ذهبَت إرادتها من قلبٍ شقي بإرادة المكروه لغيره ذهب عنه الإيمان والإسلام⁵. والرحمة تجعل الإنسان ميالاً للخير والتعاون مع الآخرين، والتعاطف معهم، والشفقة عليهم، فإذا استجاب لنداء الرحمة في نفسه غمرته السعادة وكساه الشعور بالرضا الذاتي.

1 انظر: النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ - 1998 م 3 مج، 306/1.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2752، 2108/4.

3 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4942، 286/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1923.

4 المباركفوري، تحفة الأخوذى، 42/6.

5 المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي (ت 1031هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، 1356هـ، 6 مج، 422/6.

قال الله تعالى: ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿[النحل: 128]، ومعيته بالرحمة والفضل، وقوله: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله تعالى، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله، وذلك يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين، أي: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله¹.

4. النجاة والمغفرة يوم القيامة:

ودليله الحديث المتقدم عن الذي سقى كلباً "فشكر الله له فغفر له"²، أي: أحبه منه، ورضي فعله، ثم جازاه عليه³، وشكر الله يحتمل ثوابه على فعله وجزاؤه عليه، ويحتمل ثناؤه عليه لذلك. وقيل: قبل عمله ذلك، وما تقدم أظهر⁴.

1 الرازي، التفسير الكبير، 290/20.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2363، 3/ 111، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2244، 1761/4.

3 القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، 1419 هـ - 1998 م، 8 مج، 343/6.

4 السابق. 180/7.

سبل تنمية الرحمة وتعزيزها:

ولتعزيز الرحمة وتنميتها في الإنسان طرق متعددة، من أهمها:

1. الاهتمام بهدي القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم كتاب الرحمة، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157]، ﴿وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 77]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ④ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: 2-3]، دَعَتْ آيَاتُهُ إِلَى التَّحَلِّيِّ بِالرَّحْمَةِ، وَبَيَّنَّتْ أَنَّهَا الْأَسَاسُ فِي تَعَامُلِ الْخَالِقِ مَعَ خَلْقِهِ، وَفِي عِلَاقَةِ الْخَلْقِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَقَدْ أورد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم سِيَرِ الرِّحَمَاءِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَتَقِيَاءِ، وَذَكَرَ نَمَازِجَ مِنْ رَحْمَتِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ؛ مَعَ أَقْوَامِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَأَقْرَبَائِهِمْ وَأَرْحَامِهِمْ؛ لِنَقْتَدِيَ بِهِمْ وَنَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ، كَمَا رَتَبَ عَلَى التَّرَاحُمِ ثَوَابًا عَظِيمًا وَجَزَاءً كَبِيرًا.

ومن هنا كانت تلاوة القرآن الكريم وتدبره، والتأمل في قصصه وعبره، والنظر في ثوابه وجزائه؛ والاهتمام بهديه طريقًا لنيل الرحمة وتحصيلها؛ محفزًا للمؤمن ليكون رحيماً في تعاملاته وجميع تصرفاته، ففي الحديث: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكَّرههم الله فيمَن عنده"¹.

1 أخرجه مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2699، 2074/4.

2. الاقتداء بهدي النبي الكريم ﷺ:

أرسل الله تعالى النبي ﷺ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فكانت سيرته مليئة بالأحاديث الحاضرة على التراحم بين الناس، ومفعمة بمواقف الرحمة النبوية في مختلف الأحوال والمواقف والظروف، ومطالعة سيرته ﷺ تدفع المؤمن إلى تمثُّل خلق الرحمة مع القريب والبعيد، والقاصي والداني، وجميع الأطياف.

ومن نماذج الرحمة النبوية التي ذكرها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]. وفي الهدي النبوي جملة من الأحاديث تحضُّ على الرحمة والتخلُّق بها، من ذلك قوله ﷺ: "وإنما يرحمُ الله من عباده الرِّحماء"¹، وقوله ﷺ: "لا تُنزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ"²، ومثَّل عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للرحمة بين المؤمنين بحال الجسد الواحد؛ فقال: "مثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم؛ مثلُ الجسد؛ إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحُجَّى"³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1284، 2/ 79، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 923، 2/ 635.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4942، 4/ 286، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1923، 4/ 323.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6011، 8/ 10، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2586، 4/ 1999.

3. تدريب النفس على الرَّحمة والرفق:

قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحبُّ الرفق في الأمرِ كُلِّه"¹، وفي الحديث ترغيب بالرفق وتحبيب به، وقال ﷺ: "ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء"²، وفيه أمرٌ بالرحمة والتراحم، وسبيل تحصيل ذلك تدريب النفس على تمثُّل الرحمة، واستحضار معانيها وصورها، فكما أن العلم بالتعلُّم، والحلم بالتحلُّم، "وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً...، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"³، فكل هذه النماذج إنما تدربَّت على تمثُّل قيمةٍ ما والتزام خلقٍ ما حتى اكتسبته، وكذلك الرحمة؛ إنما تكتسب وتنمى - حال إرادتها أو افتقادها وضعفها - بالتدريب والتنقية والترقية الذاتية.

4. القيام بأعمال البر والإحسان:

فحين شكا رجل إلى النبي ﷺ قسوة قلبه؛ دلَّه النبي ﷺ على ما يرقق قلبه، ويملؤه رحمة وشفقة، قائلاً له: "إن أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم"⁴. ويلحق بذلك شتى أعمال الخير من زيارة

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6024، 8/ 12، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2165، 4/ 1706.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 4/ 285، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1924، 4/ 323.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6094، 8/ 25، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2607، 4/ 2012.

4 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 9018، 14/ 558، وانظر: البيهقي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 8/ 160.

للمريض، وكفالة لليتيم، ومواساة للمحروم، وإغاثة للفقير، ومساعدة للمحتاج...، وغيرها من أعمال البر والإحسان؛ فإن مخالطة الضعفاء والمحتاجين والإسهام في تخفيف معاناتهم؛ يعزز مشاعر الرحمة في قلب الإنسان، ويغمره بالركة واللين والعطف.

5. صحبة الرُحماء:

فالسَّاحِبُ يُعَدِّي، و"الرجل على دين خليله"¹، و"مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك - أي: يعطيك ويتحفك -، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة"²، ومن طيب صُحبة الرُحماء أن تنتقل رحمتهم إلى قلوب أصحابهم وطبائعهم، فالطَّبْعُ لَصٌّ يسرق الخير والشَّرَّ كما قيل³، وصحبة الرحماء تقتضي الاقتداء بهم، والاهتداء بوصاياهم، كما قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَفْتَدِي

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4833، 259/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2378، 589/4.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5534، 96/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2628، 2026/4.

3 المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت: 689هـ)، مختصر منهاج القاصدين، قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، 1398 هـ - 1978 م، ص 153.

6. التواصي بالمرحمة:

وتلك من أخص صفات المؤمنين العاملين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾ [البلد: 17]، فإن الأمر الإلهي للمؤمن لم يقتصر على فعل الرحمة، بل تعداه إلى الحث عليه، ونشره بين الناس وإشاعته، فالمؤمن يحض من حوله على رحمة الخلق، والرفق بهم، والشفقة عليهم، والسعي في حوائجهم، فتتعزيز الرحمة في قلوب الأفراد، ويشيع أثرها في المجتمعات، ويعم خيرها العالمين، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾، "يعني: رحمة الناس كلهم"¹. وقيل: "وتواصوا بالبر فيما بينهم، والرحمة لليتيم، والمسكين، والضعيف"².

7. الدعاء:

فالرحمة رزق، يجعله الله بين الناس، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: 63]، وبين الأزواج، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]، وبين المخلوقات، "ففيها يتعاطفون، وفيها يتراحمون، وفيها تعطف الوحش على ولدها"³، والله تعالى هو الرحيم الذي يمنُّ على عباده بالرحمة وينعم بها، فإذا امتن برحمته فلا رادَّ لها، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

1 ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي، الحنظلي، الرازي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط3، 1419هـ، 13 مج، 3435/10.

2 الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت: 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1994 م، 4 مج، 493/4.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2752، 2108/4.

لَهَا وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴿ [فاطر: 2]. وقد ذكر الله تعالى دعاء الراسخين في العلم: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8]، ودعاء الفتية أهل الكهف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: 10]، وكان النبي ﷺ يدعو بين السجدين فيقول: "اللهم اغفر لي وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني"¹.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 850، 224/1، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 284، 76/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 2895، 72/5.

ما لا يعارض الرحمة:

الرحمة قوة داخلية، ورحابة نفسية، تتكامل مع قيم العدل والحزم، فلا تعني - بحال من الأحوال - التهاون أو الضعف، فصاحب القلب الرحيم يجمع في معاملاته بين الحزم واللطف، والجد والعطف، حسب ما تقتضيه المصلحة الخاصة والعامة.

ومن هنا لا تتعارض رحمة المربي والمعلم... مع حزمه وضبطه، وعقابه من استحق العقاب رحمةً به وبغيره، وكما قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم¹

فيكون لينه مع من يربهم ليناً لا تفريط معه لشيء من مصالحهم، ولا مجارة لهم في التساهل فيما لا ينبغي التساهل فيه، ويكون عقابه تهديباً لا تعذيباً، لا يخرج عن مشكاة الرحمة والرفق، ولا يخالف ضوابط العقوبة التربوية الصحيحة.

كذلك الطبيب؛ قد يُلزم المريض بالدواء - كُرْهاً - رحمةً به، والقاضي قد يُنزل العقوبة القاسية في ظاهرها رحمةً بالمخطئ وردعاً له ولغيره عن سيئ الأفعال، وقد يتخذ المدير أو المسؤول قراراً ظاهره الشدة وفي باطنه الرحمة لمن وقع تحت إدارته ومسؤوليته... وهكذا.

1 النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين (ت: 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423 هـ (33 مج)، 7 / 291.

كما لا تتعارض رحمة الله مع ما يقع من كوارث طبيعية وزلازل ووفيات وأحداث في حركة الكون والطبيعة، فذلك لا يخرج من طبيعة الكون وحكمة الله وإرادته ورحمته التي وسعت كل شيء، وهي لا تخلو من رحمة الله ولطفه، كما أنها تفتح الباب للتراحم الإنساني والتضامن الاجتماعي.

خاتمة:

وهكذا؛ فإن الرحمة صفة حسنى من صفات الرحيم جل جلاله،
وُخِّلَ أَسَى من أخلاق النبي الكريم ﷺ، وقيمة ثابتة في رسالات السماء،
وسمة عليا من سمات الصالحين والأتقياء، يتمثلونها مع كافة المخلوقات،
في جميع الأزمان، وسائر الأحوال، يستمطرون بها رحمة الرحيم الرحمن،
وينالون محبة الناس، وتتحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، ﴿هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60].

هذا وإنَّ الرَّحْمَةَ باعتبارها إحدى القيم المركزية الكبرى التي يقوم عليها
الدِّين؛ تندرج تحتها مجموعة قيم أو مفاهيم تتفرَّع عنها، نتناول منها في هذا
الكتاب:

- الإحسان.
- الرفق.
- العطاء.
- الرأفة والعطف.
- التعاون والتضامن.

الإحسان

مقدمة:

الإحسان من متعلقات الرحمة، وقد تقدّم في تعريف قيمة الرحمة أنها رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم¹، فهي انفعال متمثل بالبرقة والعطف والجزع، يتلوه فعل متمثل في الإحسان والرفق والعطاء... وكل ذلك هو من القيم الفرعية التي تندرج تحت الرحمة وتتفرع عنها.

وفي الإحسان بذلٌ وعطاءٌ وإنفاقٌ، وقيامٌ بالواجب، فالمحسن يقدّم الخير والنفع لنفسه وللآخرين، ولا يواجهُ الإساءةَ بمثلها، بل يعفو ويصفح، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

والإحسان من صفات الله تعالى الفعلية، ومن صفات رسله وسمات رسالاته، فهو روحُ الإيمان والإسلام، وشاملٌ جميع الأقوال والأفعال، ويعدُّ من صفات الصالحين المصلحين، والعابدين المقربين، ومن يُحِبُّهم الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

1 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 347، (رحم).

تعريف الإحسان:

أولاً- في اللغة:

يعودُ معنى الإحسان في اللغة إلى الجذر "حسن"، ومن أهم معانيه:

1. الوصف الجميل المستحسن: الحاءُ والسَّيْنُ والنُّونُ أصلٌ واحدٌ، فالْحُسْنُ ضدُّ القُبْحِ¹. وهو نَعْتُ لِمَا حَسُنَ².
2. الفعل الجميل: فالإِحْسَانُ: ضدُّ الإِسَاءَةِ³، والإِحْسَانُ: الإنعام على الغير، ومنه يقال: أَحْسَنَ إلى فلان⁴، وله، وبه: فَعَلَ مَا هُوَ حَسَنٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7]⁵.
3. الإجادة والإتقان: يقال: أحسن الفعل: إذا علم علمًا حسنًا، أو عمل عملاً حسنًا⁶. وأَحْسَنَ الشَّيْءُ: أَجَادَ صُنْعَهُ وَاتَّقَنَهُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: 3]⁷.
4. الإخلاص في العمل: هذا المعنى يستند إلى حديث جبريل الشَّهِير عندما سأل النبي محمدًا ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وحقيقته:

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 57/2، (حسن).

2 ابن منظور، لسان العرب، 114/13، 117، (حسن).

3 السابق.

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص235، (حسن).

5 مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 174/1، (حسن).

6 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص235، (حسن).

7 مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 174/1، (حسن).

"أَنْ تَعْبَدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"¹، وقد "أَرَادَ بِالْإِحْسَانِ الْإِخْلَاصَ؛ وَذَلِكَ أَنْ مِنْ تَلَفُظٍ بِالْكَلِمَةِ وَجَاءَ بِالْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ إِخْلَاصٍ لَمْ يَكُنْ مُحَسَّنًا، وَلَا كَانَ إِيمَانَهُ صَحِيحًا"².

ثانيًا- في الاصطلاح:

لِلْإِحْسَانِ فِي الْاصْطِلَاحِ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ السِّيَاقِ الَّذِي يَرِدُ فِيهِ:

• فَإِذَا وَرَدَ الْإِحْسَانُ مُطْلَقًا؛ فَهُوَ بِمَعْنَاهِ اللَّغْوِيِّ الَّذِي هُوَ فِعْلٌ مَا هُوَ حَسَنٌ، وَالْحُسْنُ فِي اللُّغَةِ: عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَبْهَجٍ مَرْغُوبٍ فِيهِ، وَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ: مُسْتَحْسِنٌ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ، وَمُسْتَحْسِنٌ مِنْ جِهَةِ الْهَوَى، وَمُسْتَحْسِنٌ مِنْ جِهَةِ الْحَسَنِ، وَالْحَسَنُ يُقَالُ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَحْدَاثِ، وَالْحُسْنَى لَا يُقَالُ إِلَّا فِي الْأَحْدَاثِ دُونَ الْأَعْيَانِ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ "الْحَسَنُ" فِي الْمُسْتَحْسِنِ بِالْبَصَرِ؛ يُقَالُ: رَجُلٌ حَسَنٌ، وَامْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ، وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ "الْحَسَنِ" فَلِلْمُسْتَحْسِنِ مِنْ جِهَةِ الْبَصِيرَةِ³.

- أَمَّا إِذَا اقْتَرَنَ الْإِحْسَانُ بِالْفِعْلِ؛ فَيُفِيدُ حُسْنَ النَفْسِ أَوْ الْغَيْرِ، قَالَ الْكُفَوِيُّ: "الْإِحْسَانُ: هُوَ فِعْلٌ مَا يَنْفَعُ غَيْرَهُ؛ بَحِيثٌ يَصِيرُ الْغَيْرُ حَسَنًا بِهِ، كإِطْعَامِ الْجَائِعِ، أَوْ يَصِيرُ الْفَاعِلُ بِهِ حَسَنًا بِنَفْسِهِ، يُقَالُ: أَحَسَّنَ الرَّجُلُ؛ إِذَا صَارَ حَسَنًا أَوْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ حَسَنٍ"⁴.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 36/1، 8.

2 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 387/1، (حسن).

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 235، (حسن).

4 الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 53.

• وإذا اقترنَ الإحسان بالعدل؛ أفاد درجةً فوق العدل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، فالإحسان فوق العدل، وذلك أنَّ العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقلَّ ممَّا له، فالإحسان زائدٌ على العدل، فتحري العدل واجبٌ، وتحري الإحسان ندبٌ وتطوُّعٌ. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَدَّاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 178]، ولذلك عظمَ الله تعالى ثواب المحسنين، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]¹.

• وإذا اقترنَ الإحسان بالإيمان والإسلام؛ كان المراد به الإخلاص والمراقبة وحُسنُ الطَّاعة²، وقد فسَّره النبي ﷺ بذلك عندما سأله جبريل: ما الإحسان؟ فقال: "أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"³.
الإحسان: فعل ما يحسن، حسًا أو عقلاً أو شرعًا، فيزيد في حُسن النفس أو الغير، ومن معانيه: الإتيان وإنجاز المهام على أكمل وجهٍ.

1 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 236 - 237، (حسن).

2 انظر: ابن منظور، لسان العرب، 117/13، (حسن).

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 19/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8، 36/1.

أهمية الإحسان:

الإحسانُ جامعٌ لجميع أبواب الخير، وتبرز أهميته في أمور، أهمها:

1. أنه من الصفات الفعلية لله تعالى:

الإحسان صفةٌ اتصفَ الله تعالى بها؛ فهو صاحب الفضل والمِنَّة على كلِّ ما خلق في الكون، وهو الذي يعطي ابتداءً، ويعفو عَمَّنْ أساء، ويغفر لمن أذنب، رحمةً منه وفضلاً، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].

وإحسان الله تعالى إلى عباده فرع عن رحمته، وقد أمر الله عباده بالإحسان، فقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، وكتبَ الله تعالى الإحسان على كل شيء، وفي الحديث: "إن الله كتبَ الإحسانَ على كل شيء"¹.

2. أنه من صفات الأنبياء عليهم السلام:

ففي قصة يوسف عليه السلام، وفي لحظة ابتلائه عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]. وفي آخر قصته قال: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...﴾ [يوسف: 100]، وكأنه كان عليه السلام يديم استحضار إحسان ربه وفضله، فكان يحفظ هذا الإحسان بالإحسان؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1955، 1548/3.

[القصص: 77]، فكان رده عليه السلام إحساناً شهد له القرآن مرات في سورة يوسف، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجَزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22]، ولما سألته أصحابه في السجن تعبير الرؤيا قالوا: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]، ثم لما صار على الخزان قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56]، ولما أوى إليه أخاه ناشده إخوته: ﴿قَالُوا يٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 78]، ثم لما عرفوه ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

وشهد الله لنوح عليه السلام بالإحسان، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنَعَمْ الْمُجِبُّونَ ۖ وَخَيَّنُوهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۖ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۖ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَلَمِينَ ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نُجَزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 75-80]، والمعنى: أننا إنما خصصنا نوحاً عليه السلام بتلك التشريفات الرفيعة؛ من جعل الدنيا مملوءة من ذريته، ومن تبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين، لأجل أنه كان محسنًا¹.

وشهد الله - كذلك - لموسى عليه السلام بالإحسان فقال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: 154]، "والمعنى: آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتي في الآخرة، تمامًا على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته"².

1 الرازي، التفسير الكبير، 340/26.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 676/9.

3. أمر الله بالإحسان في مختلف الكتب السماوية:

أمر الله تعالى بالإحسان في مختلف الكتب السماوية، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، ثم قال للمسلمين: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

مجالات الإحسان:

يأتي الإحسان على درجاتٍ وأنواعٍ متعدّدة، تنضوي كلها تحت المفهوم السَّابِق، وتتسع مجالاته لتبدأ من إحسان الإنسان إلى نفسه، ثم يتسع إحسانه ليشمل جميع الناس، ثم جميع الخلق.

أولاً- الإحسان إلى النفس:

والإحسانُ إلى النفس يكون برحمتها وصونها عما يؤذيها، والحرص على ما ينفعها وينمّيها ويرقيها، واجتهاد الإنسان في رفع ذِكْرِهِ، واجتنابه ما لا يجمل ولا يليق، حفظاً لمنزلته وكرامته وسمعته، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: 7].

ثانياً- الإحسان إلى الناس جميعاً:

وذلك بحسن المعاملة والعشرة والصحبة، وبحسن القول؛ قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، وبحسن الفعل، قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وهذا المستوى من الإحسان يشمل حتى المخالفين، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13].

وقد ذكر القرآن الكريم الإحسانَ إلى أصنافٍ معينة؛ وذلك لتأكيد الإحسان إليهم، فقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، وقال في موضعٍ آخر: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَبِذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ [النساء: 36]، فَحَثَّتِ الْآيَاتَانِ
عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى أَصْنَافٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَهَمَّ:

1. الوالدان:

ومن الإحسان إليهما:

أ- خدمتهما، وتقديم يد العون لهما في كل ما يحتاجانه، والإنفاق عليهما:
وقد ذكر القرآن الكريم الإحسان إلى الوالدين في أربعة مواضع، كلها
مقرونة بعبادة الله وحده، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83]، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا
حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:
151]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:
23]، وفي موضع خامس قرن شكرهما بشكره سبحانه، فقال: ﴿أَنْ
أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: 14]. "ومناسبة اقتران بر الوالدين بإفراد
الله بالعبادة؛ من حيث إنه تعالى هو الموجد حقيقة، والوالدان واسطة
في إنشائه - أي: الابن - وهو تعالى المنعم بإيجاده ورزقه، فهما ساعيان
في مصالحه"¹. وفي هذا دليل على أهمية الإحسان إليهما ولزوم برّهما.

1 أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق
عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، 1413 هـ - 1993 م
، 35/7.

ب- طاعتهما بالمعروف، وإحسان صحبتهما: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: "أُمك"، قال: ثم مَنْ؟ قال: "ثم أمك"، قال: ثم مَنْ؟ قال: "ثم أمك"، قال: ثم مَنْ؟ قال: "ثم أبوك"¹.

ج- ترك ما يؤذيهما، وعدم رفع الصوت بحضرتهما: وقوله: ﴿إِنَّمَا يَبْغُضَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ﴾ أي: لا تُسمعهما قولاً سيئاً، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ، ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعلٌ سيء... ولما نهاه عن القول السوء والفعل السوء، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

2. الأقارب والأرحام:

وقد ورد الحثُّ عليهما في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [البقرة: 83]، وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [النساء: 36]. وعدَّ القرآنُ الإحسانَ إلى الأقرباء من جملةِ حقوقهم، فهناك خمسة عشر آيةً تؤكدُ على هذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 75]، وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: 36]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90]، وقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: 26]...

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5971، 2/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2548، 1974/4.

وآيات أخرى، وكلما كانت القرابة أدنى؛ كان الإحسان إليها أكّد، وأولى القرابة بالإحسان الزوجة والأولاد.

ويتمثل الإحسان إلى الأقارب في صلة الأرحام، والتودّد إليهم، والبر بهم، وتحمل إساءتهم، والعفو عن مسيئهم، ومما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75].

ولقد أعظم الإسلام من حق الرحم وصلتها، ومما يدل على هذا قوله ﷺ: "إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك" قال رسول الله ﷺ: "فاقروا إن شئتم: ﴿٦١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾" [محمد: 22]، ففي الآية تشديد على من يقطع رحمه، ووعيد له، بقرن فعله بفعل المفسد في الأرض.

وليست صلة الرحم بأن يحسن إليهم إذا أحسنوا إليه وأن يصلهم إذا وصلوه، بل إن صلة الرحم المشروعة هي أن يصلهم حتى ولو قطعوه ويحسن إليهم حتى ولو منعوه ولم يكافئوه. ومما يدل على هذا قوله ﷺ: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَهَا"¹. والإنفاق على الأهل والأرحام والأقارب أفضل وأعظم بدرجات من

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5991، 6/8.

الإنفاق على غيرهم، قال رسول الله ﷺ: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك؛ أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك".¹

وحق عند انتهاء الزوجية لا ينتهي الإحسان، فقال تعالى للرجال: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعُوا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236]، وقال للنساء وأولياهن: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237].

أما الأبناء فقد ضمن الإحسان إليهم نعيم الآخرة وعصم من شقائها، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة، فأعطيتهما فقسمتهما بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته، فقال: "من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن؛ كن له سترًا من النار".²

3. اليتامى:

لا شك أن اليتيم يحتاج إلى إحسان ورعاية خاصة، فهو إنسان ضعيف فقد من يعينه ويسانده، والله تعالى حضَّ على الإحسان إلى الأيتام، فقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ...﴾ [النساء: 36]، وقال أيضاً: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]، أي: فلا

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 995، 692/2.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5995، 7/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2629، 2027/4.

تظلمه، فتذهب بحَقِّه، استضعافًا منك له¹.

وجعل النبي ﷺ الإحسانَ إلى اليتيم من علامات الخيرية في البيوت، قال ﷺ: "خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يَتِيمٌ يُحَسِّنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يَتِيمٌ يُسَاءُ إليه"².

كما أن الإحسان إلى اليتيم سببٌ لدخول الجنة وصحبة النبي ﷺ فيها، ففي الحديث: "مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لم يمسحهُ إلا الله، كان له بكل شعرةٍ مرَّت عليها يده حسنات، وَمَنْ أَحَسَّنَ إلى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عنده، كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين" وقرن رسول الله ﷺ بين أصبعيه السبابة والوسطى³.

ومن الإحسان إلى اليتيم: حفظ ماله وعدم الاقتراب منه إلا اقترابًا يَتَّسِمُ بالإحسان، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: 152]، وحدَّر سبحانه وتعالى من ظلم اليتيم وأكل ماله، وجعل ذلك موجبًا للعقوبة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]، وذلك لشدة فعلهم.

1 انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 490/24.

2 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3679، 1213/2.

3 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 22153، 474/36.

4. المساكين:

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: 36]، جمع مسكين، وهو من يقلُّ كسبه عن الوفاء بحاجته؛ فيشمل الفقير¹، وقد ذكر الله تعالى المساكين في كثير من الآيات، وأمر بالإحسان إليهم وتفقد أحوالهم ومساعدتهم، قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]، وقال أيضًا: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: 177].

وكان ﷺ يسأل عن المساكين، ويستفسر عن أحوالهم، ويحث على مساعدتهم ومواساتهم، ومن صنوف إحسانه ﷺ للمساكين أنه كان يعينهم في أمر دنياهم، ففي الحديث أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال ﷺ: "أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟" قال: بَلَى، جَلَسَ تَلَبَّسُ بَعْضُهُ، وَنَبَسُ بَعْضُهُ، وَقَعَبَ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قال: "اِئْتِنِي بِهِمَا"، فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وقال: "مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟" قال رجل: أَنَا أَخَذَهَا بِدَرَاهِمٍ، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ يَزِيدُ عَلَى دَرَاهِمٍ؟" - مرتين أو ثلاثاً - قال رجل: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وقال: "اشْتَرِبَا أَحَدَهُمَا طَعَامًا فَاذْهَبَا إِلَى أَهْلِكِ، وَاشْتَرِبَا الْآخَرَ قَدُومًا فَاتْنِي بِهِ"، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَوْدًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "اذْهَبْ فَاحْتَطَبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيْتَكَ خَمْسَةَ عَشْرَ يَوْمًا"، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ، وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا...².

1 مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، نشرته الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1414هـ - 1993م، 810/2.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1641، 120/2، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 2198، 740/2.

ومن إحسانه ﷺ لهم أنه كان يعودهم إذا مرضوا، ويُصلي عليهم إذا ماتوا، ففي الحديث أَنَّ مَسْكِينَةً مَرَضَتْ، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرَضِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ الْمَسَاكِينَ، وَيَسْأَلُ عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا مَاتَتْ فَأَذِنُونِي"، فَأُخْرِجَ بِجَنَازَتِهَا لَيْلًا، وَكُرِهُوا أَنْ يُوقِفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَ بِالَّذِي كَانَ مِنْهَا، فَقَالَ: "أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تُؤْذِنُونِي بِهَا؟"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَرِهْنَا أَنْ نَوْقِفَكَ لَيْلًا! فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَفَّ بِالنَّاسِ عَلَى قَبْرِهَا، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ¹.

وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ الْمَسَاكِينَ يَمْتَازُونَ عَنْ غَيْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ ﷺ: "قَمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةٌ مَنِ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ"²، وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ إِحْسَانٌ مَعْنَوِي لِلْمَسَاكِينِ، وَجِبْرٌ لَخَوَاطِرِهِمْ.

5. الجيران:

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ وَعَدِمَ إِيْذَانَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: 36]، أَي: أَحْسِنُوا إِلَى الْجَارِ الْقَرِيبِ نَسَبًا، وَالْجَارِ الْبَعِيدِ، وَمَعْنَى الْجُنُبِ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْغَرِيبُ الْبَعِيدُ، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُسْلِمٍ؛ لِأَنَّ الْجَارَ ذِي الْقُرْبَىٰ هُوَ الْجَارُ ذُو الْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْجَارُ ذُو الْجَنَابَةِ الْجَارَ الْبَعِيدَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ وَصِيَّةً بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْجِيرَانِ قَرِيبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ³، وَاسْمُ الْجَارِ عَامٌّ؛ يَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَغَيْرَ الْمُسْلِمِ

1 النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: 303هـ)، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2، 1406 هـ - 1986م، 9 مج، رقم الحديث: 1907، 40/4.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6547، 8/ 113، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2736، 4/ 2096.

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 11/7.

والعابدَ والفاسقَ والصدیقَ والعدُوَّ والغریبَ والبلدیَّ والنافعَ والضارَّ والقربَ والأجنبیَّ والأقربَ دارًا والأبعدَ، ولهُ مَرَاتِبٌ بعضها أعلی من بعضٍ¹.
وقد عدَّ النبی ﷺ الإحسانَ إلى الجار من علامات الإيمان، فقال ﷺ:
"مَنْ كان یؤمنُ بالله والیوم الآخر فلیُحسِّنْ إلى جاره..."²، وقال ﷺ أيضًا:
"وأحسِّنْ جِوارَ مَنْ جاورَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا"³. "فحفظُ الجار من کمالِ الإيمانِ،
ویحصلُ امتثالُ الوصیةِ به بإیصالِ ضروبِ الإحسانِ إلیه بحسبِ الطاقةِ؛
كالهدیة، والسلام، وطلاقَةِ الوجهِ عند لقائه، وتفقُّدِ حاله، ومعاونتِه فیما
یحتاجُ إلیه إلى غیرِ ذلك، وكفِّ أسبابِ الأذى عنه على اختلافِ أنواعه؛
حسبِةً كانت أو معنویة"⁴.

كما حث النبی ﷺ على مشاركة الجار بالطعام، وهذا أحدُ ضروبِ
الإحسانِ بین الجيران، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنَّ النبی ﷺ قال: "يا أبا
ذرٍّ، إذا طبختَ مرقَّةً فأكثرِ ماءَها، وتَعاهدُ جِيرانَكَ"⁵.

وكان جبریل علیه السلام یوصي النبی ﷺ بالإحسانِ إلى الجار وإكرامه،
حتى ظنَّ ﷺ أنه سیورثه، كما قال: "ما زال جبریلُ یوصیني بالجار، حتى
ظننتُ أنه سیورثُهُ"⁶.

1 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 441/10.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6019، 11/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم
الحديث: 48، 69/1.

3 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4217، 1410/2.

4 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 442/10.

5 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2625، 2025/4.

6 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6015، 10/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم
الحديث: 2625، 2025/4.

6. العائلة والأصدقاء:

في قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: 36]، روي في تفسيرها أنه الذي معك في منزلك؛ امرأتك وولدك، أو: الجليس في الحضر، والرفيق في السفر، أو: الرفيق الصالح¹، وقيل: "وهو الذي صحبتك بأن حصل بجنبك؛ إما رفيقًا في سفر، وإما جارًا ملاصقًا، وإما شريكًا في تعلُّم أو حرفة، وإما قاعدًا إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك، من أدنى صحبة التَّأَمَّتْ بينك وبينه، فعليك أن ترعى ذلك الحقَّ ولا تنساه، وتجعله ذريعة إلى الإحسان"².

7. الضيف والمسافر:

في قوله تعالى: ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: 36]، وهو المسافر الذي انقطع عن بلده، وقيل: الضيف³، وقيل: الضيف الفقير، أو الضيف المسافر، ولابن السبيل حق في الزكاة، وإن كان غنيًا، يعني: إذا كان منقطعًا به⁴، والوصاية به لأنه ضعيف الحيلة، قليل المعين؛ إذ لا يهتدي إلى أحوال قوم غير قومه، وبلد غير بلده⁵.

1 انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 14/7.

2 الرازي، التفسير الكبير، 77/10.

3 السابق.

4 انظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، 950/3.

5 ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 51/5.

ثم بعد الوصية بالإحسان عامة، وتخصيص هذه الأصناف بالذكر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36]، وهذا تعليل للأمر بالإحسان إلى من ذكروا؛ كأنه قيل: أحسنوا إلى هؤلاء ولا تتغالبوا عليهم؛ لأن الله لا يحب المختال، وهو المتكبر المعجب بنفسه، المتعالي على غيره، والفخور: الذي يزعم لنفسه الفضل على من عداه، المتباهي بحسب ما قدّمه من معونة وإحسان¹.

ثالثاً- الإحسان إلى البيئة:

وهذا المستوى يشمل الحياة بكل ما فيها من حيوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، وقال ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كلّ شيء"². وقال: "في كلّ كبدٍ رطوبةٌ أجر"³، وفيه دليل على أنه لا يجوز قتل شيء من الحيوان، إلا ما أضرب بالإنسان في مال أو نفس، وأما ما انتفع به الإنسان من كل ذي كبد رطوبة فلا يجوز قتله؛ لأنه كما يؤجر المرء في الإحسان إليه، كذلك يؤزر في الإساءة إليه، والله أعلم⁴.

1 مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 811/2 - 813.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1548/3، 1955.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2363، 111/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2244، 1761/4.

4 ابن عبد البر، التمهيد، 232/14.

ثمرات الإحسان:

من ثمرات الإحسان ونتائجه:

1. محبة الله تعالى، ورحمته، وهدايته، ومعيته:

أ- أما محبته تعالى للمحسن فدلِيلها قوله تعالى: ﴿لُكَّةٌ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وهذه الآية تكررَت ثلاث مرات في القرآن الكريم¹.

ب- وأما رحمة الله تعالى: فلقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

ج- وأما هداية الله تعالى: فلقوله: ﴿الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: 1-3].

د- وأما معية الله تعالى: فلقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، والمقصود من معيته تعالى هنا أنه - سبحانه - يعينهم ويحفظهم، فهي معية رعاية وحفظ²، ومَن كان الله معه ما ضرَّه غيره.

1 في آل عمران، الآية: 134، والآية: 148، وفي المائدة، الآية: 93.

2 مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 708/5.

2. محبة الناس، وإصلاح ما قد يقع بينهم:

فالمحسنُ يكتسب محبة الناس له؛ لأنَّ القلوبَ مفطورةٌ على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها، فالناسُ يلتفُّون حولَ المحسنينَ، ويُدافعونَ عنهم. قال الشَّاعر:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وإنَّ أَسَاءَ مُسِيٍّ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ¹

والإحسان وسيلة لإزالة ما يمكن أن يقع في النفوس من الحسد والغل، وسوء الفهم والظنّ ونحو ذلك؛ لأنَّ الدَّفْعَ بالحسنة - وهي إحدى صور الإحسان - يقضي على العداوات بين النَّاسِ ويبذلها صداقة حميمة ومودَّة، وتنطفئ بذلك نارُ الفتنِ وأسباب الصِّراعات، قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، وبذلك يكون الإحسان وقاية للمجتمع من الآفات الاجتماعية، ويحميه من الخراب والهلاك؛ فهو يجعل المجتمع متماسكًا مترابطًا، لأنَّه يؤدي إلى توثيق الرِّوابط وتوفير التَّعاون.

3. زيادة الأجر والثواب:

المحسنُ يحسنُ اللهُ تعالى إليه، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]، وقال تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58]، وقال: ﴿كُلٌّ مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهُهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ

1 البسقي، علي بن محمد، أبو الفتح (ت: 400هـ) ديوان أبي الفتح البسقي، تحقيق شاعر العاشور، دار صادر للطباعة والنشر، 2014م، ص6.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: 120]... إلى غير ذلك من الآيات ظاهرة الدلالة بزيادة الأجر والثواب للمحسنين.

4. البشرى بالخير:

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّبَشَرٍ لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: 12]، وقال أيضاً: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: 37]، فبشره الله بذلك، والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به؛ فيصير محسناً إلى نفسه بتوفير الثواب عليه¹.

5. الإحسان في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، قال السُّدي: العافية والصحة²، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30]، فبيّن القرآن الكريم أن المحسن ينال جزاء إحسانه إحساناً في الدنيا قبل الآخرة.

6. الفوز بالجنة:

فهي الحُسنَى جزاء المحسنين عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

1 الرازي، التفسير الكبير، 227/23.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 179/20.

هَمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [يونس: 26]، وقال تعالى: ﴿فَأَتَّبَعَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: 85].

7. العصمة من العذاب في الآخرة:

لقوله ﷺ: "مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ"¹. فالإحسان إلى البنات خاصة يعصم صاحبه من العذاب يوم القيامة، ومعنى: "أحسن إليهن" أي: صانهنَّ وقام بما يصلحهنَّ، ونظر في أصلح الأحوال لهنَّ، فمن فعل ذلك، وقصد به وجه الله تعالى، عافاه الله تعالى من النار، وباعده منها، وهو المعبر عنه بالستر من النار².

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5995، 7/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2629، 2027/4.

2 القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (578 - 656 هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، 1417 هـ - 1996 م، 7 مج، 636/6.

طرق وآليات اكتساب الإحسان وتعزيزه:

مَنْ أَرَادَ الْوَصُولَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ وَرَغِبَ بِنَيْلِ ثَمَرَاتِهِ فَسَبِيلُهُ الْإِلْتِمَامُ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي بَيْنَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، أَوْ ذِكْرُهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَكَلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ كَانَ نَصِيبُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ أَكْبَرَ، وَمِنْهَا:

1. الاهتمام بهدي القرآن الكريم:

ورد الإحسانُ في القرآن الكريم بسياقاتٍ متعددة؛ فوردت كلمة "المحسنين" ثلاثين مرةً، ووردت كلمة "أَحْسَنَ - بِأَحْسَنَ - فَأَحْسَنَ - وَأَحْسَنَ" ثلاثاً وأربعين مرةً، كما وردت بصيغة الماضي "أَحْسَنُوا" ستَّ مراتٍ، وأمر الله عز وجلَّ بالإحسان بصيغة: "أَحْسِنْ" مرةً واحدةً، وبصيغة "أَحْسِنُوا" مرةً واحدةً أيضاً، وقال لموسى ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: 145]، وقال لقومه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: 7]، وبشر ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 18].

وذكر القرآن الكريم صفات المحسنين في مواطن عدة، منها:

• بذل الصدقات:

ففي الإنفاق طاعةٌ لله تعالى، وتزكيةٌ للنفسِ ببذل ما تحبُّ، وفيه مساندةٌ ومساعدةٌ للآخرين المحتاجين، وقد اقترن الإنفاق بالإحسان بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

• التزام التقوى:

وهي فعلُ المأمورات وترك المنهيات، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93].

• كظم الغيظ والصفح والعفو عن الناس:

ويكون في عدم مواجهة الإساءة بالإساءة، وهذا يتطلب تهذيب النفس وتدريبها على كظم الغيظ وتمثل العفو، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

• الإحسان للنفس، وللغير:

ومن صفات المحسنين التي ذكرها القرآن الكريم أنهم كانوا يحسنون في الدنيا إلى أنفسهم، وذلك بالتزام هدي ربهم من قيام الليل والاستغفار بالأسحار، وكانوا محسنين إلى غيرهم ببذل المال والصدقات كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: 15 - 19].

• حسن الصحبة:

وأهمها ما سبق بيانه في قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَلَدَيْنِ إِحْسَانًا وَذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [البقرة: 83].

• السماحة في طلب الحق، والإحسان في أدائه:

لقلوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: 178]، وقوله: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: 229]، وقوله: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ أَلْوَسِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ أَلْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعَاءً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236].

• القول الحسن:

أمر الله تعالى بحسن القول في مواضع عدّة من القرآن الكريم، وبين أن القول الحسن يفتح أبواب الإحسان، ويغلق مداخل الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53]، وقال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

• المبادرة للتحية:

لما تحمله من معاني السلام والمبادرة بالإحسان، ويكون الرد بأحسن منها، ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: 86].

• الصبر:

وهو نوع من الإحسان، لقلوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115]، وقوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172].

2. إتقان العمل، وتطوير الذات:

من معاني الإحسان الإجادَةُ والإتقان كما تقدَّم في التعريف، فالمحسن يحرصُ على تحري الصواب في أموره كلها، ويطالب نفسه بأن يكون أكثرَ إتقانًا في عمله وأكثرَ إحسانًا في تعاملاته وعباداته، وهذا الإتقانُ واحد من معايير التميُّز، قال بعض الحكماء: "لا يَكُنْ هُمُّ أَحَدِكُمْ في كثرة العمل، ولكن ليَكُنْ هُمُّهُ في إحكامه وتحسينه"¹.

وكان النبي ﷺ حريصًا على زرع فكرة إتقان العمل في نفوس أصحابه، فعن عاصم بن كليب عن أبيه أنه شهدَ مع أبيه جنازةَ شَهِدَها رسولُ الله ﷺ، وهو غلامٌ يعقلُ ويفهم، فأنشئ بالجنائز إلى القبر، ولم يُمكنْ لها، فجعل رسولُ الله ﷺ يقول: "سَوُّوا لَحْدَ هذا" حتى ظنَّ الناسُ أنه سُنَّةٌ، فالتفتَ إليهم، فقال: "أَمَّا إِنَّ هذا لا يَنْفَعُ المَيِّتَ ولا يَضُرُّهُ، ولكن الله يُحِبُّ من العَامِلِ إذا عَمِلَ أن يُحَسِّنَ"².

ولا شك أن الإنسان يحتاج إلى تطوير ذاته ورفع كفاءته وزيادة خبراته وتنمية مهاراته حتى تصل به إلى درجة الإتقان والإحسان، فيرتقي بنفسه ويحسِّنُها، ولا يمرُّ عليه الزمن وهو ثابتٌ في مكانه، فقد ورد في الأثر: "مَنْ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ"³.

1 من قول وَهَّيب، انظر: أبو نُعَيْم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، مصر، 1394هـ/1974م، 153/8.

2 البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م، رقم الحديث: 4932، 235/7.

3 أبو نُعَيْم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 35/8.

3. تمثُّل القيم الإنسانية والاجتماعية التي ترسخُ الإحسان وتُثبتُهُ:

ومن آليات اكتساب الإحسان أن يتمثَّل الإنسانُ القيم الإنسانية والاجتماعية الحميدة، حتى وإن وجد بعض الناس لا يتمثلها، بل حتى لو لاقى منهم نقيضها، قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: 96]، وقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34].

قال رسول الله ﷺ: "لا تكونوا إمعة؛ تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا! ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا فلا تظلموا"¹.

يقول عثمان بن عفان: "إذا أحسنَ النَّاسُ فأحسنِ معهم، وإذا أسأؤوا فاجتنِبْ إساءَتَهُمْ"².

4. الرقابة الذاتية:

فاستحضر هذا المعنى، واستشعارُ معيَّة الله تعالى وإطلاعه على السرِّ والعلن كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]؛ يُعينُ الإنسانَ على الإحسان في كل شيء؛ وهذا من معاني الإحسان كما سبق: "أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"³.

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2007، 4 / 364.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 695، 1 / 141.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 50، 1 / 19، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 8، 1 / 36.

خاتمة:

يظهرُ جليًّا مما تقدَّم كثرةُ النصوص القرآنية والنبوية التي تدعو إلى الإحسان، وتأمُّرُ به، وترفع شأنَ أهله، وليس ذلك باستقصاء لما ورد، وإنما غيض من فيض ونزر قليل من كثير.

وتشتد الحاجة اليوم إلى الإحسان في العالم؛ حتى صار التوجه العالمي فيه إلى رعاية الحقوق، وإقامة العدل، ودعم المبادرات وعقد الاتفاقيات التي تقوم على ترسيخ العدل، وفتح الآفاق للإحسان، كحقوق الإنسان عامة، وحقوق الطفل والمرأة خاصة، وحتى حقوق الحيوان والبيئة... كل ذلك لترسيخ هذا المعنى وإسعاد الناس بإحسان بعضهم إلى بعض، ويبقى صاحبُ الإحسان أسعدَ الناس بإحسانه؛ في الدنيا والآخرة.

الرفق

مقدمة:

الرفقُ وجه من وجوه الرحمة، وفعل يعبر عنها، وثمرة من ثمراتها، وفرع من فروعها، هذا الارتباط الوثيق بين الرحمة والرفق يظهر في وصيته تعالى بالوالدين: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ يريد الرفق¹، و"من" في قوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، لبيان الجنس، أي: إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس².

والرفق دليلٌ على كمالِ عقل الإنسان، وقوّة التحكّم وعافية النفس، فيه سلامةُ العِرض، ونقاء الصدر، وراحة البال، وهو وسيلةُ التواصل والتواؤ، ولينُ الجانب، ولطفُ الفعل، وأخذُ للأمور بأحسنِ وجوها وأيسرِ مسالكها.

والرفقُ خلقٌ عظيم يحبه الله تعالى، ويعطي عليه ما لا يعطي على غيره، وهو من صفات الله تعالى، وأخلاق نبيه الكريم ﷺ، وسمة من سمات الحكماء والعقلاء.

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 284/13.

2 السابق، 244/10.

تعريف الرفق:

أولاً- في اللغة:

استُعْمِلَ الرفق في اللغة لمعانٍ، أهمها:

1. التوافق والمقاربة: "الراءُ والفاءُ والقافُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُوَافَقَةٍ ومُقَارَبَةٍ بِلا عُنْفٍ، فالرِفْقُ خِلافُ العُنْفِ... هذا هُوَ الأَصْلُ، ثُمَّ يُسْتَقْبَلُ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ يَدْعُو إِلَى رَاحَةٍ وَمُوَافَقَةٍ"¹.
2. اللطف واللين والسهولة: يقال: رَفَقَ بالأمرِ وله وعليه، لَطْفًا، وهو به رفيق لطيف، والرفق: لين الجانب ولطافة الفعل²، يقال: الله رفيق لعباده، من الرفق والرأفة، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ "مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ" أي: اللُّطْفُ³. وماء رفق ومرتع رفق، أي: سهل المطلب⁴.
3. النفع: ويقال: رفقتُ به، وأَرْفَقْتُهُ، أي: نَفَعْتُهُ، والمَرْفِقُ من الأمر هو ما ارتفعت به وانتفعت به⁵.
4. التعلُّل: فالرفيق: ضدُّ الأخرق، ومنه قول الشاعر:

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 418/2، (رفق)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1482/4، (رفق)، وابن منظور، لسان العرب، 118/10، (رفق).

2 ابن منظور، لسان العرب، 118/10، (رفق).

3 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 246/2.

4 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1483/4، (رفق).

5 السابق، 1482/4، (رفق).

ورافِقِ الرَّفَقَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إِنْسَانٌ
وَلَا يَغْرَنَّاكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقٌ فَالْخَرَقُ هَدْمٌ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بُنْيَانٌ¹

وفي الحديث قابلَ عليه الصلاة والسلام الرفقَ بالخرقِ، فقال ﷺ:
"لا يكون الخرق في شيء إلا شانه، وإن الله رفيق يحب الرفق"²، وفي
لفظ مسلم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء
إلا شانه"³، أي: عابه، وكان له شيئاً؛ لأن التهور ليس من محاسن
الأخلاق، وهو من مذايها⁴، ولأن الخرق والاستعجال والعنف مفسدٌ
للأعمال، وموجب لسوء الأحداث، ومفوت مصالح الدنيا، وقد يفضي
إلى تفويت ثواب الآخرة⁵.

5. التَّوَدُّةُ وَالتَّرَوُّي: ومنه يقال: رَفَقَتِ النَّاqةُ؛ بأن تشدَّ عضدها لتُخَبِّلَ
عَنْ أَنْ تُسْرِعَ⁶، وقال ابن الأعرابي: رفق: انتظر، ورفق إذا كان رفيقاً
بالعمل⁷، ومنه قول الشاعر:

1 أبو الفتح البستي، ديوان أبي الفتح البستي.

2 البخاري، الأدب المفرد، رقم الحديث: 466، ص165، والبزار، أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد
الخالق (ت 292هـ)، مسند البزار- البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن
سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2009م، رقم
الحديث: 657، 322/2.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2594، 2004/4.

4 القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 64/8.

5 القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 578/6.

6 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1482/4، (رفق).

7 ابن منظور، لسان العرب، 118/10، (رفق).

خُذِ الْأُمُورَ بِرَفْقٍ وَاتَّئِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرَّفْقِ أَحْسَنُ مَا تُؤْتَى الْأُمُورُ بِهِ يَصِيبُ ذَوِ الرَّفْقِ، أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ¹

6. الاجتماع والمصاحبة: والرَّفْقَةُ: الجماعةُ تُرافِقُهُمْ فِي سَفَرِكَ، واشتقاقه
من الباب، للموافقة². والرَّفْقَةُ بالكسر مثله، والجمع رِفَاقٌ، والرَّفِيقُ:
المُرافِقُ، والجمع الرُّفَقَاءُ³، ورفيقة الرجل: امرأته، ورفيق المرأة زوجها⁴.
قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

1 التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ (ت: 1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس
الطبيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت -
لبنان، 1997م، 8 مج، 5/ 582.

2 ابن فارس، مقاييس اللغة، 418/2، (رفق).

3 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1482/4، (رفق).

4 ابن منظور، لسان العرب، 121/10، (رفق).

ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يخرج معنى الرفق في الاصطلاح عن المعنى اللغوي المتقدم، والرفقُ: "هُوَ لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْهَلِ، وَهُوَ ضِدُّ الْعُنْفِ"¹. و"الرفقُ واللطفُ: المبالغةُ في البرِّ على أحسنِ وجوهه، والرفقُ في كلِّ أمرٍ أخذه بِأَحْسَنِ وجوهه وأقربها، وَهُوَ ضِدُّ الْعُنْفِ"².

وبالمجمل: يشير مفهوم الرفق إلى التعامل بلطف وعطف ورحمة وسهولة ولين مع الآخرين، ويعكس سلوكًا يقوم على التفهُّم والتعقُّل والتؤدة، ويؤدي إلى التوافق والتقارب وتقديم النفع، ويسرِّ اجتماع القلوب وترافقها، ويجنَّب القسوة أو العنف في التفاعلات مع الناس والمحيط.

1 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، 449/10، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 246/2.

2 القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (د.ط)، (د.ت)، 2 مج، 296/1.

أهمية الرفق:

الرفقُ سلوكٌ كريم في القول والعمل، واعتدالٌ وتوافق، واختيارٌ للأسهل والألطف، والرفقُ في الأمور كلها يؤدي إلى الصلح، ويعطي أفضل النتائج، بخلاف العنف الذي من شأنه الفساد وإعطاء أسوأ النتائج، فمن أعطي الرفق فقد أعطي خيرًا كثيرًا، ومن حُرِمَ منه فَقَدَ خيرًا كثيرًا.

وتبرز أهمية الرفق في أمور عدّة، منها:

1. الله تعالى رفيق، يحب الرفق ويعين عليه:

بحسب الرفق شرفًا أنه من صفات الله تعالى الفعلية، وأنه تعالى يحب الرفق، فالله جل جلاله رؤوفٌ بعباده، كريم في عفوه، رفيقٌ في أمره ونهيهِ، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19]، "والرفقُ في صفات الله تعالى وأسمائه: بِمَعْنَى: اللّطِيف الَّذِي فِي الْقُرْآنِ"¹.

وهذه الصفة الإلهية هي ما ذكره رسول الله ﷺ ودعا به عند نزعه، فروت عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ، وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسندٌ إليها ظهره يقول: "اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقي بالرفيق"².

1 القاضي، عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، 1/296.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4440، 6/11، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2444، 4/1893.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "يا عائشة، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ"، فيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق¹، والمعنى: أَنَّهُ لَيْسَ بِعَجُولٍ؛ وَإِنَّمَا يَعَجَلُ مَنْ يَخَافُ الْقَوْتَ، فَأَمَّا مَنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ فِي مُلْكِهِ وَقَبْضَتِهِ فَلَيْسَ يَعَجَلُ فِيهَا²، "يَحِبُّ الرَّفْقَ"³، أي: يأمر به، ويحضُّ عليه؛ لِأَنَّ حَبَّ اللَّهِ لِلطَّاعَةِ شَرْعُهُ لَهَا، وَتَرْغِيْبُهُ فِيهَا⁴، "وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"⁵.

وروي: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ، يَحِبُّ الرَّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيَعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يَعِينُ عَلَى الْعَنْفِ"⁶. فَالرَّفْقُ مَحْمُودٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مَا كَانَ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ، كَذَلِكَ جَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ⁷.

1 النُّوْي، الْمُنْهَاجُ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحُجَّاجِ، 145/16.

2 ابنُ فُورْكَ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ فُورْكَ (ت: 406هـ)، مُشْكَلُ الْحَدِيثِ وَبَيَانُهُ، تَحْقِيقُ عَلِيِّ عُثْمَانَ جِرَادِي، (د.ط.)، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 2020م، ص332.

3 الْقُرْطُبِي، الْمَفْهَمُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ، 577/6.

4 مُسْلِمٌ، الْمُسْنَدُ الصَّحِيحُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 2593، 2003/4.

5 الْإِمَامُ مَالِكٌ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بْنُ مَالِكٍ الْأَصْبَغِيُّ الْمَدَنِيُّ (ت: 179هـ)، مُوطَأُ الْإِمَامِ مَالِكٍ، رَوَايَةُ: أَبِي مُصْعَبٍ الزَّهْرِيُّ، مُؤَسَّسَةُ زَايِدِ بْنِ سُلْطَانَ آلِ نَهْيَانَ لِلْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ - أَبُو ظُبَيْ - الْإِمَارَاتُ، 1425 هـ - 2004 م، 8 مج، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 3590، 1426/5، وَالطَّبْرَانِيُّ، سَلِيمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الشَّامِيِّ، (ت: 360هـ)، الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، تَحْقِيقُ حَمْدِيِّ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ، مَكْتَبَةُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ، ط2، 1983م، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 7477، 95/8، وَانْظُرْ: ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، التَّمْهِيدُ، 156/24، وَالْهَيْثَمِيُّ، مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ، 213/3.

6 ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، التَّمْهِيدُ، 156/24.

ومن رفقه سبحانه:

• أنه تعالى "رفيق" في أفعاله وتكليفه، خلق مخلوقاته بالتدرّج ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود: 7]، وذلك بحسب حكمته ورفقه؛ مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة. وأنزل أوامره ونواهيه - كذلك - شيئاً بعد شيء، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]؛ وذلك لأن الحكيم لا يأتي بالأمر العظيم إلا بالتدرّج¹.

• وأنه لا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة، ولا يحملهم ما لا يطيقون، قال تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وأنه أقام دينه على قواعد تنبّه لها أهل العلم؛ تدور في فلك الرفق، منها: رفع الحرج، والتدرّج في التكليف، وجعل الأصل في الأشياء الإباحة...².

• وأنه أنزل كتابه كما قال ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾، نزل مفزاً منجماً على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾، أي: على مهل، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]، شيئاً بعد شيء، وفي ذلك تيسير لفهمه واستظهاره، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: 58]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].

1 الرازي، التفسير الكبير، 175/28.

2 انظر: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين (ت: 1252 هـ)، رد المحتار على الدر المختار، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 6 مج، 105/1.

• ومن رفقه أنه ينزل المطر خفيفًا فتجري منه الأنهار، وتشرق الشمس تدرُّجًا إلى رابعة النهار، ويسوق الرزق لعباده تبعًا بأقدار، ﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: 61].

• ومن رفقه حلمه على المسيء، فلا يعجل بعقوبة المسيء المخطئ، بل يُمهِّل؛ ليتوبَ من سبقت له السعادة¹، ويذكِّره باللطف والرفق على طول الزمن، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62]، وإن تأخير الوعيد أثرٌ من آثار رحمة الله؛ لأن أزمنا التأخير أزمنا إهمال للناس؛ فهم فيها بنعمة، لأن الله ذو فضل على الناس كلهم².

• وأنه يرافق عباده بعلمه ومعيته، برفقه ولطفه، دون إزعاجهم براقبته وإحاطته، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

2. النبي ﷺ رفيق، يأمر بالرفق ويحثُّ عليه:

كان النبي ﷺ رفيقًا لبيَّنَّا، وكان أبعد الناس عن الفظاظة والغلظة، قال تعالى في وصفه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

وقد أمره الله تعالى بالرفق واللين، فقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 215]، أي: ارفق بهم، وألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم، وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط

1 القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 577/6.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 28/20.

جناحه، ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفاً لتقريب الإنسان أتباعه¹، وهكذا كان ﷺ مع المؤمنين طوال حياته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، فكان ﷺ مثلاً يحتذى في الرفق واللين، ومعاملة الناس بالطف الأساليب.

والقارئ لسيرته ﷺ يجد ذلك واضحاً في مواقف كثيرة: منها أن أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: "دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء، أو سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين"².

ومنها حديث أنس بن مالك أنه قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجراتي غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذة شديدة؛ حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشيةُ البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك! فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء"³. هذا الحديث "فيه احتمالُ الجاهلين والإعراضُ عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه، والعفو عن المسيء، وفيه كمال خلق رسول الله ﷺ وحلمه وصفحه الجميل"⁴، وهذا دليل على كمال رفقهِ ﷺ ورحمته بالجاهلين.

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 57/10.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6128، 30/8.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5809، 146/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1057، 730/2.

4 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 147/7.

وعن مالك بن الحُوَيْرِث أنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: "ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ"¹.

وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ عَلَى الرَّفْقِ، وَيَأْمُرُ بِهِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: "يَا عَائِشَةُ، ارْزُقِي، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا؛ دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرَّفْقِ"²، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ، أَوِ الْفُحْشَ"³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6008، 9/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 674، 465/1.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 24734، 255/41.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6401، 85/8.

مجالات الرفق:

للرفق أنواعٌ وصورٌ ومجالات متعددة، يدخل فيها ما سبق ذكره في مجالات الرحمة والإحسان، ومن أهمها في باب الرفق خاصة:

أولاً- الرفق بالنفس:

بحيث لا يحمل الإنسان نفسه ما لا تطيق، فالإسلام دينٌ يُسرّ ويسهول، ومن فهم الإسلام فهمًا سليمًا اتبعه برفق دون تكلف، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتِنَهَا﴾ [الطلاق: 7].

وقال رسول الله ﷺ: "اكلفوا من الأعمال ما تطيقون"¹.

وقال ﷺ: "إن الدين يُسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"².

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ الحولاء بنتَ ثُوَيْبٍ مرَّت بها وعندها رسولُ الله ﷺ، فقالت: هذه الحولاءُ بنتُ ثُوَيْبٍ، وزعموا أَنَّها لا تنامُ اللَّيْلَ، فقال رسولُ الله ﷺ: "لا تنامُ اللَّيْلَ؟! خذوا من العَمَلِ ما تُطيقون، فوالله لا يسأمُ اللهُ حتَّى تسأموا"³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6465، 98/8.

2 السابق، رقم الحديث: 39، 16/1.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1151، 54/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 785، 1/ 542.

وروي: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفِقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُئْتَبَتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى"¹، فَلَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى بَدَنِهِ مَا لَا يُطِيقُ؛ فَإِنَّ الْبَدَنَ كَالرَّاحِلَةِ، إِنْ لَمْ يُرْفَقْ بِهَا، لَمْ تَصِلْ بِالرَّاكِبِ²، وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا رَأَى أَبَا ذَرٍّ وَهُوَ يَتَبَوَّأُ مَكَانًا، فَقَالَ لَهُ: مَا تَرِيدُ يَا أَبَا ذَرٍّ؟ فَقَالَ: "أَطْلُبُ مَوْضِعًا أَنَامُ فِيهِ، نَفْسِي هَذِهِ مَطِيَّتِي، إِنْ لَمْ أَرْفُقْ بِهَا لَمْ تُبَلِّغْنِي"³.

ثانيًا- الرفق بالناس:

فالمسلم لا يعاملُ الناسَ بشدةٍ وغلظةٍ وعنف، بل بلينٍ الجانِبِ، والسَّماحةِ واللَّطفِ، وقد وصفَ الله المؤمنين بقوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، أي: رقيقةٌ قلوبٌ بعضهم لبعض، لِيَنَّةُ أَنْفُسُهُمْ لَهُمْ، هَيِّنَةُ عَلَيْهِمْ⁴، وعن قتادة أنه قال: "ألقى الله في قلوبهم الرحمةَ بعضهم لبعض"⁵.

1 البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، السنن الكبرى، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 1432هـ/2011م، رقم الحديث: 4743، 27/3.

2 ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ)، صيد الخاطر، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، مدار الوطن للنشر، السعودية، 1437هـ/2016م، ص 458.

3 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 165/1.

4 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 321/21.

5 السابق.

ومن رفق الناس فيما بينهم:

• الرفق في التعليم:

المعلِّمُ الناصح يرفُقُ بالمتعلمين، ولا يَشُقُّ عليهم، ولا يُنْفِرَهم بالغلظة والعُنْفِ، بل يعلمهم ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]، أي: بالقَوْلِ اللينِ الرقيقِ مِنْ غَيْرِ تَغْلِيظٍ وَلَا تَعْنِيفٍ¹، فَمَنْ وَعَظَ بِبَشَرٍ وَتَبَسَّمَ وَلِينٍ وَكَأَنَّهُ مَشِيرٌ بِرَأْيٍ وَمَخْبِرٌ عَنِ الْغَيْرِ؛ فَذَلِكَ أَبْلَغُ وَأَنْجَعُ...، وكان ﷺ لا يواجهُ بالموعظةِ، لكن كان يقول: "ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا"، وقد أثنى عليه السلام على الرفقِ، وأمرَ بالتيسيرِ، ونهى عن التنفيرِ².

• الرفق بالصغار:

فعن أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مُحْصَنِ أَنَّهَا أَتَتْ بَابِنَ لَهَا صَغِيرٍ، لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ³. وفي هذا الحديث "الندبُ إلى حُسْنِ المعاشرةِ واللينِ والتواضعِ والرفقِ بالصغار وغيرهم"⁴. "ويُستفادُ منه الرِّفْقُ بِالْأَطْفَالِ وَالصَّبَرُ عَلَى مَا يَحْدُثُ مِنْهُمْ، وَعَدَمُ مَوَازَنَتِهِمْ؛ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِمْ"⁵.

1 انظر: البيهقي، محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي (ت: 516 هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البيهقي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ، (5 مج)، 103/3.

2 ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 383/1.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 223، 54/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 287، 4/ 1734.

4 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 195/3.

5 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 434/10.

• الرِّفْقُ بِالْعَامِلِ:

ومن الرفق به أن يُحَسِّنَ إليه، ولا يَكْلِفُهُ من العملِ فوق طاقته، فقد جاء في الحديث: "وَلَا يُكَلِّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ"¹، وقال ﷺ في حقهم: "هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده، فليُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فليُعِنْهُ عليه"².

• الرِّفْقُ فِي طَلَبِ الْحُقُوقِ وَدَفْعِهَا:

ففي الحديث: سمع رسول الله ﷺ صوتَ خصومٍ بالبابِ عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وهو يقول: واللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فخرجَ عليهما رسولُ الله ﷺ، فقال: "أَيْنَ الْمَتَالِي عَلَى اللَّهِ، لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟" فقال: أنا يا رسول الله، وله أيُّ ذلك أحبُّ³. "وفي هذا الحديث الحِصْنُ على الرفق بالغيرِ والإحسان إليه بالوضع عنه، والزجر عن الحلف على ترك فعل الخير"⁴.

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1662، 1284/3.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6050، 16/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1661، 1282/3.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2705، 187/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1191/3، 1557.

4 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، 308/5.

وقال رسول الله ﷺ: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى"¹. و"الرِّفْقُ فِي الطَّلَبِ والدَّفْعِ مِنَ الإِحْسَانِ المطلوبِ شَرَعًا؛ لما فيه مِنَ الْبِرِّ وتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ"².

ثالثًا- الرِّفْقُ بِالْحَيَوَانِ:

ومما روي في ذلك أن عائشة رضي الله عنها ركبت بعيرًا، فكانت فيه صعوبة، فجعلت تُرَدِّدُهُ - أي: تُزَعِّجُهُ، تمنعه وتدفعه بشدة وعنف، وفي رواية البيهقي: أنها كانت على جمل فجعلت تضربه³ -، فقال لها رسول الله ﷺ: "عليك بالرفق"⁴.

وَمِنَ الرِّفْقِ بِالْحَيَوَانِ: أَنْ يَدْفَعَ الْإِنْسَانُ عَنْهُ الْأَذَى؛ كَالْعَطَشِ وَالْجُوعِ وَالْمَرَضِ، وَلَا يَحْمِلَ عَلَيْهِ الْأَحْمَالِ الثَّقِيلَةَ، وَيَحْسِنَ إِلَيْهِ سِوَاءَ أَكَانَ مِمَّا يَنْتَفَعُ بِهِ بِأَكْلٍ أَوْ اسْتِخْدَامٍ، أَمْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَإِلَّا فَالْكَفُّ عَنْ إِيْذَانِهِ وَظَلْمِهِ وَتَعْذِيبِهِ.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2076، 57/3.

2 سلطان العلماء، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، (ت: 660هـ)، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 2023م، ص 170.

3 البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 20796، 325/10، وشعب الإيمان، رقم الحديث: 10553، 411/13.

4 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2594، 2004/4.

عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه مر بغلام رابط دجاجة يرميها، فمشى إليها ابن عمر حتى حلها، ثم أقبل بها وبالعِلام معه فقال: ازرعوا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل، فإني سمعت النبي ﷺ نهى أن تُصبر بهيمةٌ أو غيرها للقتل¹. وفي رواية: أنه مرَّ بفَتِيانٍ من قريش قد نَصَبوا طيرًا، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحبِ الطيرِ كلَّ خاطئةٍ من نَبْلِهِم، فلما رأوا ابنَ عمر تفرَّقوا، فقال: "مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا"².

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5514، 7/ 94.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1550/3، 1958.

ثمرات الرفق:

1. الرِّفْقُ خَيْرُكُلِّهِ، وَمَنْ أُعْطِيَ الرِّفْقَ أُعْطِيَ الْخَيْرَ:

الرفقُ زينةٌ كلّ قولٍ وفعلٍ وحال، لا يكون في شيء إلا زينه وحبّه إلى النفوس والأبصار، ولا يُنزع من شيء إلا شانه ونفّر منه القلوب والأرواح، ومن حُرِم الرفق حُرِم الخير، ففي الحديث: "مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ؛ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ"¹. وقد "دلّ الحديث أن الرفق خيرُكُلِّهِ، ودليل على فضله؛ لأنه سبب كل خير، وجالب كل نفع، بضد الخوف والعنف"²، وإن "الرِّفْقَ محمودٌ، ويضادُّه العنفُ والجِدَّةُ، والعُنْفُ نتيجةُ الغضب والفظاظة، والرِّفْقُ واللين نتيجة حسن الخلق والسَّلامة...؛ ولأجل هذا أثنى رسولُ الله ﷺ على الرِّفْقِ وبالغَ فيه"³.

2. الرفق من أسباب المعونة الإلهية:

لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "يا عائشة، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"⁴، وفي رواية: "ويعين عليه ما لا يعين على العنف"⁵، والمعنى:

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2013، 367/4.

2 القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 64/8.

3 الغزالي، إحياء علوم الدين، 185/3.

4 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2593، 2003/4.

5 الأصبغي، مالك بن أنس، الموطأ، رقم الحديث: 3590، 1426/5، والطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 7477، 95/8، وانظر: ابن عبد البر، التمهيد، 156/24، والهيثي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 213/3.

أنه يتأتى بالرفق من الأعراض ويسهل من المطالب به ما لا يتأتى بغيره¹، أو أن معناه: إن الله تعالى يعطي عليه في الدنيا من الثناء الجميل، وفي الآخرة من الثواب الجزيل؛ ما لا يعطي على العنف الجائز، وبيان هذا بأن يكون أمرًا من الأمور سَوَّعَ الشرعُ أن يُتوصَّلَ إليه بالرفق وبالعنف، فسلوك طريق الرفق أولى؛ لما يحصل عليه من الثناء على فاعله بحسن الخلق، ولما يترتب عليه من حسن الأعمال، وكمال منفعتها².

3. الرفق من أسباب دخول الجنة:

قال ﷺ: "وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مُقْسِطٌ متصدقٌ موفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيفٌ متعففٌ ذو عيال"³.

وقال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ على كلِّ قريبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ"⁴، ومعنى "هين": سهل، وهو ذو السكينة والوقار والسهولة⁵، و"سهل": أي: في قضاء حوائج الناس وتمشية أمورهم وإعانتهم⁶.

1 القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 64/8.

2 القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 578/6.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2865، 2197/4.

4 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2488، 654/4، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 3938، 52/7، 53.

5 الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: 743 هـ)، شرح مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، 1417 هـ - 1997 م، 13 مج، 3237/10.

6 ابن الملك، محمَّد بن عز الدين عبد اللطيف، الرُّؤْيُ الْكِرْمَانِي، الحنفِي، (ت: 854 هـ)، شرح مصابيح السنة للإمام البيهقي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، 1433 هـ - 2012 م، 6 مج، 345/5.

ما يعين على الرفق وينمّيه:

هناك طرق ووسائل تعين في اكتساب صفة الرفق وتعزيزها، من ذلك:

1. العلم بالفوائد الدنيوية والأخروية المترتبة على الرفق، وسبق بيان بعضها في هذا الباب.
2. مطالعة سيرة النبي ﷺ ومواقفه التي تبرز رفقه ﷺ، والاقتداء به ﷺ، وتمثّل أخلاقه.
3. تدريب النفس على التحلّي بالرفق والسهولة ولين الجانب، والمبادرة إلى أعمال الخير التي تلين القلب، وتهذب النفس؛ كإطعام المساكين، وملاطفة الأيتام، وقضاء حوائج الناس.
4. صحبة الرفقاء والعقلاء الألباء والكبراء، أصحاب الرأي الحكيم، والسلوك القويم.
5. الدعاء والطلب من الله تعالى أن يرزق الرفق واللين.

ما لا يعارض الرفق:

من معاني الرفق: اللطف واللين والسهولة، لكن ذلك لا ينافي الحزم، ولا يبرر التساهل، فاللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حقّ من حقوق الله أو حقوق العباد، فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجز؛ لأن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان، والفضيلة في الاعتدال؛ فلهذا السرمدح الله الوسط فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]¹. ومن معاني الوسط: الأخذ بأفضل الأمور وأعلاها، كما سيأتي في قيمة الاعتدال.

1 انظر: الرازي، التفسير الكبير، 408/9.

ولا ينافي الرفق - كذلك - المبادرة والمصارعة في الخير، فلا يفوّت الرفيقُ الفرصَ إذا ما سنّحت، ولا يهملها، بل يقبل عليها بكلّيّته، ويعطيها حقّها من الاهتمام والالتفات والإقبال، دون تراخٍ ولا تهاون بحجة الرفق والتروّي.

خاتمة:

مما سبق تظهر منزلة الرفق في الدين والدنيا، وضرورته قيمةً مرعيةً في حياة الناس وتعاملاتهم، وأن الرفق خيرٌ كلّهُ، وكل ما ليس من الرفق فليس من الدين، ولو ألصق به بألف تأويل وتأويل.

وتظهر كذلك أهمية الرفق وضرورته في سلامة الإنسان وسعادته في دينه ودنياه، وقد روي في بعض الآثار: "لو أن الرفق خلق يُرى؛ لما رئيَ من خلق الله تعالى خلقٌ أحسن منه"¹.

1 أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (ت: 150هـ)، مسند أبي حنيفة، رواية الحصكفي، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، الآداب - مصر، رقم الحديث: 7.

العطاء

مقدمة:

سبقَ أَنَّ الرحمةَ في بعض معانيها اللغوية تفيدُ الإنعامَ والإفضال¹، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ [فصلت: 50]؛ سعى النعمة رحمة؛ إذ هي من آثار رحمة الله².

وسبق كذلك أن من معاني الإحسان: الإنعام على الغير³، ومن معاني الرفق: النَّفع⁴، وكل ذلك يتمثل بالعطاء الذي يُعدّ فرعاً من فروع الرحمة، ومثيلاً لما زامله من الفروع الأخرى؛ كالإحسان والرفق والرفقة والعطف والتعاون والتضامن.

والعطاء أثرٌ من آثار رحمة الخالق سبحانه، ومظهرٌ من مظاهر التراحم بين الخلق، وثمرَةٌ من ثمرات شفقة القلوب المؤمنة، وقد حضَّ الإسلامُ على كلّ ما من شأنه أن ينمي هذه القيمة في نفوس البشر، تقديرًا لأهميّتها في تزكية النَّفس، وفي توثيق روابط الأخوة الإنسانية.

والعطاء سلوكٌ إيجابيٌّ ينمُّ عن الأخلاق، ودليلٌ على راحة العقل والقدرة على التحكم بالنفس، وهو عنصر من عناصر عُلُوِّ الهمة، وصفاء الفطرة، وسمو الطبع، وارتقاء الإنسانية؛ لما ينشأ عنه من مدِّ يدِ العون للمحتاج، وسدِّ كربته، وابتغاء الثواب والأجر في الدّنيا والآخرة.

1 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص347، (رحم).

2 أبو حيان الأندلسي، البحر المحييط في التفسير، 315/9.

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص235، (حسن).

4 ابن منظور، لسان العرب، 118/10، (رفق).

تعريف العطاء:

أولاً- في اللغة:

يفيد العطاء في اللغة معاني عدة، أهمها:

- المناولة والتناول: العطو: تناول، وتعاطى الشيء: تناوله، والعطاء: نول للرجل السمح، والعطاء والعطية: اسم لما يعطى، والجمع عطايا وأعطية، والإعطاء والمُعاطاة: المناولة¹، ورجل معطاء: كثير الإعطاء²، والإعطاء: الإنالة، واختصَّ بالصِّلة، قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39]³، ولا يكون الإعطاء إلا بمخض التفضُّل⁴.
- اليسر والسهولة: يقال: أعطى البعير إذا انقاد ولم يَسْتَصْعَب، وأصله: أن يُعْطِيَ رأسَه فلا يتأبَّى⁵، وقوس معطية وعطوى: لينة مواتية سهلة: ليست بممتنعة على مَنْ يمد وترها، وتعطف، فلا تَنكسر⁶.
- الجراءة في خوض المعالي: والتعاطي: التناولُ والجرأة على الشيء، من عطا الشيء يعطوه إذا أخذه وتناوله، يقال: فلان يتعاطى معالي الأمور

1 انظر: ابن منظور، لسان العرب، 69-68/15، (عطا).

2 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2430/6، (عطا).

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص572، (عطا).

4 الرازي، التفسير الكبير، 312/32. وانظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 63/39.

5 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص573، (عطا).

6 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2430/6، (عطا)، وابن منظور، لسان العرب، 70/15، (عطا).

ورفيعتها، هو يتعاطى الرفعة، وفلان يتعاطى كذا، أي: يخوض فيه¹،
وتعاطينا فعطوته، أي: صرعته وغلبته².

- الرِّعاية والخدمة: ومنه: عاى الصبي أهله: عمل لهم وناولهم ما أرادوا،
ويقال: عطيته وعاطيته، أي: تولّيت خدمته وقمتُ بأمره³.

ثانيًا- في الاصطلاح:

يمكن أن يُعرّف العطاء على ضوء المعنى اللغوي بأنه ما يعطى هبةً،
فضلاً وإحساناً وصلّةً، ويكون عن يُسرٍ وسُهولة نفس، أو خدمة ورعاية بلين
ورحمة وعطف، وهو من معالي الأخلاق وأسمى القيم.

ويكون من خلال تقديم شيء ما إلى الآخرين دون توقُّع الحصول على
شيء في المقابل، ويمكن أن يكون هذا العطاء ماديًّا: كتقديم المال أو الأشياء
المادية، أو معنويًّا، كتقديم الدعم، الوقت، المعرفة، العاطفة... ونحو ذلك.

1 ابن منظور، لسان العرب، 70/15، (عطا).

2 انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 64/39، (عطو).

3 ابن منظور، لسان العرب، 70/15، (عطا).

أهمية العطاء:

وتبرز أهمية العطاء في نقاط كثيرة، من أهمها أن العطاء:

1. صفة من صفات الله تعالى:

فمن أسمائه سبحانه: المعطي، الكريم، المنان، الوهاب، الرزاق...، وكلها تدل على العطاء، قال رسول الله ﷺ: "والله المعطي وأنا القاسم"¹.

وكثيراً ما ذكر القرآن الكريم عطاءات الله تعالى: ومنه قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، وقوله: ﴿كُلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مُحْظُورًا﴾ [الإسراء: 20]، والعطاء هنا مصدر بمعنى المعطى²، والإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل، بل بمحض التفضل³.

وقد أعطى الله نبيه سليمان عليه السلام من الملك والعطايا ما لم يعطه أحداً من بعده، قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ [ص: 35 - 38]، ثم قال له سبحانه وتعالى بعد هذه الأعطيات: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39].

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3116، 85/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1037، 719/2.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 267/23.

3 أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق أ. د. محمد طه بويالق وآخرون، دار الريحانين، 2022م، 9 مج، 165/5.

2. صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام:

ذكر القرآن الكريم من صفة نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ﴾ [هود: 69]، وفي موضع آخر قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [٢٦] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ [الذاريات: 24-27]، وصفهم بالمكرمين إما لكونهم عبادًا مكرمين كما قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26] وإما لإكرام إبراهيم عليه السلام إياهم، أكرمهم ببشاشة الوجه أولاً، وبالإجلال في أحسن المواضع والطفها ثانياً، وتعجيل القرى ثالثاً، وبعد التكليف للضيف بالأكل والجلوس¹، وقيل: أكرمهم بأنه خَدَمَهُمْ، صلوات الله عليه وعليهم².

وكان إبراهيم عليه السلام كريماً غاية الكرم، وكان يكنى "أبا الضيفان"، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد³، ولا عَجَبَ فقد جاد بنفسه لربه الأكرم... والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وعن عطاء قال: "كان إبراهيم عليه السلام خليل الله إذا أراد أن يتغدى طلب من يتغدى معه ميلاً في ميل. وأحبُّ الطعام إلى الله عز وجل ما كثرت فيه الأيدي"⁴.

1 الرازي، التفسير الكبير، 174/28.

2 الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، 2007م، 4 مج، 54/5.

3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 35/10.

4 البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 9173، 138/12.

وامتنَّ الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بالعطاء، فقال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وذكر له بعض أوجه العطاء، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ثم أمره بشكر هذا العطاء شكرًا من جنسه، فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 5-11].

وكان عطاؤه ﷺ يشمل الإنسان المحتاج بغض النظر عن دينه أو جنسه أو عرقه، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 272].

ولم يكن هذا الخلق طارئاً عليه ﷺ: إذ بينت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها اتصافه وتحليته ﷺ بهذه الخصلة من قبل بعثته، لما قالت له عندما جاءها خائفاً ترتعد فرائضه بعد تلقية الوحي في غار حراء: "كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"¹.

وقد "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"².

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3، 7/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 160، 139/1.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6، 8/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2308، 1803/4.

وفي سيرته ﷺ مواقف كثيرة تدلُّ على سعة كرمه وجوده، منها:
أنَّ النبي ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: "انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ" وَكَانَ أَكْثَرُ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ...
فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دَرَاهِمٌ¹.

وإنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: "مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدْخِرُهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْقَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"².
وفي الحديث: "مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنْ مُحَمَّدًا يُعْطَى عَطَاءٌ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ"³.

وهذا يدلُّ في مجمله على معاني الكرم والجود، والعطاء والإيثار عند النبي ﷺ، وهذا دليلٌ واضحٌ على أن النَّبِيَّ ﷺ قد بلغ مرتبة الكمال الإنساني في العطاء والإيثار؛ إذ كان يعطي عطاءً من لا يحسبُ حسابًا للفقير ولا يخشاه؛ ثقةً منه بعطاء ربه تعالى.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 421، 91/1.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1469، 122/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1053، 729/2.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2312، 1806/4.

3. قيمه ثابتة في القرآن الكريم:

ذكر العطاء في القرآن الكريم أربعة عشرة مرة؛ عشرة منها تناولت الحديث عن العطاء الإيجابي، وأربعة في معان أخرى سلبية؛ كقلة العطاء، والاستعطاء، والعطاء كرهاً.

ومما ذكر القرآن الكريم في العطاء:

• أن عطاء الله تعالى يشمل خلقه جميعاً: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 49-50].

• أن الله تعالى يعطي عباده عطاءات الدنيا والآخرة تفضلاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّدْ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: 18-20]، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَٰبِّينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَعَاتِلْكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذَلُولٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 32-34].

• أن الله تعالى يعطي عبده ما سأل: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَعَٰخَرِينَ مَقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 35-39]، ﴿وَعَاتِلْكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: 34].

• أن الجنة هي عطاء من عطاءات الله للمؤمنين في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108]، وقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأَسًا دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ۗ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: 31-36].

4. علامة من علامات الخير:

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل راكب حتى أناخ بالنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع، أنضيتُ راحلتي، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، لأسألك عن خصلتين أسهرتاني؟ فقال له النبي ﷺ: "ما اسمك؟" فقال أنا زيد الخيل، فقال: "بل أنت زيد الخير، فاسأل، فربَّ معضلة قد سُئل عنها!" قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعن علامته فيمن لا يريد؟ فقال له النبي ﷺ: "كيف أصبحت؟" قال أصبحتُ أحب الخير وأهله ومن يعمل به، فإن عملتُ به أيقنتُ بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننتُ إليه. فقال النبي ﷺ: "هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد"¹. الحديث.

5. حقُّ إنساني وواجب ديني:

العطاءُ خلقُ إنساني يشمل البشرية كافَّةً، وقيمةٌ دينيةٌ أمر الله تعالى بها ونبيه الكريم ﷺ، ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري قال: بينما

1 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 1/376.

نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ: فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ: فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ" قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ¹.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشَاءً، اسْتَقْبَلَنَا أَحَدٌ، فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا أَحَبُّ أَنْ أُحْدَا لِي ذَهَبًا؛ يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثًا، عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا أَرْصَدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا" وَأَرَانَا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ" قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الْأَكْثَرُونَ هُمُ الْأَقْلُونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا"². "كُنَايَةٌ عَنْ التَّصَدُّقِ الْعَامِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِ الْخَيْرِ"³، وَ"فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ"⁴.

6. دليل على الصدق والتقوى:

وَمِنْ وَجْهِ الاسْتِحْسَانِ الْوَارِدَةِ فِي الْعَطَاءِ أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الْمُتَّقِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1728، 1354/3.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6268، 60/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 94، 687/2.

3 المباركفوري، عبيد الله بن محمد عبد السلام (ت: 1414هـ)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهند، ط3 - 1404 هـ، 1984 م، 9 مج، 293/6.

4 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 73/7.

وَالْمُعْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَعَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ ﴿ وَشَهِدَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِالصَّدَقِ وَالتَّقْوَى، فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]، والعطاء دليلٌ على حسن الظن
بالله، وبرهان على الإيمان بجزائه، كما قال ﷺ: "والصدقةُ برهانٌ"¹.

والعطاء انعكاسٌ للطاعة على السلوك، وجبر لنقصها، فهناك التفاتةٌ
دقيقة في آيات الصيام؛ إذ نقرأ بين ثناياها قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: 184]، فقد
شُرعت الصدقةُ نائباً عن الصيام لغير المستطيع؛ كالشيخ الكبير الذي
لا يطيق الصوم، والمريض، والمسافر رخص الله له الفطر، وأوجب عليه
الفدية أن يُطعم عن كل يومٍ مسكيناً، وجعل الصدقة نائباً عن الصيام
وخلفاً له؛ لأنَّ الصدقة تجبرُ هذا النقص الواقع في الصيام.

وفي آخر الشهر الكريم فرض الله - كذلك - صدقةَ الفطر، أو زكاةَ
الفطر، وأخبر النبي ﷺ أن زكاةَ الفطر طهرة للصائم، فقد (فرض رسولُ
الله ﷺ زكاةَ الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين)²،
وكان صدقةَ الفطر جابرةً للنقص الذي قد طرأ على الصيام في رمضان،
ومعالجة له.

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 223، 203/1.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1609، 111/2، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم
الحديث: 1827، 585/1.

مجالات العطاء:

تتعدد مجالات العطاء وتتنوع أشكاله لتشمل العطاء المادي، والعطاء المعنوي، ومن ذلك:

1. العطاء من المال:

ويدخل فيه كل ما يُنتَفَع به من الأمور المادية، وكل ما يدخل في ملك الإنسان من المال والممتلكات والطعام والشراب...، ويكون للأقرب فالأقرب، فيبدأ بـ:

• النفس:

فلا يخلُ الإنسان على نفسه، في طعامها وشرابها وكسائها ودوائها وتنميتها...، جاء في الحديث أَنَّ النبي ﷺ أمر بالصَّدقة، فقال رجلٌ: يا رسول الله، عِنْدِي دينارٌ، فقال: "تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ"¹.

والله سبحانه يُحِبُّ أَنْ يُرَى أثرُ نعمته على عبده، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 172]، ويقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: 32]، ويقول: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: 141]، ويذمّ مَنْ يكتُم النعمة بخلاً: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: 37]، فالبخيل جحود لنعمة الله عليه، لا تظهر عليه ولا تبين في مأكَل ولا في ملبس، ولا في إعطاء ولا بذل...

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1691، 2/132، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 2535، 5/62.

وجاء في الحديث: عن أبي الأحوص الجشمي، عن أبيه قال: رأني النبي ﷺ وعلي أطمار - أي: ثياب دُون -، فقال: "هل لك من مالٍ؟". قال: قلت: نعم. قال: "من أي المال؟" قال: قلت: قد آتاني الله عز وجل من الشاء والإبل، قال: "فلتَرِ نعمة الله وكرامته عليك!"¹.

• الأهل:

وأولى الناس بالإنفاق والعطاء بعد نفس الإنسان أهله وَمَنْ تَجِبُ عليه نفقتهم، فعن طارق المحاربي قال: قدمنا المدينة؛ فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ على المنبر يخطبُ الناسَ وهو يقول: "يَدُ المعطي العُلْيَا، وابدأ بِمَنْ تعول: أُمَّكَ وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك"².

وفي الحديث الذي سبق آنفًا، قال: أمر النبي ﷺ بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله، عندي دينار، فقال: "تصدَّقْ به على نَفْسِكَ"، قال: عندي آخر، قال: "تصدَّقْ به على وَلَدِكَ"، قال: عندي آخر، قال: "تصدَّقْ به على زوجَتِكَ"³.

وقال رسول الله ﷺ: "دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ أنفقته في رقبة، ودينارٌ تصدقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أَهْلِكَ، أعظمُها أجرًا الذي أنفقته على أَهْلِكَ"⁴. وفي هذا الحديث فوائد، منها: الابتداء في

1 البهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 19710، 61/10.

2 النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 2532، 61/5.

3 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1691، 132/2، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 2535، 62/5.

4 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 995، 692/2.

النَّفقة بالمذكور على هذا التَّرتيب، ومنها: أنَّ الحقوق والفضائل إذا تزاхمت؛ قُدِّم الأوكد فالأوكد، ومنها: أنَّ الأفضل في صدقة التَّطوع أن ينوَّعها في جهات الخير ووجوه البرِّ بحسب المصلحة، ولا ينحصر في جهةٍ بعينها"¹.

• الأرحام:

ثم أرحامُ الإنسان، وأولاهم بالإنفاق والعطاء الوالدان، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِيتِمَى وَلِلسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 215]، قَدِّم سبحانه الوالدين والأقربين على اليتامى والمساكين في الإنفاق، وضاعف أجرها؛ لقول ﷺ: "الصدقةُ على المسكين صدقةٌ، وهي على ذي الرِّحمِ ثنتان: صدقةٌ وصلَّة"².

وورد عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ فبدرته، فأخذت بيده، وبدرني فأخذ بيدي فقال: "يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وتعطي من حرَمَكَ، وتعفو عَمَّن ظلمك"³.

• الجيران:

أمر الله تعالى بإكرام الجار والإحسان إليه، وعَدَّ النبي ﷺ إكرامَ الجار من موجبات الإيمان، قال ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ

1 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 83/7.

2 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 658، 38/3، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 2582، 92/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 1844، 591/1.

3 الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 7285، 178/4.

جَارَهُ"¹، وفي رواية: "فليُحَسِّنْ إِلَى جَارِهِ"²، وقال ﷺ أَيْضًا: "وَأَحْسَنُ جَوَارٍ مِّنْ جَاوَزَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا"³. بل إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يُوصِي النَّبِيَّ ﷺ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ وَإِكْرَامِهِ، حَتَّى ظَنَّ ﷺ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ"⁴.

وَمِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ إِهْدَاءُ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِّجَارَتِهَا، وَلَوْ فَرِسْنِ شَاةٍ"⁵.

وإن اشْتَمَّ الْجَارُ رَائِحَةَ الطَّعَامِ فَاشْتَهَاهُ، وَلَمْ يَذُقْهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ مِنَ الْإِيذَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا؛ وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ"⁶، دَفْعًا لِأَذَى اشْتِهَائِهِمُ الطَّعَامَ مِنْ رِيحِهِ، وَاجْتِهَادًا فِي بَذْلِ الْمَعْرُوفِ لَهُمْ.

وَكَلَّمَا أَزْدَادَ الْقُرْبِ عَظُمَ الْحَقُّ: فَعَن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لِي جَارَيْنِ، فَأِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: "إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا"⁷.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6019، 11/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 47، 69/1.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 48، 69/1.

3 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4217، 1410/2.

4 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6015، 10/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2625، 2025/4.

5 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2566، 153/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1030، 714/2.

6 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2625، 2025/4.

7 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2259، 88/3.

وَإِكْرَامِ الْجَارِ طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَإِذَاؤُهُ يَحْرِمُ مِنْهَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأَنَّهُ"¹، وَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَلَانَةٌ يُذَكِّرُ مِنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُوْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: "هِيَ فِي النَّارِ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ فَلَانَةٌ يُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّمَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقْطِ [يَعْنِي: بِالْبَلْبَنِ الْجَامِدِ الْقَاسِي]، وَلَا تُوْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: "هِيَ فِي الْجَنَّةِ"².

• الضعفاء في المجتمع:

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَسَاكِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الآيَاتِ، وَأَمَرَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَتَفَقُّدِ أَحْوَالِهِمْ وَمُسَاعَدَتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَى حَيْهٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَأَتَى أَلْمَالُ عَلَى حَيْهٍ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: 177]، وَكَثِيرًا مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الإِحْسَانَ بِالْعَطَاءِ لِلضَّعْفَاءِ فِي الْمَجْتَمَعِ بَعْدَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَآذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 215].

وَكَانَ ﷺ يَسْأَلُ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيَسْتَفْصِرُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، وَيَحْتَهِ عَلَى مُسَاعَدَتِهِمْ وَمَوَاسَاتِهِمْ، وَكَانَ يَرْفَعُ رَتْبَةَ السَّاعِي الْكَاسِبِ لِهَمَا الْعَامِلِ لِمُؤْنَتِهِمَا إِلَى رَتْبَةِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ³.

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 49، 68 / 1.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 9675، 421/15.

3 انظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5353، 62/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2982، 2286/4، والنووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 112/18.

• الناس جميعاً:

فالعطاء العام يعزّز عند الإنسان الشعور بالانتماء للجماعة، وأنه جزءٌ منها، وليس فرداً عزّله عن الناس مصالحه الشخصية، وأنه جزء من الحل في مجتمعه، وسبب لقضاء حاجة بني جنسه، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 36]، وهذه الآية شملت معظم الناس المحيطين بالإنسان أو كلهم، وأمر الله تعالى بالإحسان إليهم جميعاً، ومن أعظم وجوه الإحسان العطاء بكل أنواعه.

• المخلوقات:

ثم إن العطاء ليس خاصاً بالإنسان وحسب، بل يتعداه إلى غيره من مخلوقات الله تعالى، قال ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ؛ إلا كان له به صدقة"¹.

وتقدم حديث: "بيننا رجلٌ يمشي، فاشتدَّ عليه العطشُ، فنزل بئراً، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلبٍ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له" قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: "في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجر"².

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2320، 103/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1553، 3/ 1189.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2363، 111/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2244، 1761/4.

2. العطاء من العلم:

والعلم يزكو بالإنفاق، وأهل العلم الحقيقيون حريصون على أن يفيدوا غيرهم بما أعطاهم الله من العلم والمعرفة والحكمة، ورد عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قال: "يا كميل، العلم خيرٌ من المال؛ لأن العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والمال تنقصُه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، يا كميل، مات خُزَّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة"¹.

وروي: "تعجلوا بركة العلم، ليفد بعضكم بعضًا، فإنكم لعلكم لا تبلغون ما تؤملون"². وقيل: "من بخل بالعلم ابتلي بإحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت ولا ينتفع به، أو تذهب كتبه"³.

3. العطاء من الرأي:

ويتمثل بالنصح والتوجيه لنيل خير، أو تحذير من شر، أو حل إشكال، أو قضاء حاجة... قال ﷺ: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"⁴. و"النصيحة" كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، ويُقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة عن المعنى"⁵.

1 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 79/1.

2 السابق، 370/6، عن سفيان الثوري.

3 النووي، أبو زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، المجموع شرح المذهب، تحقيق لجنة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، 1344هـ، 40/1. من قول الثوري كذلك.

4 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 55، 74/1.

5 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 37/2.

4. العطاء من الجاه:

فكم من المشاريع التي تحتاج إلى ثقةٍ مأمون يسعى بجاهه ومنزلته بين من يعرف لتشييدها واحتضانها ودعمها؛ ليكون نواة للتكافل الاجتماعي، وهذا نوع من العطاء الذي لا يستطيعه عامة الناس، إنما له أهله في كل مجال من المجالات.

5. العطاء من النفس (الذاتي):

ومنه: العطاء المعنوي، وهذا العطاء الذاتي المعنوي - على يسره وسهولته - يُعدّ أكثر أهمية لفئات كثيرة من الناس، ويتمثل بإغداق الحب، والتقدير، والاحترام، والابتسامة وطلاقة الوجه، ولين الجانب، وطيب الكلام، والسماحة في التعامل، والعطف والحنان على من حوله، والاهتمام بهم، والإصغاء لما يشغلهم، وإدخال السرور عليهم، ونشر السلام والمحبة في محيطهم... وكل ذلك يعدّ في الإسلام شكلاً من أشكال الصدقة.

ومن ذلك - أيضاً - العطاء البدني والخدمي، من القوة والجهد، من خلال الأعمال التطوعية وتقديم المعونة والمساعدة والخدمات الاجتماعية؛ فمن لم يستطع أن يوجد بماله جاد بقوته، بوقته، بخدماته...، قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تعدل بين الاثنين صدقةً، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقةً، والكلمة الطيبة صدقةً، وكل خطوة تمشيها إلى الصلوة صدقةً، وتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صدقةٌ"¹.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2989، 56/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1009، 2/ 699.

ثمرات العطاء:

تتعدد ثمرات العطاء وتتنوع لتعمّ الفرد والمجتمع، وتشمل الحاضر والمستقبل، في الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

1. العطاء الإنساني بابٌ للعطاء الإلهي في الدنيا والآخرة:

عطاء الإنسان لغيره بابٌ لعطاء الله تعالى له، وسببٌ لإنفاق الله تعالى عليه، فالجزاء من جنس العمل، قال النبي ﷺ: "قال الله عز وجل: أنفق أنفق عليك"¹، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْكَ سَعْيَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]، فقد ضرب الله تعالى هذا المثل للمنفق ابتغاء وجهه، بيانًا لتضعيف ثوابه، وتكثير حسناته إلى أضعاف كثيرة.

وقال ﷺ: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا"²، وقال ﷺ: "من نفّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا، نفّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..."³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4684، 6/ 73، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 993، 2/ 690.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1442، 2/ 115، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1010، 2/ 700.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2699، 4/ 2074.

2. العطاء سبب للتراحم المجتمعي وصورة من صورته:

العطاء سبب للتراحم المجتمعي، ومظهر من مظاهر التعاون والتكافل المجتمعي، وقاعدة من قواعد البناء والتنمية لمجتمع متماسك، يدعم الثقة والحب والترابط بين أفرادهِ، ويعزز تماسكه ويحافظ على عافيته - وقاية وعلاجًا - من الأمراض المجتمعية التي تنتشر بسبب الأثرة والفقر والأنانية والاحتكار... ونحوها، ومن أمثلته ما كان يفعله الأشعريون في أيام القحط والجفاف والمجاعات، يجمعون ما عندهم، ثم يقتسمونه بينهم بالسوية، فأثنى النبي ﷺ على فعلهم هذا، قائلًا: "فَهُمْ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ"¹.

ومن المعاني الشاهدة على ذلك أيضًا قوله ﷺ: "تهادوا، فإن الهدية تذهب وَحَرَ الصَّدْر، ولا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو شِقَّ فِرْسَن شاة"²، و"وحر الصدر" غله وغشه وحقده؛ وذلك لأن القلب مشحون بمحبة المال والمنافع؛ فإذا وصله شيء منها فرح به وذهب من غمه بقدر ما دخل عليه من فرحه³. وهذا الأثر الذي يكون للهدية والعطاء لا يختص به المعطى، بل يكون عند المعطي والآخذ على السواء؛ لما ذكر الله من تزكية النفس بالعطاء، قال: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 18]، ويأتي الحديث عنه في قيمة تهذيب النفس.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2486، 3 / 138، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2500، 4 / 1944.

2 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2130، 4 / 441، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 7591، 33/13.

3 المناوي، فيض القدير، 272/3.

3. العطاء طريق إلى قلوب الناس ونيل محبتهم:

فالعطاء جسرٌ إلى قلوب الناس، والمعطي قريب من الله، قريب من الناس، يذهب العطاء، ويبقى فضل صاحبه محفوظًا، ورؤي عن علي مرفوعًا: "الكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحْمِ"¹، والإنسان أسير الإحسان، وفيه قول الشاعر:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فطالما اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ²

4. العطاء سبب للحفظ ونيل الخير:

وأول هذا الخير هو ارتفاع مستوى الرضا الذاتي عند المعطي نفسه، فعطاؤه شاهد له أمام نفسه أنه من أهل الفضائل الإنسانية التي تشهد على انتصاره على الأهواء وتجرده من الأنانية، وتفضيله البذل على الاحتكار، وأن المال لديه وسيلة لا هدفًا. فيحفظه العطاء في عاجل أمره وأجله، قال أبو بكر الصِّدِّيق: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)³.

ومن أشهر من عرف عند العرب بالجود والكرم حاتم الطائي؛ الذي كان مضرب المثل في ذلك، وأبقى عطاؤه وكرمه ذكره في كتب التاريخ والسير والأخلاق.

1 البهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 8618، 336/11.

2 ديوان أبي الفتح البستي، ص6.

3 الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 8014، 261/8.

5. العطاء يستر عيوب النفس ويحفظ السمعة:

ومن بركة العطاء أنه يحفظ النفس من الجنوح الخطير في الأنانية وحب الأثرة والتملك، فيحفظ بذلك سمعة صاحبه وصورته بين الناس؛ إذ يغطي كرمه كثيرًا من عيوبه، كما قال الشافعي:

وإن كثرت عيوبك في البرايا وسرك أن يكون لها غطاء
تستر بالسّخاء فكلُّ عيبٍ يغطيه كما قيل السّخاء¹

6. العطاء طريق إلى بلوغ درجات البر والإحسان:

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92]. والمعنى: "لن تنالوا، أيها المؤمنون، جنة ربكم حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم، من نفيس أموالكم"².

وعن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها

1 الشافعي، محمد بن إدريس، (ت: 204هـ)، ديوان الإمام الشافعي، مكتبة ابن سينا، ص 10.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 573/5.

وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَخِ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ"، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ¹.

7. العطاء طريق إلى الجنة:

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾ [الليل: 5-7]. وقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: 8-12].

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1461، 119/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 998، 2/ 693.

سبل تعزيز العطاء وتنميته:

تتنوع طرق اكتساب العطاء وآلياته، ومسارات تعزيزه وتمكينه، ومن أبرزها:

1. تهذيب النفس وتركيتها:

بين العطاء والتزكية تأثيرٌ متبادل، فالعطاء يحتاج إلى نفس زكية قادرة على تمثُّله، والنفس تزكو وتسمو بالعطاء والجود الذي يطهرُّها من رذائل الشحِّ والأنانية والأثرة، وكلما ازدادَ الإنسان عطاءً ازدادَ زكاءً، وكلما ازدادَ زكاءً ازدادَ عطاءً.

وأهمُّ ما تطهَّر منه النفسُ في هذا: البخل، فإذا كان العطاء خلُقًا محمودًا، فإنَّ البخل خلُق مذموم، ينبغي أن يُتَّقَى ويُحَذَر؛ إذ هو مرتَّعٌ وخيمٌ سيِّئُ العواقبِ؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ [مُحَمَّد: 38]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

وعلاوة على هذا، فإنَّ البخل من مكايد الشَّيْطان ووسوسته؛ قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268]، ومعنى الفحشاء في هذه الآية هو البخل ومنع الزكاة كما قال المفسِّرون¹.

1 المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت: 864هـ)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، (د.ت).

والبخل طريقٌ يودي بصاحبه إلى كلّ شر في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿الليل: 8 - 10﴾، وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿آل عمران: 180﴾.

2. التزام التقوى:

قرن الله تعالى العطاء بالتقوى، ووعد المعطي المتقي بالجنة في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١﴾ أَي: فأما من أعطى منكم أيها الناس في سبيل الله، ومن أمره الله بإعطائه من ماله، وما وهب له من فضله، واتقى الله واجتنب محارمه، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٢﴾ أَي: وصدق بالخلف من الله على إعطائه ما أعطى من ماله، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿الليل: 5-7﴾، أَي: فسنهيئه للخلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا، ليجب له به في الآخرة الجنة¹.

3. صحبة أهل العطاء:

الصديق والصاحب يؤثر في صاحبه سلبيًا أو إيجابيًا؛ لذلك قال ﷺ: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"²، فمن صاحب أهل العطاء والخير كان على دينهم ونهجهم، ومن صاحب أهل البخل والشح أصابه ما أصابهم، قال ﷺ: "مثلُ الجليس الصالح والجليس السوء كمثل

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 460/24 - 466.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4833، 259/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2378، 589/4.

صاحبِ المسك وكِيرِ الحَدَّادِ، لا يَعدُمُكَ من صاحبِ المسك إما تَشْتَرِيه، أو تجد رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بدنكَ، أو ثوبَكَ، أو تجد منه رِيحًا خبيثَةً"¹.
ووصف الله تعالى البخلاء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [الحديد: 24]، فالبخيل لا يكتفي بالبخل لنفسه، بل يأمرُ به ويعلمه لمن حوله، حتى يدركه الندم في الآخرة، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٧) يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا^(٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 27-29].

4. التربية على العطاء:

فمشاركةُ الأبناء في إيصال الصدقات والمعونات لمستحقِّها، ودعم رصيدهم الإيماني، وبيان قدر الدنيا لترك التعلق بأشياءها، وتوثيق ارتباطهم بالقيم والأخلاق بدل الارتباط بالأشياء والمعاني الزائفة، كل ذلك يعين في تربية جيل معطاء، يمتلك مقومات التماسك والتلاحم والنمو.

والأطفال يتعلمون بالقدوة؛ فإن كان الآباء قدوات حسنة لأبنائهم؛ علموهم القيم الراقية بسلوكهم وتصرفاتهم قبل ألسنتهم، فرؤيةُ الطفل لأبيه أو أمه وهو يعطي ويتصدق تعلِّمه قيمة العطاء أكثر من الأمر والنهي، وإعطاء الطفل المال بيده ليتصدق به؛ أصدق تعليمًا من مجرد الكلام.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5534، 7/ 96، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2628، 2026/4.

5. حملات الخير والعطاء

إن الحملات الاجتماعية التي تقوم بها مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الخيرية، والتي تحت على العطاء والكرم في المناسبات كالأعياد ونحوها، والتكافل والتعاون في النوازل وفي أوقات العسر، وما ينظّم على الدوام من عمليات كفالة اليتيم ورعاية المسكين ومداواة المرضى وتزويج الشباب... كلها نشاطات مجتمعية تدرب على قيمة العطاء وترسخه في المجتمعات.

هذا، وإن ما تضمّنه دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم من مؤسسات خيرية وخدمات إنسانية ومبادرات مجتمعية؛ كمؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية، ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ومؤسسات الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وسقيا الإمارات، ومنصة التطوع، وجمعيات دبي، والشارقة، وعجمان، ورأس الخيمة، والفجيرة... الخيرية؛ كل ذلك يشهد بهذا العطاء وهذه الرحمة التي اتسعت رحمها وامتدّ أثرها محلياً وإقليمياً وعالمياً، بعد أن رسخت جذورها في تاريخ الإمارات، وثبت أصلها في نفس الشيخ المؤسس زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، الذي "سجّل بأحرف من نور على صفحات تاريخ البشرية الإنساني اسم الإمارات رائدة العمل الخيري ومجالاته المختلفة، وحمل على عاتقه مسؤولية نشر السلام والتعايش بين الشعوب، وإعلاء القيم والمبادئ الداعية لحب الخير"¹.

1 من قول سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان في تصريح بمناسبة يوم زايد للعمل الإنساني، بعنوان: "إرث زايد الإنساني سيظل نبراساً يضيء دروب الخير والعطاء من أجل إسعاد البشرية"، منشور في وكالة أنباء الإمارات، بتاريخ 19 أبريل 2022م.

كان الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه أنموذجاً فذاً فريداً في البذل والعطاء، وكانت له أقوالٌ وحكمٌ ومواقف خالدةٌ في التمسك بهذه القيمة، منها قوله طيّب الله ثراه: "إنني على استعداد لأن أعطي أكثر مما أعطيت، أعطي لأحافظ على مكاسب المواطنين في الاتحاد، أعطي لأحافظ على الوطن الذي كبر ونما، أعطي لأحافظ على الكيان الاتحادي من أجل هذا الجيل والأجيال القادمة، وسأعطي كل ما أملك وكل ما أقدر عليه من أجل هذه الأرض وهذا الشعب، لا شيء عندي غال بالنسبة للوطن والمواطن، وسأكافح من أجل هذا"¹.

ولا تزال دولة الإمارات العربية المتحدة سائرةً على هذا النهج، وقد حفظ لها العالم مختلف مبادراتها في الالتزام بذلك، لا سيما في أوقات الطوارئ والأزمات، وقد تقدم ذكر بعضها في قيمة الرحمة.

ضوابط قيمة العطاء:

العطاء قيمة قد فُتحت لها الأبواب في النصوص الدينية والمساحات الإنسانية، لكن العطاء مضبوط بضوابط دينية وعقلية، منها:

1. ألا يؤدي العطاء إلى الإضرار بصاحبه:

فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، فإذا أنفق الإنسان من ماله؛ نهج هذا النهج في إنفاقه، من غير إفراط ولا تفريط، بل باعتدال وتوسط، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67].

1 انظر: زايد... روح خالدة في ذاكرة ووجدان الوطن والمواطنين، وكالة أنباء الإمارات وام.

يُحْمَلُ ما سبقَ على الإنفاق على النفس والأهل والضيِّف، وقد يحْمَلُ كذلك على صدقة التطوع -أما الصدقة الواجبة (زكاة المال، زكاة الفطر، النذر...) فلا سرف فيها؛ لأنها معلومة القدر- إذا زادت صدقة التطوع عن حدِّها، فأفقرت أصحابها، وأحوجته للناس، أو سبَّبت تقصيرًا في حق مَنْ يجب عليه نفقتهم، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَلاَ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141]، أي: ولا تعطوا كله، قيل: الإسراف المنهي عنه هو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض عليه إلى زيادة تجحف به¹. فمن لم يملك إلا مئة دينار مثلاً، ومعه عياله وأولاده، ولا معيشة لهم سواه، فأنفق الجميع في وليمة مثلاً، فهو مسرف، وقيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقد تصدق بجميع ثمرته حتى لم يبق فيها ما يأكله².

وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه، ولو أنه سبحانه طالهم بإنفاق المال كله لبخلوا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [النساء: 77]، إن يسألكم أموالكم ﴿يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [النساء: 77]، يعني أن الله تعالى قد علم أنه لو كلفكم ما لا تطيقون من الإنفاق؛ لكان ذلك داعياً إلى أن تبخلوا بأموالكم وتمنعوها³.

1 انظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي (ت: 450هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ت)، 6 مج، 178/2.

2 الماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون، 179/2.

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 231/21.

2. ألا ينبغي على العطاء لأناس؛ حرمان آخرين من حقوقهم:

• لا ينبغي للعطاء المحمود أن يكون سبباً للتقصير في أداء حقوق الآخرين، فيراعي المعطي الأولويات، ولا يضر بعطاءه المندوب عطاءه الواجب، ولا يقصّر في فرض العين بسبب فرض الكفاية.

• ولا يجوز للإنسان أن يكتسب المال بطرق مؤذية أو غير مشروعة؛ ليعطيه لآخرين، فالله تعالى طيبٌ، ولا يقبل إلا طيباً، قال ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَهُ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]، وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]"¹.

• كما ينبغي للأباء أن يراعوا مسألة العدل بين الأولاد في العطايا والهبات، فقد نهى الشرع عن التفضيل بينهم؛ لأن ذلك قد يورث العداوة والبغضاء فيما بينهم، وفيما بينهم وبين أبيهم أيضاً. فالأصل أن يعدل الإنسان بين أولاده ذكورهم وإناثهم، لكن إذا اختلفت أحوال الأولاد، فاقتضى حال بعضهم أن يفضله لحاجته، فلا حرج في ذلك، أما التفضيل لمجرد المحابة، من دون سبب مقبول، فغير جائز شرعاً، وقد جاء في الحديث عن النعمان بن بشير قال: تصدّق عليّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت ربيعة: لا أرضى حتّى تُشهد رسول الله ﷺ، فأنطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ: "أفعلت هذا بولدك كلّهم؟" قال: لا، قال: "اتّقوا الله وأعدّوا في أولادكم" فرجع أبي فردّ تلك الصدقة².

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1015، 703/2.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2587، 158/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1623، 3/1242.

3. العطاء الإلهي ابتدائي وجزائي:

الأصل أن عطاء الله تعالى ابتدائي، ثم بالشكر يدوم وينمو، وبكران العطاء وكفرانه يذهب، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

وشكر العطاء الإلهي يكون بالشكر والعطاء: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: 13]، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: 1-2]، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ﴾ [التوبة: 75-76].

ويكون - كذلك - بالشكر والإيمان: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 147]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 21-22].

والشكر من لوازم العطاء؛ وشكر نعمة الله سبحانه وتعالى سبب لاستقرارها وثبوتها وزيادتها؛ لذلك يجب على الإنسان أن يشكر الله تعالى على نعمه سواء كانت دينية أو دنيوية، وأن يُحسِّنَ استخدامها في مرضاته، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152].

ومن شكر نعمة الله تعالى نسبتها إليه سبحانه؛ أما نسبتها لغيره تعالى فهو نوع من كفرانها، قال ﷺ: "قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر،

فأما من قال: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب،
وأما من قال: مطرنا بنوء كذا كذا، فذلك كافري مؤمن بالكواكب"¹.

وَالشُّكْرُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾
[فاطر: 34]، وَالشُّكْرُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى عَنْ سَيِّدِنَا نُوحٍ
عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وَأَثْنَى اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَام بِالشُّكْرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا
وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ شَاكِرًا لِّلنِّعَمِ ۖ أَجْتَبَلَهُ وَهَدَلَهُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 120، 121].

وَكَانَ ﷺ يَهْتَمُّ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ، وَكَانَ يَدْعُو وَيَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُعِينَهُ
عَلَى الشُّكْرِ، فَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ
وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ"².

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالشُّكْرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾
[البقرة: 172].

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، وَأَلَّا يَقْتَصِرَ
الشُّكْرُ عَلَى اللِّسَانِ وَحَسَبِ، بَلْ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ؛ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ
أَهْلٌ لِلْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَنِعْمُهُ كَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 846، 169/1، مسلم، المسند الصحيح، رقم
الحديث: 71، 83/1.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1522، 86/2، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث:
1303، 53/3.

وحق العطاء البشري؛ جزاؤه شكرٌ وعرفان، وإن كان أصحاب العطاء لا يطلبون الشكر، ﴿إِنَّمَا نُنْطِئُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: 9]، لكن شكرهم واجب لمن نال عطاءهم، قال ﷺ: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ"¹.

4. العطاء مندوب، والتسول مذموم:

العطاء والإحسان إلى الناس لا شك أنه مندوبٌ محمود، ولكن الاستعطاء بطلب المال والعطايا من الناس من دون حاجةٍ ملحّةٍ غير مستحبٍّ، بل مذمومٌ، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكْفُلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟" فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا².

وإن كان للإنسان ما يُغنيه، فسؤال الناس وطلب الاستكثار منهم حرامٌ في حقّه، قال ﷺ: "مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَا يَغْنِيهِ؛ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُمُوشٌ، أَوْ خُدُوشٌ، أَوْ كُدُوحٌ فِي وَجْهِهِ"³.

وعن حكيم بن حزام قال: سألتُ رسول الله ﷺ، فأعطاني، ثم سألتُه، فأعطاني، ثم سألتُه، فأعطاني، ثم قال: "يا حكيم، إن هذا المال خَصْرَةٌ حَلُوةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4811، 255/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 339/4، 1955.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1643، 121/2.

3 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1626، 116/2، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 31/2، 650.

لم يُبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى"¹.
وعن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ كان يعطي عمر بن الخطاب رضي الله عنه العطاء، فيقول له عمر: أعطه، يا رسول الله، أفقر إليه مني، فقال له رسول الله ﷺ: "خذه فتموّله أو تصدّق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مُشرفٍ ولا سائلٍ فخذه، وما لا، فلا تتبعه نفسك"، قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدًا شيئًا، ولا يردّ شيئًا أعطيه².

ومن صفات المنافقين التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم أنهم إذا لم يُعطوا من الصدقات يغضبون ويسخطون، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:58]³.

فالواجبُ على الإنسان أن يتعفّف عن الطلب والمسألة، قال ﷺ: "المسألة لا تحلُّ إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقِّعٍ، أولذي غُرم مُفْطَعٍ، أولذي دم مُوجع"⁴، ومن هنا تعمل المؤسسات الإنسانية الرسمية على التحقق من حال السائل قبل العطاء، وهذا واجب؛ حتى لا يكون العطاء لغير مستحقه.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1472، 123/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1035، 717/2.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1045، 723/2.

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 508/11.

4 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1641، 120/2، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 2198، 740/2.

خاتمة:

العطاء من صفاتِ الله تعالى، ومن صفاتِ أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام، ولا شكَّ أنه من أخلاقِ المؤمنين الصادقين الواثقين من عطاء ربهم، يجودون بأموالهم وعلومهم وجاههم وسخاء أنفسهم، فيكونون شعلة للمحبة والألفة تضيء بين الناس، ويفتح الله بهم أبواب الرحمة والخير، ويخلصُ المجتمع بعطائهم من مشاعر البغض والكراهية والحسد وأشباهها، وفائدته تعود إلى مَنْ تَخَلَّقَ به أولاً، وإلى كل المجتمع ثانياً، وفي الآخرة يبلغ العطاء بأصحابه أرفع الدرجات في أعالي الجنّات.

الرأفة والعطف

مقدمة:

الرأفة والعطف قيمتان تتفرعان عن الرحمة؛ وصفتان تندرجان تحتها وتحملان في طبيعتهما معانيهما، فالرأفة في الأصل رِقَّةُ الرحمة¹، والتعطف إنما يكون بالرحمة²، والرحمة رِقَّةُ القلب وعطفه³.

ووصف الله تعالى نفسه بالرأفة والرحمة جميعاً، ووصف بهما نبيه الكريم ﷺ، وصالح عباده المؤمنين، وجعل الرأفة والعطف والرحمة فطرة مركوزة في الخلائق أجمعين.

وقد أراد الإسلام لكل إنسان أن ينمي في نفسه هذه القيمة، ويتخلق بهذا الخلق، ليكون الناس متحابين متآلفين متباذلين، يحنو بعضهم على بعض، ويرأفون ويعطفون بعضهم على بعض؛ لأن غياب قيمة الرأفة والرحمة عن المجتمع؛ يحوّل أبناءه إلى قساة متدابرين، تتسم علاقاتهم بالأنانية والغلظة والفظاظة، فلا يرأف أحدٌ بأحد، ولا يرحم أحدٌ أحداً.

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 594/3.

2 ابن فارس، مقاييس اللغة، 351/4، (عطف).

3 العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت: نحو 395هـ)، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص251.

تعريف الرأفة والعطف:

أ. تعريف الرأفة:

أولاً- في اللغة:

"الرأفة" مصدر الفعل "رَأَفَ"¹، وللعرب في الرأفة لغتان: "الرأفة" بتسكين الهمزة، و"الرأفة" بمدّها، وكأنَّ الرأفة المرّة الواحدة، والرأفة المصدر².

وتأتي على معانٍ، أهمّها:

1. الرِّقَّةُ والرَّحمة: "الرأفة الرَّحمة"³، وفي اللغة: "الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدلُّ على رِقَّةٍ ورحمةٍ، وهي الرأفة"⁴.
2. الرحمة الشديدة: فالرأفة رحمةٌ قوية⁵، بل هي أشدُّ الرحمة⁶، و"الرؤوف: المبالغُ في الرأفة والشفقة"⁷، وعليه؛ فالرأفة أكثر من

1 عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 838/2، (رَأَفَ).

2 ابن جبر الطبري، جامع البيان، 144/17.

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 373، (رَأَفَ).

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، 471/2، (رَأَفَ)، وانظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق المهدي المخزومي؛ وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، 282/8، (رَأَفَ).

5 من قول أبي عمرو بن العلاء، انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 25/2.

6 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1362/44، (رَأَفَ)، وانظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ/1999م، ص 115، (رَأَفَ)، وابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رَأَفَ).

7 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 302/8.

الرَّحْمَة، وأقوى منها في الكيفية؛ لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم¹.

3. العطف واللطف والإحسان: فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عز وجل الرَّؤُوف، ومعناه: الرحيمُ بِعِبَادِهِ، الْعَطُوفُ عَلَيْهِمْ²، ورأفة الله بعبده تتضمن اللطف به والإحسان إليه بجميع أنواع الإحسان³.

ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للرفقة عن المعنى اللغوي⁴، فالرفقة "مبالغة في رحمة مخصوصة؛ هي رفع المكروه وإزالة الضرر"⁵.

والرحمة والرفقة كلمتان مترادفتان؛ إلا أنَّ الرفقة مطلق الرحمة⁶ وأخصُّ منها وأرقُّ، تحمل في طياتها معنى الإحساس بالآخر، والرغبة في تخفيف آلامه أو مساعدته، تسببها رقةٌ تنشأ عند حدوث ضررٍ بالمرؤوفِ به، والرحمة: رقةٌ تفتضي الإحسان للمرحوم، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلق⁷؛

1 العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص246.

2 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/176، وابن منظور، لسان العرب، 9/112، (رأف).

3 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، 2/359.

4 انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/176، (رأف).

5 الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 471.

6 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 23/322، (رأف).

7 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/73.

ولا تكاد تقع الرأفة في الكراهة، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة¹، بمعنى: أن الراحم قد يرضى للمرحوم ما يكرهه؛ وذلك رحمةً به، كالذي يقع من حزم المربي وصرامة المعلم وإيلاء الطبيب المعالج، وكل منهم رحيم، أما الرؤوف؛ فتمنعه رأفته من إيقاع ما يكره بمن يرأف به إشفاقاً عليه. فالفرق بين الرأفة والرحمة: أن الرأفة أبلغ من الرحمة، فهي مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضرر، وأما الرحمة فإنها اسمٌ جامعٌ يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الإفضال والإنعام².

ب. تعريف العطف:

أولاً- في اللغة:

يدور العطف في اللغة حول معانٍ عدّة، أهمّها:

1. الميل والانحناء: فالعين والطاء والفاء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلّ على انثناءٍ وعياجٍ، يقال: عطفت الشيء؛ إذا أملتّه، وانعطف؛ إذا انعاج، ويقال للجانبين: العطفان؛ سُمّيَا بذلك لأنّ الإنسان يميل عليهما³، وعطفتُ العود فانعطف، أي: حنّيته فانحنى، وعطفتُ الوسادة؛

1 انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، (رأف)، وابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).

2 الرازي، التفسير الكبير، 93/4، وانظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 471، والعسكري، معجم الفروق اللغوية، ص 246.

3 ابن فارس، مقاييس اللغة، 351/4، (عطف).

ثَنِيَّتُهَا¹، ومنعطف الوادي: منعرجه ومنحناه²، ومنه يؤخذ حنو المرأة على وَلَدِهَا وميلُها نحوه وحنانها عليه، فيقال: امْرَأَةٌ عَطُوفٌ، ورجلٌ عَطُوفٌ كذلك³، يقابله: ﴿ثَانِي عِظْفِهِ﴾ [الحج: 9]، أي: لاوي عُنْفِهِ، إذا أَعْرَضَ وجفا⁴.

2. الرِّقَّةُ واللُّطْفُ: ومنه: تعَطَّفَ على رَحِمِهِ، أي: رَقَّ لها، والعاطفة: الرَّحْمُ، صفةٌ غالبية⁵، والله يعطف على عباده بِالطَّافَةِ⁶.

3. الشَّفَقَةُ: يقال: تعَطَّفَ عليه: أَشْفَقَ، واستعطفه فعطف، وتعاطفوا، أي: عطف بعضهم على بعض⁷.

4. الصِّلَّةُ والبر: يقال: تعَطَّفَ على ذي رحم، أي: وصله وبرَّه، والعَطَافُ: الرَّجُلُ العَطِيفُ على غيره بفضلِهِ، الحَسَنُ الْخُلُقِ، الْبَارُّ اللَّيِّنُ الْجَانِبِ⁸.

5. الإِعَانَةُ والتَّقْوِيَةُ: وهو مُسْتَلٌّ من المعنى السابق، يقال: عَطَفْتُ الشَّيْءَ أَعِطْفُهُ عَطْفًا، إِذَا ثَنَيْتَهُ وَرَدَدْتَهُ عَنْ جِهَتِهِ⁹، وعطفُ الشَّيْءِ وتثنية

1 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1405/4، (عطف).

2 ابن منظور، لسان العرب، 250/9، (عطف).

3 الأزهري، تهذيب اللغة، 106/2.

4 الفراهيدي، العين، 17/2.

5 انظر: ابن منظور، لسان العرب، 249/9، (عطف).

6 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، (رأف).

7 انظر: ابن منظور، لسان العرب، 249/9، (عطف).

8 انظر: الفراهيدي، العين، 17/2، وابن منظور، لسان العرب، 249/9، (عطف).

9 ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، 1987م، 3 مج، 914/2.

أحد طرفيه على الآخر يقوِّيه ويدعمه، وكذلك هو العطف والتعاطف بين الناس، يراد به إعانة بعضهم بعضاً؛ كما يعطف الثوب عليه ليقوِّيه¹.

ثانياً- في الاصطلاح:

يمكن أن يؤخذ معنى العطف في الاصطلاح من مجموع المعاني اللغوية المتقدمة، ليعرّف أنه: حنوٌّ ورحمةٌ ورقّةٌ وشفقةٌ وحنانٌ على الغير؛ نتيجة شعور الإنسان العاطف بالمعطوف عليه وتقدير أحواله، مما يستدعي اللطف والبر به، والإعانة والتقوية والصلة له.

أهمية الرأفة والعطف:

للرأفة والعطف أهمية كبيرة في القيم الإنسانية، والثقافة الإسلامية، وتبرز في نقاطٍ عدة:

1. الرؤوف اسمٌ من أسماء الله الحُسنى، والرأفة صفةٌ من صفاته الفضلى:

فهو سبحانه الرؤوف الرحيم بعباده، العَطوف عليهم بالطفاه²، وقد وصف الله تعالى نفسه بالرأفة والرحمة مقتربين في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، فقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 9]، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ

1 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 439/10.

2 انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 176/2، (رأف)، وابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).

لَرءُوفٌ رَحِيمٌ» [البقرة: 143]، أي: إن الله بجميع عبادِهِ ذُورَافَةٍ. والرأفةُ على معاني الرحمة، وهي عامّةٌ لجميع الخلق في الدنيا¹، وفي الآية تقديم لذكر الرأفة وتأخير لذكر الرحمة تأكيداً للمعنى²، فالرأفة أبلغ من الرحمة - كما تقدم -.

وقال سبحانه في موضعين آخرين: ﴿وَاللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207 - آل عمران: 30]، أي: رحيم بهم³، والتعريف في "العباد" للاستغراق؛ لأن رأفة الله شاملة لكل الناس⁴.

وفي هذا المعنى قال كعب بن مالك الأنصاري:

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رءُوفًا⁵

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى في يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿وَعَاتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيحًا ۝٧٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: 12-13]، أي: رحمةً من عندنا؛ رحمَ الله بها زكريا، وتعطفًا من عندنا عليه فعلنا ذلك، يقال: تحنَّ فلان على فلان؛ إذا وصف بالتعطف عليه والرقة به والرحمة له⁶.

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 654/2.

2 العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص246.

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 324/5، والرازي، التفسير الكبير، 196/8.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 224/3.

5 ابن منظور، لسان العرب، 112/9، (رأف).

6 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 475/15 - 479.

ومن رأفة الله وعطفه على أهل البلاء أن يزيدهم سبحانه من رأفته ورحمته وعطفه ما صبروا واسترجعوا، فقد بشر ﴿الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: 155-157﴾، وقد جمع في البشارة بين الصلاة - وهي هنا بمعنى الرأفة - وبين الرحمة - وهي شاملة للرأفة - للمبالغة¹.

2. الرأفة والعطف من صفات نبينا الكريم ﷺ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَأْمَنَ الْخَلْقِ وَمَفْرَعَهُمْ، لَهُ عَظْفُ الْأَبَاءِ، وَشَفَقَةُ الْأُمَّهَاتِ، وَرَحْمَةُ الْوَالِدَاتِ، وَشَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ فِي تَنْزِيلِهِ أَعْظَمَ شَهَادَةٍ²، فَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، قال عمر: كذا كان رسول الله ﷺ³. فوصفه الله تعالى في سياق الرأفة بما وصف - سبحانه - نفسه، وقد قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحدٍ غير رسول الله ﷺ⁴؛ لأن النبي الكريم ﷺ ملئ رأفةً ورَحمةً وعطفًا، فكانت الرأفة والرحمة والعطف صفات ثابتة في صفاته ﷺ، ونعمة امتنَّ بها - سبحانه - عليه ﷺ، فقال له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ

1 مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 237/1.

2 الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن (ت: نحو 320هـ)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، (د.ط.)، (د.ت)، 120/1.

3 ابن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت: 227هـ)، سنن سعيد بن منصور، 1403هـ - 1982م، 302/5، وابن جرير الطبري، جامع البيان، 588/14.

4 النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 719/1.

مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ^١ [آل عمران: 159]، وتأويل الكلام: فبرحمة الله يا محمد، وبرأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك؛ لنت لأتباعك وأصحابك، فسَهَلْتُ لهم خلائِكَ، وحَسُنْتَ لهم أخلاقك^١.

وفي ذلك يقول الشاعر:

فَأَمِنُوا بِنَبِيِّ مُرْسَلٍ لَكُمْ ذِي خَاتَمٍ، صَاغَهُ الرَّحْمَنُ، مَخْتُومٍ
رَأْفٍ رَحِيمٍ بِأَهْلِ الْبَرِّ يَرْحَمُهُمْ مُقَرَّبٍ عِنْدَ ذِي الْكُرْسِيِّ مَرْحُومٍ^٢

والرأف: الرجل الرحيم، كالرؤف، والرؤوف، وهما لغتان^٣.

والقارئ لسيرة النبي ﷺ يجدها مليئةً بالمواقف التي تبرزُ فيها رأفته ﷺ بمن حوله، وعطفه عليهم، ولينُه معهم، زاخرةً بشواهدٍ تخلقه ﷺ بتلك الأخلاق مع الصَّغير والكبير وعامة النَّاس، فقد كان عليه الصَّلاة والسَّلام متواضعًا، رحيماً رؤوفاً، مشفقاً عطوفاً.

1 انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 6/186.

2 ابن منظور، لسان العرب، 9/112، (رأف).

3 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 23/322، (رأف).

ومن هذه المواقف - على سبيل المثال - رأفته وعطفه ﷺ:

• على نسائه وأهل بيته:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ أحنى عليّ، فقال: "إنكنّ لأهمنّ ما أتركُ إلى وراء ظهري، والله لا يعطفُ عليكنّ إلا الصابرون أو الصادقون"¹.

وسُئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: "كان يكون في مهنة أهله" تعني خدمة أهله²، "كان ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته ما يعمل أحدكم في بيته"³.

وسُئلت رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ قالت: "ألين الناس، وأكرم الناس، كان رجلاً من رجالكم؛ إلا أنه كان ضحّاكاً بسّاماً"⁴.

1 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 24893، 382/41، واللفظ له، والبخاري، البحر الزخار، رقم

الحديث: 1043، 253/3، بنحوه عن عبد الرحمن بن عوف .

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 676، 136 /1.

3 ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 6440، 351/14.

4 ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ-2001م، 274/1، وابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي (ت: 238 هـ)، المسند، تحقيق د. عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، سنة 1412هـ (5 مج)، رقم الحديث: 1750، 1008/3، وأخرجه مختصراً برقم: 1001، 434/2، وابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد (ت: 281هـ)، مكارم الأخلاق، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن - القاهرة، رقم الحديث: 397، ص120.

وهذه المبادرة لخدمة الأهل، وإعفائهم من الخدمات الشخصية، ولين الجانب، وحُسن العشرة... ما هو إلا لعطفٍ ولطف ورفق ورأفة ملئ بها قلبه ﷺ لأهله وذويه، فانعكست على أقواله وأفعاله وأحواله.

• على أولاده وأولادهم:

ومن أمثلته: ما روت عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه، قال لفاطمة: "يا بِنْتِي، احني عليَّ!"، فأحنت عليه، فناجاها ساعة، ثم انكشفت... الحديث¹.

وعن أبي هريرة قال: كنّا نُصَلِّي مع رسول الله ﷺ العِشاء، فإذا سجَدَ وَثَبَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ على ظَهْرِهِ، فإذا رَفَعَ رَأْسَهُ، أَخَذَهُمَا بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ أَخْذًا رَفِيقًا، فَيَضَعُهُمَا على الأَرْضِ، فإذا عادَ عادًا، حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، أَقْعَدَهُمَا على فَخْذَيْهِ، قال: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أَرُدُّهُمَا، فَبَرَقَتْ بَرَقَةً، فقالَ لَهُمَا: "الْحَقَّا بِأُمِّكُمَا"². وفي حديث أبي بكرة بنحوه، قال: فَيَرْفَعُ رسولُ اللهِ ﷺ رَفْعًا رَفِيقًا؛ لِيَتَلَايَصِرَ، قال: فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا ما رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَهُ، قال: "إِنَّهُ رِيحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا"³. وفي رواية: فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمَا يَبَاعِدَانِهِمَا وَيُنَجِّيانِهِمَا عن ذَلِكَ، فقالَ ﷺ: "دَعُوهُمَا، بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي، مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ"⁴.

1 الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 1031، 417/22.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 10659، 386/16.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2704، 186/3، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 20516، 148/34، واللفظ له.

4 البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 3424، 373/2.

وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنهما عن أبيه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيَّهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "صَدَقَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا"¹.

وعن عبد الله بن شَدَّادٍ رضي الله عنهما، عن أبيه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَالَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ"².

وكان رسول الله ﷺ يُصَلِّي وهو حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا³.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1109، 290/1، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3774، 658/5، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1413، 108/3.

2 النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 1141، 229/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 27647، 613/45.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 516، 109/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 543، 385/1.

هذه الأحاديث بمجموعها تبين عطفه ﷺ على أولاده، وقربه منهم،
ولينه معهم، ورفقه ورأفته بهم.

وَمِنْ رَأْفَتِهِ ﷺ وعطفه ورحمته - أيضًا - أنه كان يمرّ بالأطفال فيسلّم
عليهم¹، ويرأف لحال صغيرهم فيقول: "إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ
إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بَكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ
أُمِّهِ مِنْ بَكَائِهِ"².

• على الناس جميعاً:

ومن شففته ﷺ ورأفته أنه كان يحب العفو من المظلوم عن الظالم،
ويحب التجاوز عن المخطئ، ويكره الانتصار والانتقام للنفس والخصومة
لها، ويحب الستر على الناس، ويلتمس لهم العذر، ويرفق بهم ويرأف بحالهم،
ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما... وصفه ابن
عباس فقال: "كَانَ ﷺ أَلَيْنَ النَّاسِ جَنَاحًا، وَأَطْيَمَهُمْ خَبْرًا"³.

ومن ذلك ما أخبر به كعب بن مالك : أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا
له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها
رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشف سَجَفَ
حجرته، ونادى: "يا كعب بن مالك، يا كعب!". قال: لبيك يا رسول الله،

1 انظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6247، 55/8.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 709، 143/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم
الحديث: 470، 343/1.

3 الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 4165، 652/2.

فأشار بيده أن: ضع الشطر من دينك! قال كعب: قد فعلتُ يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: "قم فاقضه!"¹.

وروت عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا رأى مخيلة - يعني الغيم - تلَوْنَ وجهه، وتغير، ودخل، وخرج، وأقبل، وأدبر، فإذا مطرت سُري عنه"². والمعنى أن رسول الله ﷺ كان يعتريه الخوف والهَمُّ إذا برقت السماء أو رعدت؛ مخافة أن يكون ذلك مقدمة لخطرٍ يحيق بالناس؛ فكثيراً ما يصحبُ هذه الحالة عواصف جائحة وصواعق مهلكة، فإذا أمطرت السماء اطمأنَّ، وذهب ما به من الخوف³.

• على المذنبين ورحمته ﷺ بهم:

فكان يستغفر لمن جاءه مذنباً مخطئاً، إشفاقاً عليه من جريرة عمله ووزر خطيئته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64].

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 457، 99/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1558، 1192/3.

2 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3891، 1280/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 26037، 163/43.

3 انظر: الشافعي، محمد بن إدريس (ت: 204 هـ)، المسند، دار الكتب العلمية، بيروت. 1400 هـ، رقم الحديث: 500، 173/1.

3. الرأفة والعطف من صفات المؤمنين الصادقين:

الرأفة والعطف سمة المجتمع المتراحم عامة، وخلق المؤمنين الصادقين خاصة، قال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"¹، والذي يظهر أن ما ورد في الحديث من التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى، لكن بينها فرقٌ لطيفٌ: فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة؛ كالتراور والتهادي، وأما التعاطف؛ فالمراد به إعانته بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقوّيه².

وتقدمت شهادة النبي ﷺ بصدق إيمان من عطف على أهله ﷺ من بعده؛ إذ قال لعائشة رضي الله عنها: "والله لا يعطفُ عليكَ إلا الصابرون أو الصادقون"³.

وقد ذكر الله تعالى أنه جعل في قلوب أتباع السيد المسيح عليه السلام رأفةً ورحمةً، فقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 27].

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6011، 8/ 10، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2586، 4/ 1999.

2 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 439/10.

3 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 24893، 382/41، واللفظ له، والبخاري، البحر الزخار، رقم الحديث: 1043، 3/ 253، بنحوه عن عبد الرحمن بن عوف .

4. العطفُ فِطْرَةٌ في سائر المخلوقات:

فطر الله تعالى مخلوقاته على العطف حتى تستمر الحياة، فأنزل عليهم من رحمته ما جعلهم يتعاطفون بينهم، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ - يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ - مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلَّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فِيهَا تَعُطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ"¹.

فهذه الرحمة من الله تفرّعت في قلب الإنسان رقة ورأفة وحنواً يجده في نفسه عند مشاهدة مبتلى، أو ضعيف، أو صغير، يحمله على الإحسان إليه، والعطف عليه، واللفظ به، والرفق له، والسعي في كشف ما به. وتفرّعت في الحيوان كلّ غريزة خيرة؛ فيها تعطف الحيوانات على نوعها، وأولادها، فتحنو عليها، وتلطف بها في حال ضعفها وصغرها. وحكمة ذلك تسخير القوي للضعيف، والكبير للصغير حتى ينحفظ نوعه، وتتم مصلحته، وذلك تدير اللطيف الخبير².

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2753، 2109/4.

2 القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 108/6.

- 205 -

طرق وآليات اكتساب الرأفة والعطف:

1. التأسي بأسماء الله الحسنى، ومنها الرؤوف:

المؤمن يسعى دائماً لأن يقتدي بأسماء الله الحسنى ويتخلق بأخلاقه العليا ويتمثل صفاته الفضلى، ومنها الرأفة بالناس جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، ﴿وَاللَّهُ رءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207].

2. الاقتداء بهدي النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: 21]، ومن صفته ﷺ أنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. ومن لوازم هذا الاقتداء أن يطلع الإنسان على ما جاء في سيرة النبي ﷺ وحديثه، وأهم مواقفه التي تبرز فيها قيمة الرأفة.

3. صحبة أهل الرأفة والعطف:

فالساحب يُعدي في الخير والشر؛ لذلك قال ﷺ: "الرجل على دين خليله، فليَنظُرْ أَحَدُكُمْ مَن يُخَالِلُ"¹.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4833، 259/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2378، 589/4.

4. مخالطة الضعفاء والمحتاجين، والإسهام في تخفيف معاناتهم:

فذلك يتيح للإنسان أن يعاين أحوالهم، ويطلع على معاناتهم، فيعزّز ذلك مشاعر العطف والرأفة في قلبه، ويغمّره بالرفقة واللين والعطف، الذي ينعكس محبةً وعطاءً وبذلاً للخير وإحساناً للغير.

5. تدريب النفس على الرأفة والعطف:

بتمثّل قيمة الرأفة والرحمة والعطف، والتزام التواضع والرفق واللطف، فكما أنّ العلم بالتعلّم، والحلم بالتحلّم، فكذلك هي الرحمة والرأفة والتعاطف، يتكلّفها الإنسان زمناً، ثم تصير له سجيّة وطبعاً.

6. حفظ القلب:

ورعاية سلامته، وتعاহده وتنظيفه مما قد يشوبه من الأمراض ويعتريه من الآفات؛ كالقسوة والحسد والحقد والكراهية...، وكل ما من شأنه أن يحول دون تمكّن العطف والرأفة والرحمة في القلب والسلوك، ويمنع تعزيز العلاقات الإنسانية، أو يضعف روابط المودة والتراحم والتعاطف فيها؛ فهذه الصفات السلبية مضادّة للرأفة والعطف، مُنافية لما يستلزمها من الحُنُوِّ والحَنَانِ والرحمة بخلق الله، ولا يتّصفُ بها أحدٌ إلا قسا قلبه، وساءت سيرته، وذُمتْ سيرته، وفُسدَت عاقبته! والسعيد من حفظ قلبه.

7. الذِّكْر والدعاء:

فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، ذَكَرَهُ يَلِّينَ الْقُلُوبَ، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2]، وَالْقُلُوبُ بِيَدِ اللَّهِ؛ يَقْلِبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَيَطْلُبُ الْإِنْسَانَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُوَدِّعَ فِيهِ الْعَطْفَ وَالرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ.

خاتمة:

مِنْ خِلَالِ النِّصُوصِ الْقُرْآنِيَةِ وَالنَّبَوِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَحُثُّ عَلَى الرَّأْفَةِ وَالْعَطْفِ وَتَدْعُو إِلَيْهِمَا وَإِلَى التَّخَلُّقِ بِهِمَا؛ يَظْهَرُ أَنَّ دِينَنَا الْحَنِيفَ نَدَبَنَا إِلَى أَنْ يَكُونَ لَنَا مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ؛ فَيَتِمُّ ذَلِكَ سَلَامَةً فِي الْقَلْبِ وَجَمَالًا فِي الطَّبَعِ وَإِحْسَانًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَيَنْعَكِسُ رَأْفَةُ الْجَاهِلِ فَنَعْلَمُهُ، وَالْفَقِيرَ فَنَوَاسِيَهُ، وَالصَّغِيرَ فَنَرُوفَ بِهِ، وَالْكَبِيرَ فَنَوْقَرُهُ، وَالْحَيَوَانَاتِ فَنَعْطِفُ عَلَيْهَا، وَمَنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الشَّفَقَةُ وَالرَّأْفَةُ وَالْعَطْفُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ فِي وَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَغَشِيَهُ بِإِحْسَانِهِ وَرَأْفَتِهِ.

التعاون والتضامن

مقدمة:

التعاون والتضامن مظهر من مظاهر التراحم الاجتماعي، وصورة من صور التحضر الإنساني، وقيمة ضرورية من قيم الحياة، تتجسد في المساعدة والمواظرة والشعور بالغير والاجتماع على عمل الخير، لذلك جاءت كثير من الآيات والأحاديث تدعو إليه، وتحث عليه، وتبرز حرص ديننا الإسلامي على تكوين مجتمع متحاب ومترابط برباط الألفة والمحبة؛ يتمثل أفراده قيم التعاون والتضامن والتعااض والتساعد والتساند، ليعم الخير الجميع، أفرادًا ومجتمعات.

تعريف التعاون والتضامن:

أ. تعريف التعاون:

أولاً- في اللغة:

"التعاون" مصدر الفعل "تَعَاوَنَ"، ويعود إلى الجذر "عَوَنَ"، الذي يأتي

بمعنى:

- الدَّعْم والمساندة: ومنه: "العَوْنُ" وهو الظهير على الأمر، والجمع "أعوانٌ"، وتعاونًا، أي: أعان بعضنا بعضًا، ورجلٌ مِعْوَان: حَسَنُ المعونة، أو كثيرُ المعونة للنَّاس، والمُعونة: الإعانة، ويقال: استعنتُ بفلانٍ فأعاني وعاونني، والنحويون يسمون الباء "حرف الاستعانة"، وذلك

أنك إذا قلت: كتبت بالقلم، وقطعت بالمديّة، فكأنك قلت: استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال¹.

- القوة والتماسك: ومنه يقال: امرأة متعاونة؛ إذا اعتدل خلقها، و"العَوَان" النصف في سِتْمَا من كل شيء، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا فَاْرِضْ وَلَا يَكُورُ عَوَانٌ﴾ [البقرة: 68]، أي: في النصف من سِتْمَا، بين الفارض، وهي المسنة، وبين البكر، وهي الصغيرة، والعوانة من النخل: الباسقة².

ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحيُّ للتعاون عمّا تقرّر له في اللغة، فالتعاون هو: عمل مشترك بين شخصين أو أكثر، أو بين فرق أو فئات أو مؤسسات أو دول...، من أجل المساعدة في تحقيق هدف مشترك أو مصلحة متبادلة. هذا العمل يتضمن تقاسم الموارد، والمعرفة، والخبرات، والمشاركة في الجهود؛ للوصول إلى نتائج أفضل مما يمكن تحقيقه بشكل فردي.

1 انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2168/6، 2169، (عون)، وابن منظور، لسان العرب، 298/13، 299، (عون).

2 انظر: ابن منظور، لسان العرب، 298/13، (عون).

ب. تعريف التضامن:

أولاً- في اللغة:

يعود التضامن إلى الجذر اللغوي "ضَمَنَ"، الذي يأتي بعدة معانٍ، منها:

1. الاحتواء والاشتمال: "الضَّاد والميم والنون أصلٌ صحيحٌ، وهو جعل الشيء في شيءٍ يحويه، من ذلك قولهم: ضَمَنْت الشيء؛ إذا جعلته في وعائه"¹، وكلُّ شيء جعلته وعاءً لشيءٍ فقد ضَمَنْتَهُ إِيَّاهُ²، ومعنى: فهَمْتُ ما تَضَمَّنَهُ الكتابُ، أي: ما اشتمل عليه وكان في ضِمْنِهِ³.
2. الكفالة والضمان: ضَمِنَ الشيء إذا تكفل به، وضَمَنْتَهُ إِيَّاهُ: كَفَّلَهُ، فهو ضامِنٌ وضَمِيْنٌ⁴، والكفالة تُسَمَّى ضَمَانًا لأنَّ الكفيل إذا ضَمِنَ المكفول فكأنَّه قد اسْتَوْعَبَ ذِمَّتَهُ⁵.

3. الحفظ والتعهد: ومنه الحديث: "الإمامُ ضامِنٌ"⁶، والمراد بالضَّمَان هَاهُنَا الحفظ والرِّعاية؛ لأنَّ الإمامَ يحَقِّظُ عَلَى القومِ صَلَاتَهُمْ⁷.

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 372/3، (ضَمَنَ).

2 انظر: ابن دريد، جوهرة اللغة، 911/2، (ضمن)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2156/6، (ضمن)، وابن فارس، مقاييس اللغة، 372/3، (ضَمَنَ).

3 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2155/6، (ضمن).

4 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2155/6، (ضمن). وابن منظور، لسان العرب، 257/13، (ضَمَنَ).

5 ابن فارس، مقاييس اللغة، 372/3، (ضَمَنَ).

6 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 517، 143/1، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 207، 402/1، ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 7169، 89/12.

7 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 102/3، وانظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 333/35، (ضمن).

والضَامِنَةُ مِنَ النخل: ما كَانَ مِنْهَا دَاخِلًا فِي الْعِمْرَانِ وَحَوْلِ الْمَدِينَةِ،
وَسُمِّيَتْ ضَامِنَةً؛ لِأَنَّ أَرْبَابَهَا قَدْ ضَمِنُوا عِمَارَتَهَا وَحَفَظَهَا¹.

ثانيًا- في الاصطلاح:

لم تتناول المعاجم القديمة مصطلح "التضامن" بالمعنى المتعارف عليه في زماننا، لكن بعض المعاجم المعاصرة عدَّت لفظة "التضامن" محدثة، وعرفته بأنه: "التزام القويِّ أو الغنيِّ معاونة الضَّعِيفِ أو الفقير، وتضامنوا: التزم كلُّ منهم أن يؤدِّي عن الآخر ما يَقْصُرُ عن أدائه"². وهو المؤدِّي في اللغة نفسه.

أهمية التعاون والتضامن:

تبرز أهمية التعاون والتضامن في نقاط عدَّة، منها ما يأتي:

1. التعاون قيمة ثابتة في الكون والحياة:

فالمتأمِّل في بناء الكون، وكتلة كواكبه ونجومه ومجرَّاته، وحركتها، ومساراتها؛ يجد لكلِّ منها دوره في ضبط قوة الجاذبية، وتأثيره المتبادل في المدار الكوني، والذي يحفظ بمجموعه الاستقرار على الأرض، ويحميها من التغيرات المفاجئة أو الاصطدامات المدمِّرة.

والمتفكِّر في الحياة على الأرض؛ يرى الكائنات الحيَّة كالنمل، والنحل، والسَّمَك، والطير... تتعاون فيما بينها وتتساعد لتأمين غذائها وحفظ بقائها،

1 ابن منظور، لسان العرب، 258/13، (ضمن).

2 انظر: مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، 544/1.

كما تضطلع بأدوار مهمة في استقرار الحياة على الأرض؛ من خلال تلقيح النباتات، وتحسين التربة، والتنظيم البيئي، والتحكم في الآفات والمكافحة الحيوية، وضبط النظم البيئية، والتنظيم الغذائي، وضبط دورة العناصر الغذائية...

وكذلك الأمر عند الإنسان، فليس بخارج عن هذه القيمة الثابتة في الكون والحياة، وذلك على المستوى الشخصي والاجتماعي؛ ففي بنائه الذاتي تتكامل خلاياه ومكوناته وتتعاون أجهزته وتتعاقد أعضاؤه لتحفظ بقاءه وتضمن نماءه واستمراره واستقراره؛ هذا على مستوى البناء الشخصي؛ وكذلك الفرد لا يستغني بذاته، فقد خلق الله تعالى البشر وفطرهم على العيش معاً؛ ولا يمكن لأيّ منهم أن يعيش وحده دوماً، أو يخرج من دائرة التعاون والتضامن المتبادل مع بني جنسه أيّاً كانت الأسباب، يقول الشاعر:

الناسُ للناسِ من بدوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خَدَمُ

وقدّر الله تعالى أن لا تقوم الأمور الكبيرة والصغيرة بغير تعاون بين الناس، فصعّب على كل أحدٍ أن يحصلَ لنفسه أدنى ما يحتاجُ إليه إلا بمعاونة غيره له؛ وإن لقمة الطعام - مثلاً - لو عدّنا مَنْ تعب في تحصيلها وصنع آلتها من حين الزرع إلى حين الحصاد، ثم الطحن والخبز والبيع...، لصعب حصره، ولهذا احتاج الناس أن يكونوا متعاونين متعاضدين متضامنين حتى تسير الحياة على أفضل وجه لها، ومن هنا قيل: "الإنسان مدنيٌّ بالطَّبْع"، أي: لا يمكنه التفرّد عن الجماعة بعيشه، بل يفتقر بعضهم إلى بعض، وقد قيل: الناس كجسد واحد؛ متى عاون بعضه بعضاً استقل، ومتى

خذل بعضه بعضًا اختل¹، فالطبيعة البشرية تجعل الفرد مدنيًا، يحتاج للجميع والجميع يحتاجون إليه، ولا يستغني أحدهم عن التعاون في أمر من أمور الدين والدنيا والآخرة؛ بل يُسَخَّر بعضهم لبعض في الأعمال والحرف والصنائع، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: 32]؛ فلو تساوى الناس واستغنوا ولم يحتج بعضهم إلى بعض؛ لتعطلت مصالحهم ومنافعهم، وتأخرت مجتمعاتهم وتقهرت حضاراتهم، لأجل ذلك كان التعاون أحد أهم مقومات استقرار المجتمعات وازدهارها وارتقاءها، وقد قيل: "اجتماع السواعد يبني الوطن، واجتماع القلوب يخفف المحن".

2. حثَّ الله سبحانه وتعالى الناس على التعاون والتضامن ورضيه لهم: دلت نصوص قرآنية كثيرة على أهمية التعاون والتكامل بين الناس، وفضل مساعدة بعضهم بعضًا؛ وورد الأمر صريحًا في القرآن الكريم بالتزام هذه القيمة، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، أي: ليُعين بعضكم بعضًا، وهو أمر من الله تعالى لجميع الخلق بالمعاونة على كل أمر فيه خير وبرٌّ ونفع للبلاد والعباد، وأن يتحاثوا عليه ويعملوا به²، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، وهذا نهى عن التعاون على كل ما فيه إثم وعدوان.

1 الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار الكتب العلمية، 1400هـ- 1980م، ص 265.

2 انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 46/6.

3. التعاون قيمة ثابتة في سيرة الأنبياء السابقين عليهم السلام:

لما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني الكعبة ويطهر موضعها فقال له: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26]؛ أشرك معه ولده إسماعيل ليعينه ويساعده في هذه المهمة العظيمة، فقال تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125]، فتعاون إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت وتطهير موضعه، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

ولما أرسل الله تعالى موسى عليه السلام برسالته وآياته وكان ذلك تكليفاً شاقاً؛ سأل موسى ربه أمورا ثمانية، منها قوله عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ ۞ هَارُونَ أَخِي ۝ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: 29-31]، أي: قوّ به ظهري، وأعني به. يقال منه: قد أزر فلان فلاناً؛ إذا أعانه وشد ظهره، ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أُمْرِي﴾ [طه: 32] الذي أمرتني به، فنتعاون كلانا جميعاً¹، فاستجاب له ربه؛ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: 35].

وفي قصة ذي القرنين: عرض القوم عليه أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السدِّ وأجرًا، قالوا: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: 94-95]، أي: إن الذي مكنني في عمل ما سألتُموني من السد ووطأه لي وقوّاني عليه؛ خير

1 مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدی البليخي (ت: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، 1423 هـ، 26/3، وابن جرير الطبري، جامع البيان، 55/16.

من ذلك وأكثر وأطيب، ولكن ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: 95]، أي: أعينوني
برجال وصناع يحسنون البناء والعمل¹، فدلّ ذلك على أنّ التعاون في
المشاريع الكبيرة ضرورة لا يستطيع الناس الاستغناء عنها.

4. حثّ النبي ﷺ على التعاون ودعا إلى التضامن:

وممّا يدلّ على أهمية التعاون والتضامن أنّ النبي ﷺ دعا إليه في
كثير من أقواله، وتمثّله ﷺ في كثير من أفعاله، وأثنى عليه صورةً من
صور الرحمة بين أفراد المجتمع؛ وذلك حين أثنى ﷺ على الأشعرين أنهم
كانوا متعاونين متضامنين، فكانوا إذا "قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمّعوا
ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسّوية"،
وهذا الحديث شاهد على ما اتسموا به من التعاون والتضامن والإيثار
والمواساة والسّماحة، ولما كان ذلك من أخلاق نبينا ﷺ وأشرف الناس في
سائر الأزمان؛ شرّفهم النبي ﷺ بإضافتهم إليه وإضافة نفسه إليهم²، فقال:
"فَهُمْ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ"³.

وقد حثّ النبي ﷺ على التعاون والتضامن في غير حديث، فقال ﷺ:
"يُدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ"⁴، وقال ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ

1 انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 403/15.

2 انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 545/7، القرطبي، المفهم لما أشكل من
تلخيص كتاب مسلم، 452/6.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2486، 3/ 138، ومسلم، المسند الصحيح، رقم
الحديث: 2500، 4/ 1944.

4 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2166، 4/ 466.

بعضاً"¹، وهذا الحديث ظاهره الإخبار؛ لكن معناه الأمر، وهو حثٌّ على التعاون²؛ فالتعاون في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق³.

وعن أبي سعيد الخدري ، قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: "من كان معه فضلٌ ظهر فليعُدْ به على مَنْ لا ظهر له، ومَنْ كان له فضلٌ من زاد فليعُدْ به على مَنْ لا زاد له" قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل⁴، وفي هذا الحديث حثٌّ على التعاون والتآزر والصدقة والجود ومواساة المحتاج والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالحهم، والأمر بذلك والتوجيه إليه⁵.

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: "ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كُرْبَةً فرَّج الله عنه كُرْبَةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"⁶، وفي هذا الحديث -

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 481، 103/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2585، 4/1999.

2 ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج، (ت: 597 هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، 4 مج، 405/1.

3 ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، 227/9.

4 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1728، 1354/3.

5 النووي، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، 33/12.

6 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2442، 128/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2580، 4/1996.

كذلك - حضُّ على التعاون وحسن التعاشر¹، وبيانٌ لفضل قضاء حوائج النَّاس أجمعين، ونفعهم بما يفيدهم في معاشهم ومعادهم.

وجاء رجل إلى النَّبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أحبُّ إلى الله تعالى؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعُهم للنَّاس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأنَّ أمشي مع أخ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهرًا"².

وفي السيرة النبوية وردت صور كثيرة تدلُّ على فضل التعاون والتضامن، منها: تعاون الصحابة رضوان الله عليهم في بناء المسجد النبوي، وكان ذلك أول عمل تعاونيٍّ عامٍّ في المدينة المنورة؛ ألف بين القلوب، ووجَّه نيَّاتها إلى تحقيق النفع العامِّ.

ومنها: تعاون الصحابة في كفالة "أهل الصفة"؛ إذ اتخذ فقراء المهاجرين ومساكينهم ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه؛ موضعًا في المسجد مظللًا يأوون إليه، وكان النبي ﷺ يعينهم، وربما دخل ﷺ بيته فوجد لبنًا في قده، فقال لمن معه: "الحقَّ أهل الصِّفة فادعهم إليَّ!"³. وكان ﷺ "إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم

1 ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 571/6.

2 الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 13646، 453/12.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6246، 55 / 8.

وأصاب منها وأشركهم فيها"¹. وكان ﷺ يحثُّ الناس على إعانتهم والتكفُّل بهم، من ذلك ما روى عبد الرحمن بن أبي بكر، قال: إن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس"². فكان الصحابة رضوان الله عليهم يأخذونهم إلى بيوتهم، أو يأتون إلى المسجد بالطعام لهم، (فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرتة وقلَّته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلِّقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه؛ فيسقط من البسر والتمر فيأكل)³.

5. التعاون سمة من أبرز سمات المجتمعات والدول المتحضرة:

لا يمكن لدولة أن تتحضر وتزدهر ولا لمجتمع أن ينمو ويستمر؛ ما لم يكن فيه تكافل وتآزر وتعاون وتضامن، بحيث يرحم فيه الغني الفقير، ويحمل فيه القوي الضعيف، ويواسي فيه الواحد المحتاج؛ أما إذا اتسم المجتمع بخلاف ذلك من الفردانية والأنانية والأثرة... فإن ذلك يفسد العلاقات بين أفرادها؛ وينذر بخطر عظيم يهدد تماسكه ولُحمته ومستقبله.

وصدق الشاعر إذ يقول:

لولا التعاونُ بين الناسِ ما شَرَفَتْ نفسٌ ولا ازْدَهَرَتْ أرضٌ بعُمران

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6452، 8/ 96.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 602، 1/ 124، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2057، 3/ 1627.

3 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2987، 5/ 218.

6. التعاون والتضامن في دولة الإمارات العربية المتحدة:

إن المجتمع الإماراتي يتَّسم بالتعاون والتضامن والمودة والبر والرحمة والكرم والإحسان، هذه السمات هي التي شكلت أهم الأسس التي قامت عليها الدولة الإماراتية، وقد وضع أهل الإمارات قديمًا نظامًا فريدًا في التكافل المجتمعي؛ حيث امتدت مسؤولية الفرد لتشمل الحيّ بأكمله إضافة له ولأسرته. ويؤكد هذا النظام على فكرة التضامن الاجتماعي الذي يتمثل بصور متعددة، منها: المادية، والكلمة الطيبة، والمودة الصادقة، والمشاركة المخلصة، مما كان سببًا لزيادة الترابط بين أفراد المجتمع.

وقد اعتمد نظام التكافل المجتمعي على المبادرات الفردية، مع تحمُّل الحكّام والشيوخ والموسرين مسؤولياتهم تجاه الناس.

ومن صور التكافل المجتمعي السائدة قديمًا: الزكاة، والصدقات، وإسعاف الجائع والمحتاج، والهدية أو الهبة، والضيافة الفزعة، والشوفة، والطرّاز، والمجالس والبيوت، المطاوعة وشيخ العلم، والمسافر خانة...

وقد انعكس ازدهار الحياة في دولة الإمارات العربية المتحدة في جميع مجالاتها إيجابيًا على التكافل المجتمعي والرعاية المجتمعية، وتغير مفهوم التكافل المجتمعي الفردي إلى منهج كامل يكفله الدستور؛ والذي أكدت مواده على أهمية التكافل والرعاية في المجتمع.

فشملت الرعاية المجتمعية في دولة الإمارات العربية المتحدة العديد من الفئات في المجتمع، منها: الأراذل، والأيتام، والعاجزين وذوي الهمم،

وكبار السن... وغيرهم¹، وذلك عن طريق مجموعة من المبادرات المجتمعية التي تجسّد قيم التكاتف ومبادئ التكافل المجتمعي بين أفراد المجتمع، وتقدّم نماذج رائدة وملهمة من التعاون والتضامن، ومن أمثلتها:

• مبادرة "فزة":

هي مبادرة اجتماعية تهدف إلى تطوير الترابط المجتمعي والحفاظ على روابط فعالة للتضامن داخل مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة، وهي إحدى مبادرات صندوق التكافل الاجتماعي، أطلقها الفريق سمو الشيخ سيف بن زايد آل نهيان، وتقدم حزمة فريدة من الخدمات للناس بهدف تنوع وتوسيع مجالات التكافل بينهم والارتقاء بها إلى أعلى المستويات².

• صندوق الزواج:

الذي يقدّم منحة مالية لمواطني الدولة من ذوي الإمكانات المحدودة لإعانتهم على تكاليف الزواج؛ بهدف تعزيز مرتكزات البناء الاجتماعي وتماسك نسيجه والارتقاء به وتفعيله تحقيقاً للاستقرار الأسري في المجتمع وتشجيعاً للزواج؛ بحيث يعود بالخير والاستقرار على كل من يستفيد منه³. كما ينظم صندوق الزواج الأعراس الجماعية، ويقدم الإرشاد والتوجيه للمواطنين المقبلين على الزواج.

1 انظر: البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، الحياة الاجتماعية، التكافل الاجتماعي.

2 انظر: موقع فزة.

3 مركز الاتحاد للأخبار، علوم الدار، "صندوق الزواج" يهدف إلى بناء أسرة إماراتية متماسكة ومستقرة، والبوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، منحة الزواج- زواج المواطنين بالمواطنات.

• مبادرة "مديم":

تعد مبادرة "مديم" إحدى مبادرات حكومة أبوظبي التي تحتفي بالاعتدال وبالقيم الموروثة الأصيلة والمتجذرة بين أبناء المجتمع الإماراتي في كافة الممارسات المتعلقة بالزواج والتأسيس لعائلة مستقرة، وتهدف إلى تشجيع الشباب المواطنين على التواضع في ممارسات حفلات الزفاف، ودعوتهم للتفكير بحكمة عند التخطيط لكل ما يتعلق في حياتهم الزوجية المقبلة، بما في ذلك تجهيزات الزواج وغيرها من الأمور المرتبطة بالاستعداد للزواج، لبناء أسر مستقرة وسعيدة؛ بعيداً عن المغالاة والمبالغة في تكاليف الزواج السائدة حالياً، والتي باتت تثقل كاهل العائلات والشباب في السنوات الأخيرة، مما يؤثر على استقرار المجتمع الإماراتي وترابطه! ومن خلال المبادرة يحصل الأشخاص المقبلون على الزواج على التوجيه والإرشاد حول كيفية التأسيس بشكل صحيح لزوجهم، فيما يتم تمكين الأهالي من خلال منحهم تدريبات خاصة تساعد على إدارة شؤونهم المالية بكفاءة، وممارسة أساليب التربية الإيجابية مع أطفالهم، وعلى كيفية المحافظة على ديمومة الزواج وتحقيق الانسجام بين الزوجين طوال حياتهما الزوجية¹.

• برنامج الدعم الاجتماعي:

هو برنامج دعم حكومي يهدف إلى تعزيز جودة حياة الأفراد والأسر الإماراتية من ذوي الدخل المنخفض؛ ويوفر البرنامج مخصصات جديدة لدعم المستحقين تشمل مجموعة من العلاوات، وتصرف حسب الحالة الاجتماعية².

1 انظر: الموقع الإلكتروني لمبادرة مديم.

2 انظر: موقع وزارة تمكين المجتمع، خدمات الدعم الاجتماعي.

• رعاية وتكريم كبار المواطنين:

ممن تجاوزوا الستين عامًا من العمر، وتوفير حزمة واسعة من الخدمات والتسهيلات والخصومات لهم؛ تقديرًا لإسهاماتهم ودورهم الفاعل في بناء المجتمع ونهضته، وعملاً بتعاليم تراث الإمارات الأصيل¹.

• رعاية أصحاب الهمم:

بتوفير كافة سُبل الرعاية الاجتماعية لهم ولأسرهم، والعمل على تمكينهم ودمجهم في المجتمع، وتوفير الحماية الاجتماعية وتأمين الحياة الكريمة لهم؛ مما يؤهلهم ليكونوا أفرادًا منتجين. وذلك من خلال عدة مبادرات وبرامج متخصصة تهدف إلى تمكينهم والاهتمام باحتياجاتهم وتأهيلهم لتخطي كل ما يواجههم من تحديات والوصول بهم إلى أقصى إمكانياتهم².

• مجالس الأحياء:

وهي موروث حضاري، تعمل على زيادة التلاحم المجتمعي بين أفراد المجتمع الذين يجتمعون في هذه المجالس لمناقشة قضاياهم المجتمعية، كما أنها فرصة لحصول التعارف بين أبنائهم الذين يأتون بصحبهم، فيتعلمون من ذوئهم العادات والتقاليد الإماراتية والسنع، والتي تشكل هوية الشعب الإماراتي، مما يعزز هذه العادات ويرسخها في نفوس الأجيال، وتطوّر دور المجالس ليشمل استضافة حفلات عقد القران والأعراس التي تقام فيها،

1 انظر: موقع وزارة تمكين المجتمع، خدمات كبار المواطنين، وموقع هيئة تنمية المجتمع، بطاقة ذخّر.

2 انظر: موقع وزارة تمكين المجتمع، خدمات أصحاب الهمم، هيئة تنمية المجتمع، بطاقة سند.

وكذلك تقبّل العزاء، كما يتم تقديم الخدمات الاجتماعية وغيرها من الخدمات الحكومية الأخرى داخل مجالس الأحياء السكنية، وتقديم الدعم والمساندة لإنجاز هذه الخدمات للإماراتيين من قاطني الأحياء السكنية¹.

مجالات التعاون والتضامن:

مجالات التعاون كثيرة، وتكادُ لا تُحصَر؛ وذلك لشموله وسعة ميادينه، فالعَوْن قد يكون في مجال المساعدة بالمال، أو بالقوة والجسم، وقد يكون بالجاء والقول، وأحياناً يكون بالعلم والمشورة النافعة، وربما يكون بالشفاعة الحسنة، وما من عملٍ في الحياة إلا ويمكن أن يكون فيه مجالٌ من مجالات التعاون والتعاقد والتضامن. وفيما سبق ذكره من مجالات قيمة الرحمة والقيم الفرعية التابعة لها ما يثري هذه المجالات ويغني عن إعادة بسطها هنا.

من فوائد التعاون والتضامن:

1. التعاون سبب للرحمة الإلهية:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، والولاية ضد العداوة، والمعنى: قلوبهم متحدة في التوَادِّ والتحابِّ والتعاطف، وبعضهم أعوان بعض، ثم بعد أن ذكر ما يجري مجرى التفسير والشرح له قال في جزائهم مستعملاً صيغة تفيد التوكيد والمبالغة: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

1 انظر: موقع صحيفة البيان الإماراتية.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة: 71]، يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم؛ سيرحمهم الله فيبعدهم من عذابه، ويدخلهم جنته¹.

2. التعاون سبب للمعونة الإلهية:

ففي الحديث: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"².

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]؟

ومن هذه المعونة أن يخفَّ ثقل الأمر على المتعاونين، فما كان ثقیلاً على الفرد كان خفيفاً على المجموع، وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا العِبءُ الثَّقِيلُ تَوَزَّعَتْهُ رِقَابُ الْقَوْمِ خَفَّ عَلَى الرِّقَابِ

3. التعاون ييسر الأعمال الكبيرة ويحقق النتائج العظيمة:

التعاون سبب للقوة والنجاح، وبه تُنجز الأعمال الكبيرة بأوقاتٍ قصيرة، فهو أساس التَّقَدُّمِ والإنتاج والنَّجَاح والتَّفَوُّق. ودليله ما تقدم من عمل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت وتطهيره، وقول ذي القرنين لأهل القرية: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾^{٥٥} ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا^{٥٦} فَمَا اسْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَلَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿[الكهف: 95-97].

1 انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 556/11. الرازي، التفسير الكبير، 101/16، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 203/8.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2699، 2074/4.

يقول أحمد شوقي:

إِنَّ التَّعَاوُنَ قُوَّةٌ عُلْوِيَّةٌ تَبْنِي الرِّجَالَ وَتُبَدِّعُ الْأَشْيَاءَ

4. التعاون قوة تحمي الأفراد المتعاونين

التعاون والتضامن والتعاقد والتساعد سبب للقوة والمنعة والحماية، كما أن التفرق والأنانية سبب للضعف والتمزق والوهن! فالإنسان ضعيف بنفسه قوي بغيره، والتعاون يجعل الفرد يشعر بالقوة، وينزع منه الشعور بالعجز.

قال الشاعر:

كونوا جميعاً يا بني إذا عَثَرَى خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا أَحَادًا
تَأْتِي الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعَ تَكْسُرًا وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادًا

5. التعاون سبب من أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

فبالتعاون تُبنى علاقات المحبة والتآلف بين الأفراد والفرق، وتُطهَّرُ النفوس من نوازع الأنانية وحب الذات، ويشعر كل فرد بمكانته في فريق العمل أولاً، وفي المجتمع ثانياً؛ فبالتعاون والتضامن تجتمع الهمم على الأهداف، والجهود على المقاصد، وينتظم المتعاونون في فرق العمل الجماعي، ويتبادلون الموارد ويتقاسمون النتائج ويتشاركون الثمار، فيكون ذلك منشأً للمودة فيما بينهم، وإن التفاف القلوب حول بعضها عند إكمال المشاريع وإنجازها دليل على ذلك وشاهد.

طرق التعزيز والاكتساب:

1. المبادرة واستحضار الشعور بالمسؤولية:

وذلك ضمن المتاح والمقدور عليه، فلا يخل الإنسان على نفسه بأن يحظى بشيءٍ من فضلِ هذا الخلق العظيم، ولو بأبسط الصور، كالصدقة والبذل لما هو فاضلٌ عن حاجاته، قال ﷺ: "يا بن آدم، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرُكَ، وَأَنْ تُمْسِكَ شَرُّكَ، وَلَا تُلَامَ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدِ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"¹.

2. الاكتفاء من الموارد بقدر الحاجة:

والقناعة بما يليها، والإحسان بما زاد عنها؛ اهتداء بهدي الحديث المتقدم: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ..."²، أما السرف والتبذير والتنافس في المظاهر والتسابق في الاقتناء والإنفاق فإنه لا يدع للإنسان بقية يؤدي فيها واجب التعاون والتضامن لمن حوله.

3. شكر المعونة، والوفاء بها للناس:

فإعانة الناس بعضهم لبعض دين فيما بينهم، يأخذ الإنسان منه ويرد إليه، وإن أغناه الله عن فضل الناس فليس بغني عن إبقاء الخير فيهم وبسط الفضل بينهم.

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1036، 718/2.

2 السابق، رقم الحديث: 1728، 1354/3.

4. الدعاء:

قال تعالى: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 153]، والاستِغَاةُ: طلب العَوْنِ¹. وفي الحديث: "رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ"².

ضبط توازن قيمة التعاون:

التعاون محمود ممدوح ما كان في الخير والبر والإحسان، وتعزيز القيم النبيلة والمظاهر والسلوكات الإيجابية، ومعالجة ما سواها، فقد ذكر القرآن الكريم قسمين من التعاون:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: ويدخل فيه كل خير وبر، فهو مما أمر الله به ورسوله.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: ويدخل فيه كل ظلم وإثم، وهو الذي حرّمه الله ورسوله.

1 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 598، (عون).

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1510، 83/2، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3551، 554/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3830، 1259/2.

خاتمة:

نخلصُ مما سبق إلى أنَّ التَّعاون من القيم العظيمة النبيلة والصفَّات الحميدة الجميلة؛ التي إذا تحلَّى بها الأفراد أصبح المجتمع نسيجًا واحدًا متكافلاً ومتربطاً، فيه يقضي النَّاس حاجاتهم، ويتساعدون في تحقيق ما يصبو إليه كلُّ منهم.

والإسلام أمر بالتعاون والتراحم والتوَادد، ونهى عن الاختلاف والتفرُّق والتناحر، بل شدد على تركه وخَوَّف منه ومن مآلاته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فِتْنَقْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]، أي: ولا تَخْتَلَفوا فتنزعوا فتَمَرَّقوا وتختلف قلوبُكم فتضعفوا¹.

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 214/11.



القيمة المركزيّة الثّانية (السلام)

وأهم فروعها:

الكرامة الإنسانية
الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش
التواصل والتعارف والاحترام
العدل والاعتدال



السلام

مقدمة:

السلام قيمة إنسانية وإسلامية عظيمة، تتلاقى على مائتها البشرية جمعاء؛ على اختلاف ألوانها وأعراقها وأديانها ومذاهبها، لتحقيق التعايش الإنساني، والتكامل الحضاري. تتجلى في احترام الإنسان لأخيه الإنسان، وإقرار المساواة بينهما في الكرامة الإنسانية والحقوق والواجبات الاجتماعية والوطنية، دون تمييز عنصريٍّ أو جهويٍّ أو عرقيٍّ أو قبليٍّ أو اجتماعيٍّ، وقبول الآخر وتقدير الاختلاف معه في الثقافة، والفكر، والدين، والعادات، والتقاليد، والأعراف، ونبذ مظاهر العنف، والتمييز، والإقصاء...، والتأسيس لتوافقٍ قائم على الاحترام المتبادل والتعارف والتعايش والتسامح ونبيل المواقف ومحاسن الأخلاق وفضائل الصفات.

والإسلام دين السلام، وهذه قضية مسلمة، فالمتأمل للنصوص القرآنية والهدي النبوي يجدها تعالج قيمة السلام معالجةً موضوعيةً دقيقةً، تشمل مجالات الحياة كلها، وتراعي التغير الحضاريّ لنسق التعايش الإنسانيّ مع مختلف المجتمعات، وتجعلها دعوة عامة للإنسانية جمعاء، مقتضاها الدخول في السلام ونبذ التشدد والعنف والعدوان، يقول الحق سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: 25].

وقد أسس الإسلام لقيمة السلام وما يتصل بها من قيم إنسانية سامية؛ كالترسيخ، والتعايش، والاحترام، وقبول الآخر...، ودعا إلى ترسيخها بين الناس، ونبذ كل ما يخالفها من أشكال الكراهية، والعنف، والتفرق، والنزاع، والخصومة، والإقصاء.

تعريف السلام:

أولاً- في اللغة:

يَرِدُ السلام لغةً في معانٍ، من أهمّها:

أ. الصِّحَّةُ والسَّلَامَةُ والعَافِيَةُ: السَّيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ؛ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ¹، فَالسَّلَامُ فِي الْأَصْلِ: السَّلَامَةُ²، والبراءة من العيوب³ ومن الآفات الظاهرة والباطنة⁴.

ب. الصُّلْحُ والمُسَالَمَةُ: والسَّلَمُ: الصُّلْحُ وَالْمُسَالَمَةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61]⁵.

ت. الرضا والتقبُّل: فمعنى التَّسْلِيمُ: بَذْلُ الرضا بالحكم⁶.

ث. التَّحِيَّةُ وتميُّ الخير: فَالسَّلَامُ: دُعَاءٌ لِلْإِنْسَانِ بِأَنْ يَسْلَمَ مِنَ الْآفَاتِ⁷.

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 90/3، (سَلِمَ).

2 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1951/5 - 1952، (سلم). وابن منظور، لسان العرب، 291/12، (سلم).

3 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1951/5 - 1952، (سلم).

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 421.

5 انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 423، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 90/3 - 91، (سلم)، وابن جرير الطبري، جامع البيان، 251/11، والرازي، التفسير الكبير، 500/15.

6 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1951/5 - 1952، (سلم).

7 ابن منظور، لسان العرب، 289/12 - 291، (سلم).

ثانيًا - في الاصطلاح:

لا يخرج المفهوم الاصطلاحي للسلام - عامةً - عن المعاني اللغوية السابقة، ليرتبط في حالة من الصِّحة والعافية والسَّلامة والطمأنينة في النفس والقلب والفكر؛ تنعكس على القول والعمل، وتترك أثرها صِحَّة في العلاقات الإنسانية وسِلْمًا وأمنًا واستقرارًا، وقبولًا للآخر مع حُسن الصلة به وتميُّن الخير له.

قد يعني مصطلح "السلام" على مستوى العلاقات الدولية والاجتماعية: غياب النزاع، وتحقيق العدالة والاستقرار الاجتماعي، والرفاهية الاقتصادية والحرية الأساسية¹. فيكون السلام بذلك حالة من الطمأنينة في المجتمعات الإنسانية، ناتجة عن تبني أفرادها قيم التعايش والتسامح، ونبيذهم للعنف والتطرف، وبُعديهم عن الصراعات والنزاعات، وضمانهم الحقوق الطبيعية والأساسية التي تضمن للفرد الكرامة والمساواة دون تمييز، وتؤدي إلى الاستقرار والازدهار.

1 انظر: موقع لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا - الإسكوا التابع للأمم المتحدة.

أهمية السلام:

أولى الإسلام قيمة السلام أهمية بالغة، وخصها بعناية فائقة، يمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

1. السَّلام اسمٌ من أسماء الله الحسنى:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: 23]¹، ومعناه: ذو السَّلامة؛ إذ سَلِمَتْ ذاتُه - سبحانه - من كل عيب، وسَلِمَتْ صفاتُه من كلِّ نقص، وسَلِمَتْ أفعَالُه عن العبثية، وسَلِمَ - سبحانه - مما يلحق المخلوقين من الفناء والموت والنقص والعيب².

2. السلام صفة الأنبياء عليهم السلام:

ومثال ذلك: إبراهيم عليه السلام: ﴿جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: 84]، وقال الله تعالى لنوح عليه السلام: ﴿يَنْتُحْ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ [هود: 48]، وعلى الإجمال قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: 59]، وهم رسله وأنبيأؤه الكرام عليهم الصلاة والسلام.

1 انظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، الأسماء والصفات، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، 1413هـ/1993م، 100/1.

2 انظر: الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق (ت: 337هـ)، اشتقاق أسماء الله، تحقيق د. عبد الحسين المبارك، ط2، 1406هـ - 1986م، ص215، والغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص69.

3. القرآن الكريم كتاب السَّلام:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: 15-16]، أي: طرق السَّلامة¹.

وقد أورد الله تعالى مادة السَّلام بمشتقاتها في 130 موضعًا من القرآن الكريم، إشارة إلى مركزية السَّلم في العلاقات البشرية في الإسلام، وإنَّ تعدُّد إعمال مفهوم "السَّلام" في القرآن الكريم والهدي النَّبويّ - كذلك - يبيِّن قيمته: من حيث كونه بمنزلة التَّأسيس العمليِّ لمبادئ الإسلام.

وقد جاءت مادة السَّلام لمعانٍ عدة في القرآن الكريم، وذلك على ستة أوجه:

- اسم الله تعالى، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: 23].
- الخير، قال تعالى: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزخرف: 89]، أي: قل: خير، وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، أي: ردُّوا خيرًا.
- الثناء الحسن: ومنه قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 109].
- التحية المعروفة (السَّلام عليكم ورحمة الله): قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61].

1 الرازي، التفسير الكبير، 327/11.

- السلامة من كل شر: قال تعالى: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 91].
- تسليم الشيء إلى صاحبه: قال: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [الحجر: 46]، أي: قد سَلِّمْتُ إليكم، فخذوها مَهْنَةً¹.

4. الإسلام دين السَّلام:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: 208]، والدخول في السِّلْم بقصد التَّعَايش الإنساني بعيدًا عن التَّنَاحِر والصَّرَاع الذي لا يحقق مصلحة، ولا يجزُّ منفعة².

فالسَّلام رسالة الإسلام، والإسلام هو دين التَّعَايش الإنساني الذي ينبني على السِّلْم والسَّلام بين المجتمعات، وهو دين الأخوة الإنسانية والمحبة والتَّسامح، الذي يسعى إلى زرع الطَّمانينة والسَّكينة في الناس، وهو - أيضًا - دين الرِّفعة والكرامة الإنسانيَّة، والتَّعَايش الذي أساسه احترام الآخر ومُدُّ جُسر التَّواصل الحضاريِّ الفعَّال معه.

لقد جاء الإسلام في وقت كان النَّاس يخوضون فيه حروبًا طاحنةً، تتضاءل أسبابها وتتطاوَل آمادها، مثالها: حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس، وحرب الفِجار، ويوم بُعث، ويوم عَيْن أَبَاغ³،، فجاء الإسلام

1 انظر: العسكري، الحسن بن عبد الله، الوجوه والنظائر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص 256-257.

2 انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 423، (سلم).

3 ابن الأثير، علي بن محمد بن الأثير الجزري (ت: 630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1402هـ - 1982، 10 مج، 487/1.

برسالة السّلام التي تؤسّس قواعد البناء الحضاريّ للمجتمعات، وقد انبثّت روح السّلام في نصوصه وتشريعاته وزُمر أحكامه؛ سواء منها الأسرية والاجتماعية، والعبادية والتعاملية؛ فتشرّبتها الفطرة السليمة والعقول الراقية والنفوس المسالمة، لما بينها من توافق وانسجام، ففطرة الإنسان تتوافق مع السلام والاطمئنان والسّكينة، وتلفظ ما ناقضها من سُبل؛ كما قال قيس بن زهير:

وَإِنَّ سَبِيلَ الْحَرْبِ وَعَرْضٌ مَضَلٌّ وَإِنَّ سَبِيلَ السَّلَامِ أَمْنَةٌ سَهْلٌ¹

ويُعَدّ مجالُ العلاقة بالآخر المختلِف دينيًّا وثقافيًّا وفكريًّا من أهمّ المجالات التي حرصَ الإسلام على بثّ روح السّلام فيها؛ سعيًّا إلى بناء علاقات تواصليةٍ وتصالحيّةٍ وإنسانيّةٍ بين المجتمعات، وبلغَ حرصُ الإسلام على لزوم منهج السّلم والأمان أن وجّه القرآن الكريم أمرًا ابتدائيًّا صريحًا بذلك في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 208]، فأساس العلاقة في الإسلام مع الآخر تُبنى على المسالمة والأمان؛ لأن السّلام شعار الإسلام، فلا تعديّ فيه ولا ظلم، وسواءً تعلّق الأمر بالإنسان أو الحيوان أو البيئة.

وفي قول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ مَا سَتَعْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47] فسّر سلامه بالأمان،

1 شعر قيس بن زهير، ص 46.

"أي: أَمَنَة مَيَّ لك"¹، مع أَنَّ أباه مخالف له في الدِّين، وفسِّر - أيضًا - بالمسألة من أن يلحق به أذى أو مكروه².

وبذلك أيضًا فُسِّر (السَّلام) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: 47]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقِيَ إِلَيْكُمْ أَسَلَّمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 94].

فالسَّلام إذن، مقصدٌ كُلِّيٌّ في الإسلام، تُستقرأ معانيه من مجموع النصوص الشرعية ومن الشواهد التاريخية؛ لأن الإسلام أسَّس العلاقة مع غير المسلمين على المهادنة والأمان والتعاون؛ والمبدأ الكلِّي في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256] يوضح أمر الشارع للمسلمين بمعاملة غيرهم بالحسنى والعدل؛ ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

يؤكد هذا المبدأ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظلَّ بمكَّة ثلاثَ عشرةَ سنةً يدعو للسَّلم ويحثُّ عليه، ويؤسِّس له بالمواقف العملية، وما مدَّحه لملك الحبشة الذي وقف إلى جانب المسلمين في موقف عظيمٍ إلا تأكيداً لهذه الحقيقة، ثم في

1 القيسي، مكي بن أبي طالب بن محمد القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، 1429 هـ - 2008 م 13 مج، 4549/7.

2 انظر: العليبي، مجير الدين بن محمد العليبي المقدسي الحنبلي (ت: 927 هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق نور الدين طالب، 7 مج، 256/4.

المدينة المنورة أسس ﷺ لإقامة السلم داخليًا وخارجيًا من خلال المبادرات والوثائق والمواثيق والعهود والاتفاقات والدعوة للسلم بالقول والعمل، وفي صلح الحديبية تمثلت هذه المعاني مجتمعة؛ حين وافق النبي ﷺ على شروط الصلح من أجل الوصول إلى غاية واحدة؛ هي تجنب الحرب واستدامة السلم، حتى قال: "والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطئة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها"¹. وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً.

5. أفضل الناس أكثرهم سلامًا وأقلهم خصامًا:

سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم القلب صدوق اللسان" قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: "هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد"². وقال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟" قالوا: بلى! قال: "صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين"³.

6. السلام تحية الإسلام:

التسليم تحية المسلمين، وسبيلهم إلى ترسيخ المحبة فيما بينهم، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا،

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2731، 3/ 193.

2 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4216، 2/ 1409.

3 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4919، 4/ 280، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2509، 4/ 663.

ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتُمْ؛ أفشوا
السَّلامَ بينكم"¹.

وتتجلَّى قيمة السَّلام في العلاقات الاجتماعيَّة بوضوح في الهدى النَّبويِّ،
كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: "السَّلام اسمٌ من أسماء الله وَضَعَهُ اللهُ في الأ
رضِ، فأَفْشُوهُ بينكم، فإنَّ الرجلَ المسلمَ إذا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلِّمْ عليهم، فَرَدُّوا
عليه؛ كان لَهُ عليهم فَضْلٌ درجةٌ بِتذكيره إياهم السَّلام، فإنَّ لَمْ يَرُدُّوا
عليه رَدَّ عليه مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ"²، وقوله ﷺ كذلك: "حقُّ المُسلمِ
على المُسلمِ خمسٌ: رَدُّ السَّلام، وَعِيَادَةُ المُريضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإِجابة
الدَّعوة، وتَشْمِيتُ العاطِسِ"³.

إنَّ السَّلام ليس مجرد تحيَّة للمسلمين، بل هو رسالة مفعمة بالمحبَّة
للنَّاس أجمعين، بل ولجميع الكائنات، والإسلام لا يقف عند مجرد الإشادة
به، وإنما يجعله جزءاً من العلاقات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين الأفراد
والمجتمعات.

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2510، 664/4، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث:
1412، 29/3.

2 البخاري، الأدب المفرد، رقم الحديث: 1039، ص 358، والطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث:
10391، 182/10.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1240، 71/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم
الحديث: 2162، 1704/4.

7. السلام اسمٌ من أسماء الجنة:

قِيلَ لِلجَنَّةِ "دَارُ السَّلَامِ" لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ¹. فَالسَّلَامَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لَيْسَتْ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ؛ إِذْ فِيهَا بَقَاءٌ بِلَا فَنَاءٍ، وَغْنَى بِلَا فَقْرٍ، وَعِزٌّ بِلَا ذُلٍّ، وَصِحَّةٌ بِلَا سَقَمٍ². وَسُمِّيَتْ "دَارُ السَّلَامِ" لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَنْقُطُ وَلَا تَفْنَى، وَهِيَ دَارُ السَّلَامَةِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وَالْأَسْقَامِ³، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوهُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: 25]، أَي: دَارِ السَّلَامَةِ؛ فَأَهْلُهَا سَالِمُونَ فِيهَا مِنَ الْحَرْقَةِ وَمِنَ الْفُرْقَةِ، وَسَلِمُوا مِنَ الْحَرْقَةِ فَحَصَلُوا عَلَى لَذَّةِ عَطَائِهِ، وَسَلِمُوا مِنَ الْفُرْقَةِ فَوَصَلُوا إِلَى عَزِيزِ لِقَائِهِ⁴، "قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدُ"⁵، "لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ"⁶، يُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾^{٦١} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 46 - 47]، وَتَحِيَّةُ اللَّهِ لَهُمْ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: 44]، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: 10]، وَ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾^{٥٥} إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: 25-26]، ﴿لَهُمْ فِيهَا فَلَكَهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾^{٥٧} سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 57-58]. وَهَذَا لَا يَكُونُ لَهُمْ بِالْقَوْلِ فَقَطْ، بَلْ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ جَمِيعًا⁷.

1 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 392/2.

2 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 421.

3 من قول الزجاج، انظر: ابن منظور، لسان العرب، 291/12، (سلم).

4 القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط 3، 90/2.

5 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3254، 119/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2834، 2180/4.

6 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3246، 118/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2834، 2180/4.

7 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 422، (سلم).

هذه أبرز المظاهر التي تبين أهمية السلام في الإسلام، وتبقى رسالة السلام هي الرسالة الخالدة التي يتناقلها الحكماء، ويرعاها العقلاء، ويسعى إلى ترسيخها النبلاء، وفي ذلك يقول الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه: "إننا نسعى إلى السلام، ونحترم حقّ الجوار، ونرعى الصّديق"، ويقول طيب الله ثراه: "إننا نتطلّع إلى غد مشرق... شعاره فعل الخير وتحقيق السلام".

وعلى هذا النهج يسير اليوم صاحب السّموّ الشيخ مُحمّد بن زايد آل نهيان رئيس الدّولة (حفظه الله)؛ إذ ما فتى يخلّد مواقفَ تاريخيّة مشهودّة في تعزيز التّعاون والتّضامن مع الدّول؛ في سبيل تحقيق السّلام العالميّ؛ حفظًا للإنسانِ وصورًا لكرامته، وقد اختاره العالم "رجل السلام والإنسانية"؛ إذ جسد سموه قيم السلام والتسامح بالقول والفعل؛ حتى أصبحت دولة الإمارات منارة تشع بالسلام، وقبلة للباحثين عن السلم والأمن¹.

ويسعى سموه دائمًا إلى إحياء قيم الدين الإنسانية النبيلة، وتعزيز روح الأخوة بين بني البشر. وبرؤيته الثاقبة نجح سموه في مد جسور التواصل والسلام مع جميع قيادات وشعوب العالم، ونشر ثقافة التسامح ونزع فتيل عدد من الأزمات، والتصدي لأفكار التطرف والتشدد.

ومنذ إقرار الإمارات عام 2019 "عام التسامح"، تصدر سموه المشهد بمواقفه وأقواله، ومن أبرزها استقباله اثنين من أهم القادة الدينيين في العالم، هما فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر

1 انظر: مركز الاتحاد للأخبار، محمد بن زايد... رجل السلام والتعايش والأخوة الإنسانية.

الشريف، وقداسة البابا فرنسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية، وقد تمخض اللقاء العالمي في العاصمة أبوظبي على توقيع "وثيقة الأخوة الإنسانية"؛ لتكون دليلاً على تعزيز ثقافة الاحترام المتبادل وتفعيل الحوار حول التعايش والتآخي بين البشر.

كما أطلق سموه "صندوق زايد العالمي للتعايش" دعماً لجهود تعزيز ثقافة التعايش السلمي والأخوة الإنسانية بين شعوب العالم.

ومثلما لم يدخر سموه جهداً لنشر قيم التسامح والسلام، تفانى "فارس الإنسانية" في خدمة البشرية جمعاء وتقديم العون للدول الشقيقة والصديقة، سواء بعقد الاتفاقيات التي تحمل بإعلانها معاني السلام والتعايش والتعاون، أو بالمواقف التاريخية التي تصب في مصلحة تعزيز التعاون والتضامن مع الدول العربية الشقيقة، وتدعم الاستقرار الإقليمي وتتصدى لكل التحديات التي تمس أمن المنطقة وفي مقدمتها الإرهاب والفكر المتشدد. أما دولياً فقد كان سموه المبادر الدائم لإيقاف الصراعات بين الدول، والساعي إلى المصالحات بحثاً عن السلام العالمي وسعيًا لحقن الدماء وحفظاً للإنسان وصوناً لكرامته¹.

1 انظر: البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، حفظه الله. ووكالة أنباء الإمارات - وام، محمد بن زايد.. مسيرة رئيس وُلد قائدًا.

مجالات السلام ومظاهره:

يرى الناظر في النصوص القرآنية والنبوية وفرة النصوص التي تعزز السلام وتمكّن له في المجتمع، وتحثُّ عليه وتنقّر من أضداده، وتختلف مظاهر السلام باختلاف مجالات الحياة، ولعل أبرزها:

1. سلامة القلب للناس عامّة:

سلامة القلب: خلوه من الآفات الظاهرة والباطنة¹، وتعني تحرر القلب من الحقد والحسد والضغينة والكراهية تجاه الآخرين، مما يسهم في تعزيز العلاقات الإنسانية، وتقوية أواصر المودة والتعاون بين الناس، ونشر الإيجابية والتفاؤل في محيطهم؛ لذا كانت سلامة الصدر سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88-89].

وهي من أفضل الأعمال، والمتصف بها من أفضل الناس؛ لما سئل النبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ"... الحديث².

ومن شدة حرص النبي ﷺ على إشاعة المحبة والوئام، وإدامة المودة والسلام؛ كان يقول لأصحابه: "لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ"³.

1 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص421، (سلم).

2 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4216، 1409/2.

3 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4860، 265/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3896، 710/5.

ووصف الله تعالى أصحاب النبي ﷺ بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِصِرِهِ﴾¹ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: 62، 63]، وعن أنس قال: (كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: "يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة" فطلع رجلٌ من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلّق نعليه في يده الشمال، فلمّا كان الغد، قال النَّبِيُّ ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرّة الأولى، فلمّا كان اليوم الثالث، قال النَّبِيُّ ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلمّا قام النَّبِيُّ ﷺ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إِنِّي لَأَحْيْتُ أَبِي، فأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتّى تمضي، فعلت! قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنّه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا؛ غير أنّه إذا تعارّ وتقلّب على فراشه ذكر الله عز وجل، وكبّر، حتّى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنّي لم أسمعهُ يقول إلّا خيرًا، فلمّا مضت الثلاث ليالٍ، وكدتُ أن أحقر عمله، قلت: يا عبد الله، إِنِّي لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرٌ ثمّ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرارٍ: "يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة" فطلعت أنت الثلاث مرارٍ، فأردت أن آوي إليك؛ لأنظر ما عملك، فأفتدي به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلّا ما رأيت! قال: فلمّا وليتُ دعاني، فقال: ما هو إلّا ما رأيت؛ غير أنّي لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إيّاه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق)¹.

1 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 12697، 124/20.

2. التعايش وقبول الآخر:

يوم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وضع الوثيقة التي تشهد لهذا المجال من مجالات السلام، وتنبض بأصول التعايش السلمي والتعامل الأخوي الإنساني الضامن للحقوق والحريات، وفيها: "لِلْمُؤَدِّ دِيْنُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِيْنُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَاتَّم، فَإِنَّهُ لَا يُؤْتَع [أي: يُهْلِك] إِلَّا نَفْسَهُ...، وَإِنَّ بَيْنَهُم النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْم...، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍ وَلَا آثِمٌ"¹. ويأتي الحديث عنها مفصلاً في قيمة المواطنة.

3. محبة الخير للناس:

لا يخفى ما بين محبة الخير للناس وتمكين السلام من صلة وارتباط وثيق، إذ تسهم محبة الخير والسعي فيه؛ في بناء مجتمع متراحم متعاطف متناغم متسامح متعاون متماسك، تشد عراه روابط اجتماعية متينة، تحُول بينه وبين النزاعات والصراعات التي تزعزع استقراره، ومن هنا كان السلام بين الناس ومحبة الخير لهم كلاً واحداً، يرتبطان ارتباطاً مطرداً اطراد السبب والنتيجة.

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل راكب حتى أناخ بالنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أتيتك من مسيرة تسع، أنضيت راحلتي، فأسهرت ليلي، وأظلماتُ نهاري، لأسألك عن خصلتين أسهرتاني؟ فقال له النبي ﷺ: "ما اسمك؟" فقال أنا زيد الخيل، فقال: "بل أنت

1 ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 503، 504.

زيد الخير، فاسأل، فَرُبَّ معضلة قد سُئِلَ عنها!" قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعن علامته فيمن لا يريد؟ فقال له النبي ﷺ: "كيف أصبحت؟" قال أصبحتُ أحب الخير وأهله ومن يعمل به، فإن عملتُ به أيقنتُ بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننتُ إليه. فقال النبي ﷺ: "هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد"¹. الحديث.

وعن ابن بريدة الأسلمي، قال: شتم رجلٌ عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال له ابن عباس: (إنك لتشتمني وفيّ ثلاثُ خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل؛ فلوددتُ أنَّ جميعَ الناس يعلمون منها ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين [أي: القاضي] يعدل في حكمه فأفرح به؛ ولعلي لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح؛ وما لي به من سائمة)²؛ أي: من دابة ترعى في المراعي ولا تعلّف.

وفي خبر زيد الخير وابن عباس رضي الله عنهما مثال على محبة الخير للناس، والفرح به، والسعي إلى إشاعته ونشره.

4. كفُّ الأذى عن الناس:

من مقتضيات محبة الخير للناس ومن أبعديات السلام معهم: كف الأذى عنهم والحرص على سلامتهم، وهو خلق من الأخلاق النبوية، وصدقه

1 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 376/1.

2 الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث: 10621، 266/10، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 284/9: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

من الصدقات، وفي الحديث: "على كل مسلم صدقة". فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: "يعمل بيده، فيَنفع نفسه ويتصدَّق". قالوا: فإن لم يجد؟ قال: "يعين ذا الحاجة الملهوف" قالوا: فإن لم يجد؟ قال: "فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشرِّ، فإنها له صدقة"¹.

قال رسول الله ﷺ: "إنما مثلي ومثل النَّاس كمثل رجلٍ استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل يتزعمهن ويغلبهن فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها"².

5. احتمال الأذى من الناس:

وهذه رتبة أعظم من سابقتها، وصورة تعكس نقاء الفكر وسلامة القلب وجمال الروح، فمن تحققت فيه قيمة السلام تغافل عن هفوات الناس وغض عن أخطائهم، وتَمنى لهم الخير والسلام، ورد بالتي هي أحسن، فزاده ذلك سلامًا نفسيًّا وسلوكيًّا. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئًا؛ فإني أحبُّ أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر"، قال: وأتى رسول الله ﷺ مالٌ، فقسمه، قال: فمررتُ برجلين، وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أرادَ محمد بقسمته وجهَ الله، ولا الدارَ الآخرة! فتثبَّتُ، حتى سمعتُ ما قالَا، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ، فقلت:

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1445، 2/ 115، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1008، 2/ 699.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6483، 8/ 102، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2284، 4/ 1789.

يا رسول الله، إنك قلتَ لنا: "لا يبلِّغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئاً"، وإنِّي مررتُ بفلان وفلان، وهما يقولان كذا وكذا، قال: فاحمرَّ وجه رسول الله ﷺ، وشقَّ عليه، ثم قال: "دعنا منك، فقد أؤذي موسى أكثر من ذلك، ثم صبر!"¹.

ويوم وقَّف عند العقبة في الموسم، فكان يدعو القبائل من العرب إلى الله سبحانه، فما أجابوا ذلك، فحزن رسول الله ﷺ واشتدَّ عليه²، وجاء جبريلُ ومعه ملكُ الجبال، "فقال: يا محمدُ، إن الله قد سمع قولَ قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ الله إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم"، قال ﷺ: "فناداني ملك الجبال، فسَلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبين!" فقال النبي ﷺ: "بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده لا يشركُ به شيئاً"³.
ودعا لهم ﷺ: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"⁴.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4860، 265/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3896، 710/5، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 3759، 301/6.

2 المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيداني (ت: 727 هـ)، المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، 1433 هـ - 2012 م، 6 مج، 170/6.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3231، 115/4، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1795، 1420/3.

4 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3477، 4 / 175، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1792، 1417/3.

6. الردّ بالتي هي أحسن:

إنَّ قصد الإسلام إلى تحقيق السَّلم الاجتماعيّ يتجلى في الحبِّ على العفو وتليين الخطاب والرفق بالنَّاس، ومعاملتهم بالحسنى، وعدم ردِّ الأذى بمثله، وإعطاء الحقوق لأصحابها؛ قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، أي: قالوا سدادًا من القول¹، قَوْلًا يَتَسَلَّمُونَ فِيهِ، لَيْسَ فِيهِ تَعَدٍّ وَلَا مَأْثَمٌ²، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]. وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2]، فجميع هذه الآيات تصل بالنَّاس إلى تحقيق غاية واحدة، هي حُسن الردِّ وجودة التواصل ولباقة التعبير، والذي يعزز الاستقرار الإنسانيّ فيتحقق به السَّلم المجتمعيّ.

1 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص422.

2 قول ابن عرفة، انظر: ابن منظور، لسان العرب، 289/12، (سلم).

ثمرات السلام:

إن وضوح مفهوم السلام يجلي ثمراته ويبين فوائده على مستوى الفرد والمجتمع، فهو - في ضوء ما تقدم ذكره - حالة من:

1. الطمأنينة والسلام في النفس والقلب والفكر:

تنعكس على القول والعمل سلامةً وصوابًا، وفي الحديث: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أَمَنَه الناس على دماءهم وأموالهم"¹. وإن الطمأنينة في المجتمعات الإنسانية ناتجة عن تبني أفرادها قيم التعايش والتسامح، ونبتهم ما سواها.

2. الصِّحَّة في العلاقات الإنسانية:

تتجسد سِلْمًا وأَمْنًا واستقرارًا، وقبولًا للآخر مع حُسن الصلة به، وترقى إلى محبة الغير وتميُّن الخير له، وفي الحديث: "أَفْلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"².

3. غياب النزاع، وتحقيق العدالة والاستقرار الاجتماعي:

وكذا الرفاهية الاقتصادية، وضمان السلامة للناس ومنهم، كما يقول أبو الفتح البستي:

1 سنن النسائي، رقم الحديث: 4995، 104/8.

2 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2510، 664/4، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 1412، 29/3.

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ¹

4. الاستقرار الذاتي، والمجمعي، والازدهار الوطني.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126]، فدعاء إبراهيم لمكة بالأمن والتوسعة بما يجلب إليها، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ [القصص: 57]؛ ذلك لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه، فلولا الأمن لم يجلب إليها من النواحي، وتعدُّر العيش فيها²، فتأمين الطريق وتيسير المواصلات وتقريب البلدان ييسر تبادل المنافع واجتلاب الأرزاق³.

وقريب من هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ...﴾ [النحل: 112]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4]. ففي هذه الآيات وأمثالها يظهر الاقتران بين الأمان والسلام والاطمئنان من جهة؛ وبين رغد العيش وسعة الرزق من جهة أخرى، في إشارة مهمة إلى دور السلام والاستقرار في تحقيق الازدهار والتنمية، وتأثيره الإيجابي على النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية.

ولعل من أبرز الأمثلة وأوضحها على علاقة السلام بالازدهار الوطني ذلك التوازي بين الريادة في السلام والاستقرار؛ وبين الازدهار والتقدم الذي تشهده دولة الإمارات العربية المتحدة.

1 ديوان أبي الفتح البستي، ص6.

2 الرازي، التفسير الكبير، 4/48.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 181/22.

ما يؤسّس للسلام ويحقّقه ويعزّزه وينمّيه:

دعا الإسلام البشرية كافة للانضواء تحت راية السلام، قال تعالى: ﴿وَأِنْ جَاحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: 61]، وقال جل شأنه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: 208]؛ لما للسلام من أثر على سلامة الأفراد، واستقرار المجتمعات، وازدهار الأوطان والحضارات. وللمساهمة في تحقيق هذه القيمة وتمكينها في المجتمعات وبين الأفراد ثمة سبل هي على النحو الآتي:

1. التوعية الفكرية والتثقيف العلمي:

الأفكار منطلق السلوك، والفكر المتشبع بقيم السلام والتسامح والتعايش واحترام التنوع والاختلاف، تصدر عنه تصرفات وسلوكات داعمة للسلام، مرسّخة له، ومن هنا تأتي أهمية التوعية الفكرية والتثقيف العلمي بالسلام وقيمه، والتي تضطلع بها:

- الأسرة: فللأسرة دور محوري وأساس في ترسيخ قيم السلام والتسامح والاعتدال في نفوس الأبناء، وتحصينهم ضد الأفكار المتطرفة والسلوكات المنحرفة اجتماعيًا، وذلك من خلال:

أ- التعليم والتوجيه: فبتوجيهات الآباء يحصّل الأطفال مهارات الاستماع والتفاهم، ويتعلمون مبادئ الاحترام المتبادل وقبول الآخر، ويكتسبون طرق حل الخلافات بشكل سلمي.

ب- القدوة الحسنة: فالأبوان هما النموذج الأول الذي يقتدي به الأطفال، ويلاحظون أفعالهم وتصرفاتهم، وهذا ما يبيّن أهمية أن يتمثل الآباء في تصرفاتهم اليومية قيم السلام، ويتحلوا بالصبر والرفق في الأقوال والأفعال، ويتجنبوا العنف والصدام.

ج- الحوار الأسري: إنّ فتح الآباء مع أبنائهم باب الحوار والمناقشة في المواضيع المتصلة بقيمة السلام؛ كالتسامح، والعدالة، والاحترام، وقبول الآخر؛ يسهم في تعميق فهم هذه القيم، وكيفية تطبيقها في الحياة اليومية.

• المؤسسات التعليمية: من مدارس، وجامعات، ومراكز بحثية... فدورها محوري في بناء عقلية فكرية سليمة ومعتدلة لدى طلابها ومنتسبيها، وضبط المنهجية الصحيحة لفهم النصوص الدينية وتفسيرها، بعيداً عن الوقوع في فخ التأويلات المتشددة أو المنحرفة التي تتعارض مع المقاصد السامية للإسلام. وذلك من خلال:

أ- المناهج التعليمية: المتضمنة سبل ترسيخ ثقافة السلام، والحث على التسامح والاعتدال، ونبذ التشدد المفضي إلى العنف والكراهية، وازدراء الأديان.

ب- الفعاليات الأكاديمية: من ندوات، ومؤتمرات، وأنشطة طلابية؛ من شأنها أن تسهم في نشر الوعي بأهمية قيمة السلام، وتعزز روحه بين الطلبة والباحثين.

ج- المكتبات الآمنة: التي تمثل مصادر ومراجع علمية موثوقة يعتمد عليها الطلاب في دراستهم وبحوثهم العلمية.

2. تعزيز معاني الأخوة الإنسانية:

ولعلها الركيزة الأولى في ذلك، فقد خلق الله تعالى الناس جميعاً من نفس آدم عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]. وقال عليه الصلاة والسلام: "النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"¹. وجعلهم إخوة في الإنسانية، قال رسول الله ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ"². وسيأتي حديث مفصل عن قيمة الأخوة الإنسانية، فهي قيمة مستقلة تتفرع عن قيمة السلام.

3. إشاعة العفو والتسامح:

حثَّ القرآن الكريم على العفو والتسامح في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: 109]. وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40]. وأكد النبي ﷺ على هذا الأمر الإلهي فقال: "وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا"³. ولقد كان التسامح من صفات الأنبياء عليهم السلام؛ يعفون عمَّن ظلمهم، ويسامحون من أساء إليهم، ومن نماذج تسامحهم ما كان من يوسف عليه السلام مع إخوته، فقد قال لهم بعد ما كان منهم: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: 92].

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5116، 331/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3956، 735/5.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 23489، 474/38.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2588، 2001/4.

وسياتي حديث مفصل عن العفو والتسامح في "قيمة التسامح والتعايش"،
فهي قيمة مستقلة تتفرع عن قيمة السلام.

4. التعايش وقبول الآخر:

الاختلاف بين الناس آية ربانية، وطبيعة بشرية، قال تعالى: ﴿وَمِنْ
ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22]. فالله تعالى لم يشأ أن يجعل كل الناس على نهج
واحد وعلى طريقة واحدة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [١٨] إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]،
وهذا الاختلاف بينهم يستوجب تعايشهم وتعاونهم؛ بغض النظر عن ألوانهم
وأعراقهم وتوجهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم.

5. إصلاح ذات البين:

فإصلاح ذات البين ركيزة من ركائز السلام وأساسه، والصالح لا يأتي إلا
بالخير، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]، ففيه تأليف بين القلوب،
وتقوية للصلات، وتوثيق للعلاقات، ودفع للخصومات، ودرء للخلافات؛
ولذا دعا الله تعالى إليه وحث عليه، ورتب على فعله والدفع إليه والتمكين
له عظيم الأجر، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْصَةً لِّإِيْدِكُمْ
أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 224]، "أي:

إذا حلفتكم على ألا تصلحوا بين الناس، فلا تَمْضُوا يمينكم، ولكن أصلحوا، فذلك خير لكم من الوفاء باليمين" ¹، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: 1]. ولعظيم نفع الإصلاح بين الناس وبالع أثره؛ جعل النبي ﷺ درجته أعلى من بعض العبادات، ففي الحديث: قال رسول الله ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟" قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ" ².

6. العدل والإنصاف:

وهو الركيزة التي تحفظ الحقوق والواجبات والمسؤوليات، وتؤسس للتعايش بسلام واحترام؛ وإن اختلفت المشاعر واختلفت المصالح، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8].

7. المشاريع والمبادرات والبرامج الرسمية:

من أهم ما يحقق السلام، ويثبت الاستقرار: الجهود الرسمية التي تبذلها الدول، والمبادرات التي تسعى لتنفيذها، والبرامج التي تعمل على إقامتها؛ لما تمثله من قوة ناعمة ذات أثر كبير، ولما تحقّقه من نتائج بارزة، وسمعة

1 انظر: الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، (ت: 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م، 10 مج، 139/2.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4919، 280/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2509، 663/4.

دولية واسعة، ولقد كان لدولة الإمارات العربية المتحدة جهود كبيرة في تعزيز السلام من خلال مجموعة من البرامج والمبادرات والمشاريع، من أهمها:

أ. وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك:

وهي وثيقة وقعها فضيلة الإمام الأكبر، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، وقداسة البابا فرنسيس، بابا الكنيسة الكاثوليكية، في أبو ظبي، عام 2019م، برعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله)؛ من أجل إحلال السلام العالمي، والعيش المشترك، واكتشاف قيم العدل، والخير، والجمال، والأخوة الإنسانية، ليؤكدوا أهميتها كطوق نجاة للجميع، وليسعوا في نشر هذه القيم بين الناس في كل مكان¹.

ب. بيت العائلة الإبراهيمية:

وهو صرح حضاري مقره في أبوظبي، يضم مسجداً، وكنيسةً، وكنيساً يهودياً، ومركزاً تعليمياً، ويجسد القيم الإنسانية المشتركة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ويمثل رمزاً فريداً للتفاهم المتبادل، والتعايش المتناغم، من أجل تحقيق السلام بين مختلف أبناء الديانات، وقد تم افتتاحه عام 2023م².

1 انظر: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، لقاء الأخوة الإنسانية، (موقع إلكتروني)، أبوظبي، 04/02/2019م، ونبذة حول بيت العائلة الإبراهيمية، بيت العائلة الإبراهيمية (الموقع الإلكتروني الرسمي).

2 انظر: نبذة حول بيت العائلة الإبراهيمية، بيت العائلة الإبراهيمية (الموقع الإلكتروني الرسمي).

ت. البرنامج الوطني للتسامح:

وهو برنامج وطني استراتيجي، اعتمدته مجلس الوزراء في عام 2016م، بهدف إظهار الصورة الحقيقية للاعتدال، واحترام الآخر، ونشر قيم السلام والتعايش، وضمان التعددية الدينية والفكرية والثقافية؛ التي تتميز بها دولة الإمارات العربية المتحدة، ونبذ أساليب الكراهية، والعنف، والطائفية، والتمييز، والتعصب؛ فكريًا وتعليميًا وسلوكيًا¹.

ث. المبادرات الإنسانية الخيرية:

قامت دولة الإمارات بتقنين العمل الخيري والإنساني وحوكمته ضمن مؤسسات حكومية رسمية ومجتمعية مرخصة، يصل عددها إلى نحو (40) مؤسسة، تغطي جميع مناطق الدولة، من أبرزها: (الهلال الأحمر الإماراتي، ومؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ومؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية)²، وتنطلق دولة الإمارات العربية المتحدة في مبادراتها الإنسانية من رؤية شاملة، تأخذ في الاعتبار تحقيق الأمن الإنساني العالمي، دون التفرقة بين الشعوب بحسب الدين أو الجنس أو اللون أو المنطقة الجغرافية³، وتهدف إلى إرساء مبدأ السلام، وإعلاء قيمه. وقد سبق الحديث عن بعضها عند تناول قيمة العطاء.

1 انظر، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 2022/12/26م، تعزيز قيم التسامح والتعايش، وانظر: تقرير بعنوان: ممثلو الأديان في "قمة التسامح": الإمارات رائدة التسامح عالميًا والأكثر إيمانًا بالعيش المشترك، جريدة الاتحاد الإماراتية، 2018/11/16م.

2 انظر: البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، المؤسسات الخيرية.

3 انظر: الإمارات تتبوأ مكانة متقدمة ضمن منظومة القوى الخيرة عالميًا وتقدم نموذجًا للعطاء الإنساني، مركز الاتحاد للأخبار (موقع إلكتروني)، 2012/12/20م.

هذا وأمثاله من المشاريع والمبادرات والبرامج الرسمية يمثل تجسيداً واقعياً وعملياً لرؤية الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله؛ إذ يقول: "إننا دولة تسعى إلى السلام، وتحترم حقّ الجوار، وترعى حقّ الصديق"¹.

خاتمة:

يظهر مما سبق وفرة النصوص الشرعية والتوجيهات القرآنية والنبوية المؤسّسة للسلام والتسامح في الإسلام، والداعية إلى تطبيقها بين الناس، ونبذ ما يخالفها من أشكال الكراهية والعنف والتفرق والنزاع والخصومة والإقصاء والكره...، وأن السلام والتسامح يقوم على قواعد لا بدّ منها، ويتجلى في مظاهر تفسّره وتحكيه.

ويمكن أن نتناول تحت قيمة السلام المركزية جملةً من القيم الفرعية التي تندرج تحتها، وهي:

- الكرامة الإنسانية.
- الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش.
- التواصل والتعارف والاحترام.
- العدل والاعتدال.

1 البلوشي، محمّد علي، الشخصية القيادية وقيم التسامح فكر الشيخ زايد (طيب الله ثراه)، ص 167.

الكرامة الإنسانية

مقدمة:

اعتنى الإسلام بالإنسان أعظم عناية، واهتمَّ بكرامته أبلغ اهتمام؛ حيث خلقه الله بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمر سبحانه ملائكته بالسجود له، وعلمه أسماء الأشياء، وزوّده بالقوة والمواهب ليسود ويسخر ما في الأرض بما ينفع الناس، وليصل إلى أقصى ما قُدِّرَ له من كمال مادي وارتقاء روحي.

والكرامة الإنسانية هي أحد أعمدة حصول السلام في المجتمعات؛ لأنها تعمُّ الناس بغضِّ النظر عن أديانهم وأصولهم وأعراقهم؛ ويتجلى هذا في تقديم الإسلام الكرامة الإنسانية بوصفها أولَ مشترك إنساني؛ لأنَّ البشرَ جميعًا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأعراقهم ولغاتهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم كَرَّمَهُمُ اللهُ عزوجل بنفخةٍ من روحه في أبيهم آدم عليه السلام، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، فالإسلامُ يثبت الكرامة لكل إنسان، ويُشَدِّدُ في التصوُّر الكليِّ للآخر على وحدة النوع والمساواة في الكرامة الإنسانية، والبحث عن تنمية المشتركات، ونبذ معايير التفاضل إلا بالخير والتقوى¹.

1 انظر: ابن بيه، "السلم العالمي والخوف من الإسلام: قطع الطريق أمام التطرف"، مجلة السلم، ع 3، ص 44.

تعريف الكرامة:

أولاً- في اللغة:

التَّكْرِيمُ والإِكْرَامُ بِمَعْنَى، وَالِاسْمُ مِنْهُ الْكَرَامَةُ¹، وهي: اسمٌ يُوضَعُ للإِكْرَامِ². وتعودُ في اللغة إلى الجذر اللغوي "كرم"، الذي يأتي بمعانٍ متعدِّدة، ومن أهمِّها:

1. الشَّرَفُ وكرم الخُلُق: "الكافُ والرَّاءُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ لهُ بابان: أَحَدُهُمَا شَرَفٌ في الشَّيْءِ في نَفْسِهِ أَوْ شَرَفٌ في خُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ"³، وكلُّ شيءٍ شَرَفَ في بابه فإنه يوصَفُ بالكرم، قال تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [القمان: 10]، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: 26]، ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77]⁴، والكرِيم: الجامعُ لأنواعِ الْخَيْرِ والشَّرَفِ والْفَضَائِلِ⁵.

2. التَّعْظِيمُ والتَّزْيِيزُ: "وَأَكْرَمَهُ إِكْرَامًا، وَكَرَّمَهُ تَكْرِيمًا: عَظَّمَهُ وَنَزَّهَهُ، وَالِاسْمُ مِنْهُمَا الْكَرَامَةُ"⁶.

1 ابن منظور، لسان العرب، 511/12، (كرم).

2 السابق، 512/12، (كرم).

3 ابن فارس، مقاييس اللغة، 171/5، 172، (كزَم).

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 707، (كرم).

5 ابن منظور، لسان العرب، 510/12، (كرم).

6 الزَّيْدِي، تاج العروس من جواهر القاموس، 337/33، (كرم).

3. الجود والعطاء: "الكريم" من أسماء الله تعالى، وهو الجوادُ المعطي الذي لا ينفدُ عطاؤه، وهو الكريم المطلق سبحانه، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل¹.

4. الصفح: ويأتي الكَرَمُ بمعنى الصفح، والكريمُ: الصَّفُوحُ²، "والكَرَمُ في الخُلُقِ يُقَالُ هُوَ الصَّفْحُ عَنْ ذَنْبِ الْمُذْنِبِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْكَرِيمُ الصَّفُوحُ عَنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ"³.

5. ضد اللؤم: والكَرَمُ ضدُّ اللؤم، وقد كَرُمَ الرجل - بالضم - فهو كَرِيمٌ⁴، والكَرَمُ نَقِيضُ اللؤم، يكونُ في الرجلِ بِنَفْسِهِ، وَيُسْتَعْمَلُ في الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالشَّجَرِ وَغَيْرِهَا⁵.

6. احترام الذات: فالكرامة ضد الذل، ومعنى قولنا: أهدَرَ كرامةً فلانٍ، أي: أسقطها، أَذْلَهُ، وقولنا: أبى الأبطال أن تُهدَرَ كرامة الوطن، أي: أن تسقط⁶.

1 انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 166/4، (كرم) وابن منظور، لسان العرب، 510/12، (كرم).

2 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2020/5، (كرم)، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، 512/12، (كرم).

3 ابن فارس، مقاييس اللغة، 172/5، (كرم).

4 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2019/5، (كرم).

5 ابن منظور، لسان العرب، 510/12، (كرم).

6 انظر: عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2332/3، (هدر). بتصرف.

ثانيًا- في الاصطلاح:

جاء في تعريف الكرامة أنها: "احترامُ المرءِ ذاته، وهو شعورٌ بالشَّرفِ والقيمةِ الشخصيةِ يجعلُهُ يتأثَّرُ ويتألَّم إذا ما انتقصَ قَدْرُهُ"¹.

ويمكن أن تُعرَّف الكرامةُ الإنسانيةُ بأنها: معاملةُ الإنسانُ على أنه غايةٌ بنفسه، وليس وسيلة أو أداة، وأن يُحترم لأصل إنسانيته، وليس لما يملكه من جاهٍ ومال، أو لما يتمتعُّ به من صفات جسمية أو عقلية، أو لما يتَّصفُ به من مواهبٍ وعطاءات.

والكرامة حقٌّ طبيعيٌّ لكل إنسان، يقتضي - حسب الأعراف والمواثيق الدوليَّة وحقوق الإنسان - أن يعامل المرءُ باحترام يصونُ قيمته وحرمة وشرفه وعرضه، فلا يتعرض للإهانة والإذلال والاحتقار، وذلك بقطع النَّظر عن جنسه، أو عرقه، أو عقيدته، أو انتمائه...².

1 أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1923/3، (كرم).

2 انظر: قوطه، نبيل عبد الفتاح، الحق في الكرامة في منظور القانون الدولي، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، كلية القانون، جامعة بدر، القاهرة.

أهمية الكرامة الإنسانية:

يمكن أن تتجلى أهمية الكرامة في نقاط عدة، أهمها:

1. الله تعالى الكريم المكرم:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]، وقال سبحانه على لسان سليمان عليه السلام: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40]، وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78].

وفي منح ابن آدم الكرامة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]. في هذه الآية إقرارٌ بشرف خلق بني آدم وتميُّزهم عن سائر المخلوقات، ورفعة منزلتهم، فالله تعالى يُخبر عن تشریفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، يعني: في أحسن صورة وأعدلها؛ مستجمعًا خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات، وأبدع سبحانه تركيبه ووهبه القوى العقلية التي لم يعطها غيره من أنواع الحيوان؛ ليستعملها في منافع لا تنحصر¹.

1 انظر: النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد (ت: 537 هـ)، التيسير في التفسير، تحقيق ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول - تركيا، 1440 هـ - 2019 م، 15 مج، 404/15، والبيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1418 هـ، 323/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 365/29.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: 15]، أي: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى، (فأكرمه) بالمال، وأفضل عليه، (ونعمه) بما أوسع عليه من فضله، فيفرح بذلك ويُسرُّ به، ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة¹.

2. الأنبياء والمرسلون أكرم الناس:

أوفر الناس كرامة وأعظم الناس منزلة هم الأنبياء عليهم السلام، فقال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 17]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: 40]، وهو محمد ﷺ يتلوه عليهم². وفي الحديث: "الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم: يوسف بن يعقوب"³؛ لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين⁴.

وجاء عن النبي ﷺ في الحديث أنه استقبل القبلة، ورفع يديه وقال: "اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا"⁵. وفي الحديث إشارة إلى أن الكرامة تتعارض مع كل أشكال المهانة والإذلال، وهي من القيم المحمودة المطلوبة، وهو ما عبّرت عنه صيغة الدعاء في كلامه ﷺ.

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 376/24.

2 السابق، 242/23.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3390، 151/4.

4 انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 166/4، 167، (كرم)، وابن منظور، لسان العرب، 514/12، (كرم).

5 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3173، 326/5، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 223، 350/1.

3. الكرامة الإنسانية من القيم التي قررها القرآن الكريم:

مما يدلُّ على أهمية الكرامة الإنسانية في الإسلام أنَّ القرآن الكريم أشار لمصطلح "الكرامة" في عدَّة آياتٍ من كتاب الله تعالى، وكلُّها تحملُ معنى الكرم والإحسان في المعاملة¹، سواء اتصلتُ بالعلاقة بين الله والإنسان، أو بين البشر في معاملاتهم الدنيوية، ويأتي تفصيل ذلك في "مظاهر الكرامة الإنسانية في الإسلام".

4. أسَّسَ النبي ﷺ لحفظ كرامة الإنسان:

أسَّسَ النبي ﷺ أيضًا لحفظ كرامة الإنسان ووحدة أصله، وبنى العلاقات الإنسانية على الرحمة والتراحم، فقال عليه الصلاة والسلام: "يا أيها الناس، ألا إن ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجميٍّ على عربي، ولا أحمَرُّ على أسود، ولا أسود على أحمَر، إلا بالتقوى"².

وحينما مرَّت جنازةُ يهودي بين يَدَي رسول الله ﷺ، وقف لها ﷺ تكريماً لإنسانية الإنسان، فقال له بعض أصحابه: إنها جنازة يهودي، فقال النبي الكريم ﷺ: "أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟"³، فالرسول عليه الصلاة والسلام قدوةٌ في احترام الكرامة الإنسانية.

1 الزَّيْن، محمد بسَّام رشدي، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، تحقيق محمد عدنان سالم، دار الفكر المعاصر، 1416هـ، 1995م، 995/2.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 23489، 474/38.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1312، 85/2، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 961، 661/2.

5. تمتعت الكرامة الإنسانية بمنزلة عليا في الحكمة والشعر والقانون.

هذه الكرامة الإنسانية التي حَفِظَهَا الإسلام وصانَهَا الشرائع؛ لم يقف منها مخزون الحكمة والشعر والحضارة الإنسانية إلا بالإشادة والصيانة والحفظ.

يقول عنتر بن شدّاد:

لا تسقني ماء الحياة بِذِلَّةٍ بل فاسقني بالعزّ كاسَ الحنظل¹

وقال المتنبي:

عشّ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بينَ طعنِ القنا وخفقِ البنود²

وجاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 ديسمبر 1948م، تأكيد على أهميّة الكرامة الإنسانية، إذ نصّت المادةُ الأولى منه على ما يلي: "يولد جميعُ الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، وهم قد وهبوا العقل والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء"³.

وقد تمّ التمهيد لمحورية الكرامة الإنسانية بما جاء في ديباجة إعلان حقوق الإنسان، ذلك أنّ "الاعتراف بالكرامة المتأصّلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساسُ الحرية والعدل والسلام في العالم"⁴.

1 قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دار الرشيد، ط3، 1405هـ، 4/49.

2 السابق، 64/7.

3 انظر: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، موقع الأمم المتحدة.

4 السابق.

مظاهر الكرامة الإنسانية في الإسلام:

من تجليات كرامة الإنسان في الثقافة الإسلامية ما يأتي:

1. خلق الله تعالى الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه:

وهذا لم يحصل لكائن آخر؛ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَعْجُمُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٨٠﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: 71، 76].

وفي الحديث: "يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظرو ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا..."¹ الحديث.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3340، 4/ 134، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 194، 1/ 184.

2. أسجد الله الملائكة للإنسان تكريمًا له وتشريفًا:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: 34]. أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة، وإنما كانت السجدة لآدم عليه السلام تعظيمًا له وتكريمًا وتحية له؛ كالسلام منهم عليه¹.

3. كَرَّمَ الله تعالى الإنسان بتعديل القامة وامتدادها:

خص الله تعالى الإنسان من بين سائر المخلوقات بأحسن صورة، وذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، كما قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: 64]، وذكره بإحسان هذا الخلق، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۖ﴾ [في أي صورة ما شاء ركبك] [الانفطار: 6-8]، وتشمل كلمة "التقويم" البنية الخارجية والداخلية معًا، إذ يُعد ما يُواريه الجسد من الأعضاء والأجهزة الداخلية من أهم الأعضاء وأكثرها فعلاً ونشاطاً.

4. رسخت تعاليم الإسلام أن الإنسان مخلوق مكرم:

وهذا التكريم يعم -كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]- البشرية قاطبةً من دون تمييز بأي داعٍ من دواعي التمييز التي يعرفها البشر؛ حيث تبين الآية أن كل ابن آدم هو إنسان مكرم.

1 الرازي، التفسير الكبير، 2/427.

وقد كَرَّمَ الله الإنسان وفضله وميزه؛ وأعطاه المكانة ووهبه النِّعم، وأمره بإكرام أخيه الإنسان أيًا كان ظرفه، قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: 17]، أي: هلا أكرمتم اليتيم! ويكون ذلك بالإحسان إليه وكفايته، كما جاء في الحديث: "خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يَتِيمٌ يُحَسِّنُ إليه، وشَرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يَتِيمٌ يُسَاءُ إليه"¹، وقال ﷺ: "أنا وكافلُ اليتيم في الجنة هكذا"².

5. تسخيرُ ما في الكون لخدمة الإنسان:

سَخَّرَ اللهُ تعالى للإنسان ما في السَّمَاوَاتِ وما في الأَرْضِ، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: 20]، وهذا الكون مسخَّر للناس كي يتعرفوا من خلاله على الله، ويدركوا قدرته، ويستثمروا نعمته، حتى يصلَ الإنسانُ إلى أعماق الأرض، ويرتفع إلى أجواء الفضاء، وينتفع بكل ما فيهما.

6. إيمان الإنسان بالله أمر اختياري وليس أمراً مفروضاً:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، وقال أيضاً: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعاً

1 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3679، 1213/2.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6005، 9/8.

أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿يونس: 99﴾، والمعنى: لو شاء أن يكرههم لكان إيمانهم جبراً، ولكنه خيرهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

7. إلغاء الوساطة بين العبد وربّه:

مَنَعَ الإسلامُ الإنسانَ من عبادةٍ ما سوى الله تعالى، وحرَّمَ السجودَ لغيرِ الله؛ كرامةً للإنسان وصيانةً له من أن يتعبَّد ويتذلَّل لغيرِ ربّه سبحانه ظناً منه أنه يتزلف إلى الله بعبادة ما سوى الله، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

8. تخصيص الإنسان بنعمة العقل:

منح الله تعالى الإنسان العقل الناقد المميّز بين الحق والباطل الموصل إلى المعبود، وأمره بالتفكير في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، ليصل به إلى العلم فيرفعه الله به درجات: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

9. تخصيص الإنسان بحقوق أصلية لا تمييز فيها:

لم يُفرِّق الإسلام - مثلاً - في حقِّ الحياة أو حق الكرامة بين الناس؛ ولم يميز بين أبيض وأسود، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين رجل وامرأة، ولا

بين كبير وصغير...؛ لأنَّ هذا الوجود تكريم إلهيٍّ، وليس بسبب توافر خصال مادية، أو تضافر عناصر مكسوبة، وإن كان ثمة تفضيل فإنما هو لفضله بالتقوى: "ألا لا فضل لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجميٍّ على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى"¹.

من هنا جعل القرآن الكريم حياة الفرد مساوية لحياة الإنسانية جمعاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]، أي: لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يسفك بعضكم دماء بعض². فإنه ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

طرق اكتساب الكرامة وتعزيزها وتنميتها:

حثَّ الإسلامُ الناسَ جميعاً إلى الأخلاق الفاضلة التي تُزِينُ الإنسانيةَ، وتُعَلِّي شأنها، وتُنَسِّق بين أفرادها، وتَصُون العلاقات الاجتماعية، وتوجِّهها إلى الخير والكمال؛ لتصوِّر الحياةَ البشرية في أجمل صورها، وأحسن أحوالها، وتتجنَّب الرذيلة، والفساد الخُلقي والاجتماعي.

وإن المنظومة القيمية بكلياتها وتفصيلها تعزز الكرامة الإنسانية وتنمّيها وتحفظها، ولعل العلاقة بين الكرامة الإنسانية وبعض القيم تكون أكثر وضوحاً من بعضها الآخر، ومن هذه المكارم والمبادئ التي تحفظ الكرامة

1 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 23489، 474/38.

2 أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، 465/1.

وتعززها وتنميتها ما يأتي:

1. مبدأ المساواة بين الناس:

يتأسس هذا المبدأ على قاعدتين راسختين هما:

أ. وحدة الأصل البشري، وذلك من منطلق قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: 11]، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

ب. وشمول الكرامة الإنسانية لكل البشر، وذلك من منطلق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وقوله ﷺ: "...والناسُ بنو آدمَ، وخلقَ اللهُ آدمَ من تُرابٍ"¹.

2. مبدأ التسامح:

ويتجلى باحترام الآراء المختلفة، والنظر إلى الاختلاف الطبيعي بين البشر على أنه اختلاف إثراء، لا اختلاف إقصاء ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]. وسيأتي حديث مفصّل عن التسامح والتعايش والتفاهم.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5116، 331/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3270، 389/5.

3. مبدأ العدالة:

من خلال معاملة الناس جميعاً بالقسط والمساواة والإحسان، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: 135]، وسيأتي حديث مفصل كذلك في قيمة "العدل والاعتدال".

4. مبدأ الرحمة:

لأن رحمة الإنسان لأخيه الإنسان هي أساس التكريم في الإنسانية؛ لقوله ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"¹. وقد تم تفصيل قيمة الرحمة لكونها قيمة أساسية مركزية.

5. مبدأ البر بالآخرين:

كما في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: 21]. والمثوى: حقيقته المحل الذي يتوحي إليه المرء، أي: يرجع إليه، وهو هنا كناية عن حال الإقامة عندهما؛ لأنَّ المرء يُثَوَّى إلى منزل إقامته، فالمعنى: اجعلي إقامته عندك كريمة، أي: كاملة في نوعها، أراد أن يجعل الإحسان إليه سبباً في اجتلاب محبته إياهما ونصحهما لهما فينفعهما، أو يتخذانه ولداً فيبزرهما، وذلك أشدَّ تقريباً².

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4941، 285/4، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 323/4، 1924.

2 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 246/12.

ولا تمييز في البر بالآخرين بين القريب والغريب، سواء كان برّ صلة أو برّ معروف، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

6. مبدأ نبذ التعصّب:

الفطرة السليمة والعقل السوي والفكر النقي يأبى التعصّب ويلفظ التطرف والإقصاء، وجميع الدول والهيئات العالمية تنبذ التعصّب بكافة أشكاله؛ لأنه مُفضي لسلوكات منبوذة، كالتطرف والعنف والإقصاء للمخالف أو الإساءة إلى كرامته، وقد صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر تشرين الثاني 1981م إعلان خاص بشأن ضرورة القضاء على جميع أشكال التعصّب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقدات أو الأفكار.

وكانت دولة الإمارات العربية المتحدة سبّاقة إلى سن قانون يقضي بتجريم التعصّب الديني، وهو مرسوم بقانون اتحادي رقم (34) لسنة 2023م في شأن مكافحة التمييز والكرهية والتطرف، جاء في الفصل الثاني منه، المادة (4):

- يعدّ مرتكباً لجريمة ازدراء الأديان، كل من أتى أيّاً من الأفعال الآتية:
- التناول على الذات الإلهية، أو الطعن فيها، أو المساس بها.
- الإساءة إلى أي من الأديان أو إحدى شعائرها أو مقدساتها، أو تجريحها أو التناول عليها أو السخرية منها أو المساس بها، أو التشويش على إقامة الشعائر أو الاحتفالات الدينية المرخصة أو تعطيلها بالعنف أو التهديد.

- التعدي على أي من الكتب السماوية بالتحريف أو الإتلاف أو التدنيس أو الإساءة بأي شكل من الأشكال.
- التطاول على أحد الأنبياء أو الرسل أو زوجاتهم أو آلهم أو أصحابهم أو السخرية منهم أو المساس بهم أو الإساءة إليهم.
- التخريب أو الإتلاف أو الإساءة أو التدنيس لدور العبادة، وللمقابر، وللقبور أو ملحقاتها أو أي من محتوياتها¹.

7. مبدأ المشاركة في المبادرات التي تعمل على حفظ كرامة الإنسان وتحفظ حقوقه:

ويشهد لذلك ما قاله النبي الكريم ﷺ عن حلف الفضول: "لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ"². وذكروا في سبب ذلك الحلف أشياء مختلفة، محصلها: أن القادم من أهل البلاد كان يقدم مكة، فربما ظلمه بعض أهلها فيشكوه إلى من بها من القبائل فلا يفيد، فاجتمع بعض من كان يكره الظلم ويستقبحه إلى أن عقدوا الحلف، وظهر الإسلام وهم على ذلك³.

1 انظر: نص المرسوم، المنصة الرسمية لتشريعات حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

2 البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث: 13080، 596/6.

3 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 473/4.

ثمراتُ الكرامة الإنسانية:

يترتب على حفظ الكرامة الإنسانية وتمكينها في المجتمعات ما يأتي:

1. ضمانُ الحقوق:

وذلك بأن لا يُؤذَى إنسانٌ في حضرته، ولا يُهان في غيبته، سواء كان هذا الإيذاء بالفعل، أو بالقول، بالتصريح أو بالتلميح، فكما حرّم الإسلامُ الإيذاء البدني، حرّم الإساءة اللسانية والمعنوية أيضاً؛ من الهمز، واللمز، والتنازب بالألقاب، والسخرية، والغيبة، والشتم، وسوء الظن بالناس...، مما يسيء للإنسان، ويورث البغضاء والتنافر في المجتمعات.

2. الازدهار الحضاري والنمو العمراني:

فمتى حُفِظَت للإنسان كرامته فإن طاقته تجودُ بما تحفل به من مواهب وطاقات متعددة؛ لأنها تجدُ مناخها الصالح الذي يُتيحُ لها أن تنمو وتنتج، وإن فقدت هذا المناخ، انكمشت وضمّرت، وفقدت قابلية التحرك المجددي والإنتاج النافع.

3. تعزيز السلم المجتمعي:

ومن ثمرات حفظ الكرامة الإنسانية تعزيزُ السّلم المجتمعي المؤسّس على التعارف مع الآخر: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

4. تشجيع المشاريع والمبادرات والبرامج الرسمية التي تؤكد على مبدأ الكرامة:

ومن ذلك:

- التنصيصُ على "الكرامة الإنسانية" في مختلف الدساتير والقوانين.
- النص على مبدأ احترام كرامة الإنسان في الوثائق الدولية ذات الصلة، كما في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948م، في 10 ديسمبر 1948، والذي نصّت مادته الأولى على أن الناس جميعًا ولدوا متساوين في الكرامة الإنسانية.
- تم تصديق وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك بـ "باسمِ الله الذي خَلَقَ الْبَشَرَ جَمِيعًا مُتَسَاوِينَ فِي الْحُقُوقِ والواجباتِ والكرامةِ، ودَعَاهُمْ لِلْعَيْشِ كَأَخَوَةٍ فيما بَيْنَهُمْ لِيُعْمَرُوا الْأَرْضَ، وَيَنْشُرُوا فِيهَا قِيَمَ الْخَيْرِ وَالْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ"¹.
- مبادرات منتدى أبو ظبي للسلام في التنويه بالكرامة الإنسانية منطلقًا لتحقيق السلام، ومن ذلك: تأسيس حلف الفضول الجديد عام 2019 الذي كان أحد أهم البواعث التي أدَّتْ إلى إطلاق منتدى أبو ظبي للسلام، حيث جاء التنصيص فيه على: الإيمان بالمشتركات وبضرورة تفعيلها، وهي تنقسم لنوعين:
- المشتركات باعتبار ديانات العائلة الإبراهيمية، كالإيمان واللطف والكرامة الإنسانية الشاملة.

1 انظر: نص وثيقة عن الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش معًا.

والمشترك الإنساني: القيم الكونية المتعالية عن التأثر باختلاف الزمان والمكان والإنسان¹.

كما تم التنصيص ضمن المبادئ التي يقوم عليها حلف الفضول الجديد على دعم المعاهدات الدولية، ففيه: تؤيد المعاهدات والمواثيق الدولية التي تعلي من شأن الكرامة الإنسانية والقيم؛ لأنها مصدر للقانون والأعراف الدولية، وتساهم في الأمن العالمي؛ لأنها من أهم وسائل توطيد التعاون السلمي بين الدول، كيفما كانت أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولأنها تجسّد مفهوم المواطنة التعاقدية، والتي هي محورية لهذا الميثاق.

وجاء في المادة تحت الفصل الثالث المعنون بالمبادئ: ينبي حلف الفضول الجديد على ما يلي:

1. مبدأ الكرامة الإنسانية: إن الناس وإن اختلفت أديانهم وألسنتهم وألوانهم وأعراقهم، فقد كرّمهم الخالق القدير بنفخة من روحه من أبيهم آدم عليه السلام².

1 انظر: نص ميثاق حلف الفضول الجديد. وكالة أنباء الإمارات (وام).

2 "ميثاق حلف الفضول"، مجلة السلم، ع 8، ص 445.

خاتمة:

إن الناس، وإن اختلفت أديانهم وألسنتهم وألوانهم وأعراقهم، فقد كرمهم الخالق القدير بنفخة من روحه في أبيهم آدم عليه السلام، وأعطاهم حرية الاختيار وحرية ممارسة الدين بسبب هذه الكرامة الإنسانية¹، وإن حفظ الأمن والسلام وإنشاء التعايش الإنساني السِّلبي يكمن في الشعور بقدسية الكرامة الإنسانية، والاعتراف الواضح بالكرامة الإنسانية، وتعزيز صورها ومظاهرها من خلال الاحترام المتبادل، والتسامح، والتعاون، والإحسان... وسائر القيم الإنسانية التي تضمن السلام والتسامح من أجل الازدهار.

1 انظر: نص ميثاق حلف الفضول الجديد. وكالة أنباء الإمارات (وام).

الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش

مقدمة:

إِنَّ الْأَخَوَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ دَائِرَةٌ تَسَعُّ النَّاسَ أَجْمَعِينَ، ورابطة بشرية وثيقة لا يمكن نقضها أو إنكارها، "وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ"¹، ربهم واحد، وأبوهم واحد، وأمهم واحدة.

ومن لوازم هذه الأخوة أن تقوم على مقومات المحبة والمودة والإحسان والرحمة والكرامة الإنسانية والتسامح والتعايش؛ وكل ما يؤسس للسلام والتعارف وحسن التواصل، واحترام الأديان، والمساواة بين الناس من غير تمييز عنصري أو طائفي أو قبلي، مصداقاً لقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، فجعل "مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى"²، وما عدا ذلك فإن البشر جميعاً إخوة متساوون في الحقوق والواجبات والكرامة الإنسانية؛ أكثرهم صلة لرحم الأخوة هذه: أكثرهم عملاً لنشر الخير والمحبة والسلام في الأرض.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5116، 331/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3270، 389/5.

2 ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (ت: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد القرشي رسلان، حسن عباس زكي- القاهرة، 1419 هـ 6 مج، 435/5.

تعريف الأخوة والتسامح والتعايش:

أ. تعريف الأخوة:

أولاً- في اللغة:

الأخوة في اللغة تعود إلى الجذر اللغوي (أخا)، أو (أخو)¹، الذي يأتي بمعانٍ عدة، وأهمها:

1. الأخوة في النسب والقربة: والأخ من النسب معروف، وهو من ولده أبو الإنسان وأمه، أو أحدهما²، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 176]، أي: إخوة الإنسان وأخواته لأبيه وأمه، أو: لأبيه³، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 58]، أي: إخوته في النسب، كما هو مشهور ومعروف.

2. الصديق والصاحب: وقد يكون الأخ بمعنى الصديق والصاحب⁴، ومنه قولهم: "ورب أخ لم تلده أمك"⁵.

1 انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2264/6، (أخا).

2 انظر: ابن منظور، لسان العرب، 19/14، (أخا)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 45/37، (أخو).

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 724/7.

4 ابن منظور، لسان العرب، 19/14، (أخا)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 45/37، (أخو).

5 الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 45/37، (أخو).

3. الأُخُوَّةُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ: ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْيَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65] ونَحْوُهُ، وقيلَ فِي الْأَنْبِيَاءِ "أَخُوهُمْ" وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ دِينِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ بِشَرِّ مِثْلِهِمْ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِمْ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ¹.

4. الْمَلَاذِمُ لِلشَّيْءِ: وَقَوْلُهُمْ: فَلَانَّ أَخُو كُرَيْبٍ، أَي: صَاحِبُهَا وَمُلَاذِمُهَا²، وَمِنْ الْأَمْثَالِ الشَّعْبِيَّةِ الْإِمَارَاتِيَّةِ: "إِخْوَانُ شَمَا"، وَهِيَ عِبَارَةٌ تَقَالُ كُنَايَةً عَنْ طَلَبِ الْعِلْيَاءِ وَالسُّودِّدِ وَالْمُسَاعَدَةِ مِنَ الْآخِرِينَ الَّذِينَ يَهْبُونَ لِمُسَاعَدَتِهِ، وَتُسَمَّى "الْفَرْعَةُ"، وَتَعْبَرُ عَنْ نَوْعٍ مِنَ النُّخُوَّةِ وَالْعَزْوَةِ³.

ثَانِيًا- فِي الْإِصْطِلَاحِ:

أَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ فَالْأَخُ فِي الْأَصْلِ: هُوَ الْمَشَارِكُ آخَرِي فِي الْوِلَادَةِ مِنَ الطَّرْفَيْنِ، أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا، أَوْ مِنَ الرِّضَاعِ، وَيُسْتَعَارُ فِي كُلِّ مَشَارِكٍ لِغَيْرِهِ فِي الْبَلَدِ، أَوْ فِي صِنْعَةٍ، أَوْ فِي مَعَامَلَةٍ، أَوْ فِي مَوَدَّةٍ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ⁴. وَلَمَّا كَانَ الْبَشَرُ جَمِيعًا مُتَشَارِكِينَ فِي الْوِلَادَةِ أَصْلًا وَاحِدًا مِنَ الطَّرْفَيْنِ كَانُوا إِخْوَةً فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَيَقْتَضِي هَذَا الْإِخَاءُ بَيْنَهُمْ تَوْفِيرَ حِدٍّ مِنَ التَّوَافُقِ وَالتَّجَانُسِ وَالْأُلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْمُوَاخَاةِ وَالتَّوَاصُلِ.

1 ابن منظور، لسان العرب، 20/14، (أخا).

2 السابق.

3 مركز الاتحاد للأخبار، إخوان شما والحفاظ على التراث.

4 انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 68.

ب. تعريف التسامح:

أولاً- في اللغة:

التسامح في اللغة مصدر الفعل "تَسَامَحَ"، ويعود إلى الجذر اللغوي "سَمَحَ" الذي يَرِدُ بمعانٍ، أهمُّها:

1. اليُسْر والسَّهولة: المُسامحة: المُساهلة، وتسامحوا: تساهلوا¹.
2. الموافقة: يقال: سَمَحَ لي بِذَلِكَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً، وَأَسْمَحُ وَسَامَحَ: وافَقَني عَلَى الْمَطْلُوبِ².
3. الْجُود والعطاء: وَالسَّمَا حُ وَالسَّمَا حة: الجود³، يُقَالُ: سَمَحَ وَأَسْمَحَ إِذَا جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ، وَسَمَحَ بِهِ، أَي: جَادَ، وَسَمَحَ لَهُ، أَي: أَعْطَاهُ⁴.
4. الانقياد والطاعة: وَيُقَالُ: أَسْمَحَتْ نَفْسُهُ إِذَا انْقَادَتْ⁵.

1 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 376/1، (سمح)، وابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

2 ابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح)، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 484/6، (سمح).

3 الرازي، مختار الصحاح، ص153، (سمح). وابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

4 ابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

5 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 398/2، (سمح)، وابن منظور، لسان العرب، 489/2، (سمح).

ثانيًا- في الاصطلاح:

عرّف التسامح في الاصطلاح بأنه: بذلُ ما لا يجبُ تفضُّلاً¹، أو: الجود والعطاء عن كرمٍ وسخاء²، وقيل: السّماحة حسن البشّر عند السُّؤال، واستقلال كثير التّوال³.

ويعني التّسامح أيضاً: "استعداد المرء لأن يترك للآخر حرّيّة التّعبير عن رأيه، ولو مخالفاً ولو خطأ"⁴.

فالتسامح: صفة في النفس الكريمة، تحملها على الجود والسّخاء، وتدلُّ على معنى السّلاسة والسّهولة والموافقة والعطاء، ويكون ذلك مادياً ومعنوياً؛ فيثمر سلاماً ذاتياً ومجتمعياً.

ج. تعريف التعايش:

أولاً- في اللغة:

التعايش مصدر الفعل "تعايشَ"، ويعود إلى الجذر اللغوي "عَيشَ" الذي يأتي بمعانٍ، منها:

- 1 الجرجاني، التعريفات، ص121.
- 2 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 398/2، (سمح).
- 3 الهرواني، المعاني بن زكريا (ت: 390هـ)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1426 هـ - 2005 م، ص662.
- 4 حنفي، حسن، "تسامح"، منشور في الموسوعة الفلسفية العربية، 253/1.

1. الحياة: العيش: الحياة¹، وعائشه: عاش معه، والعيشة: ضرب من العيش، يُقال: عاش عيشة صدق وعيشة سوء، والمعاش والمعيش: ما يُعاش به²، وتعايش الناس: وجدوا في نفس الزمان والمكان³.
2. ما يُعاش به: والعيش: المطعم والمشرب وما تكون به الحياة⁴، والأرض معاش الخلق، والمعاش مَظِنَّةُ المعيشة، وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ:11]، أي: مُلْتَمَسًا للعيش، والتعيش: تكلف أسباب المعيشة⁵، وفي المثل: أنت مرة عيش ومرة جيش، أي: تنفع مرة، وتضر أخرى⁶.
3. سلام العيش: تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلي⁷، وتعايش الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار، تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة⁸.

1 الفراهيدي، العين، 189/2، (عيش)، ابن منظور، لسان العرب، 321/6، (عيش).

2 ابن منظور، لسان العرب، 321/6، (عيش).

3 عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1583/2، (عيش).

4 الفراهيدي، العين، 189/2، (عيش)، وابن منظور، لسان العرب، 322/6، (عيش).

5 ابن فارس، مقاييس اللغة، 194/4، (عيش)، وابن منظور، لسان العرب، 322/6، (عيش).

6 ابن منظور، لسان العرب، 322/6، (عيش).

7 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 639/2، (عاش).

8 عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1583/2، (عيش).

ثانيًا- في الاصطلاح:

ارتكز مفهوم التعايش اصطلاحًا على مبدأ قبول الاختلاف، فمن معانيه: تقبّل العيش مع الآخر المختلف، أو المخالف، والتواصل معه بقطع النظر عن الفروق والاختلافات، والاعتراف له بحقوقه ما كان من أهل السّلام.

أهمية الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

تبرز أهمية الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش في عدد من النقاط، أهمّها:

1. أنّها قيمةٌ أصيلةٌ في الإسلام:

حرص الإسلام على بثّ روح الأخوة الإنسانية في المجتمع، ونبذ التعصّب الدينيّ والجهوي؛ لتقليص حجم التوتّرات القائمة على أسس دينيّة أو جهويّة، والعمل على تطوير آفاقٍ للعيش الإنسانيّ المشترك والتسامح بما يُحقّق الخير للإنسانيّة جمعاء.

وينطلق التّأصيل للأخوة الإنسانية في الإسلام من وحدة الأصل البشريّ (الطين)، والرّحم الواصلة بين البشر (الانتساب إلى آدم وحواء)، ويدل على ذلك قول الحقّ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12]، وقد كان النّبيّ ﷺ يدعو دبر الصّلاة ويقول: "اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن محمدًا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن

العباد كلهم إخوة"¹، فكان ﷺ يُثَبِّت الأُخُوَّةَ في الدَّائِرَةِ الإنسانيَّةِ الكبرى، ويؤسس لهذه الرابطة العظمى، التي تقوم على أساس التسامح والتعايش، ونبذ العنف والتطرُّف.

يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله): "إنَّ نهج الإسلام هو التعامل مع كلِّ شخص كإنسان، بغضِّ النظر عن عقيدته أو عِرْقِهِ"². ومما يؤسس لمبدأ الأخوة والتسامح والتعايش في ديننا الحنيف:

• عدم الإكراه في الدين:

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، "ونفي الإكراه خبر في معنى النهي، أي: لا تُكْرَهُوا أَحَدًا على اتباع الإسلام قسرًا، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصًّا، وهذا دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه"³، ونفي الإكراه على اتباع الدين يستلزم التسامح والتعايش مع غير المسلمين.

وقد بيَّنت السيرة العملية للنبي ﷺ ركائز التآخي الإنساني والتسامح والتعايش، فقد كان عليه الصَّلَاة والسَّلَام يتعامل مع اليهود والنصارى بكامل الاحترام، فكان يبيع لهم ويشترى منهم، حتَّى إِنَّهُ تُوفِّيَ عليه

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1508، 83/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 19293، 48/32.

2 الملاء، ليلي؛ وخلود البلوكي، كتيب أقوال قادة دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة في حقوق الإنسان والتسامح.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 26/3.

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَدِرْعَهُ مَرْهُونَةً عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ¹، وَكَانَ يَزُورُهُمْ وَيُكْرِمُهُمْ، وَيَحْسَنُ إِلَيْهِمْ، وَيَحِبُّ الْخَيْرَ لَهُمْ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ وَيُعْطِيهِمْ.

وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا الْمَبْدَأُ مَا جَاءَتْ بِهِ:

- وَثِيقَةُ الْمَدِينَةِ: الَّتِي وَضَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَهِيَ وَثِيقَةٌ تَنْبُضُ بِأَصُولِ التَّعَايِشِ، وَالتَّعَامُلِ الْأَخَوِيِّ الْإِنْسَانِيِّ الضَّامِنِ لِلْحَقُوقِ وَالْحَرِيَّاتِ، وَفِيهَا: "لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ...، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ...، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍ وَلَا أَثِمٍ"². إِنَّ هَذِهِ الْوَثِيقَةَ الَّتِي ضَمَّتْ أَزِيدَ مِنْ سَبْعَةِ وَعِشْرِينَ بَنْدًا تُوَكِّدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى، ضَامِنَةً لَهُمْ حَقُوقَهُمْ، وَحَرِيَّتَهُمْ الدِّينِيَّةَ: لِتَشْهَدَ بِهَذَا التَّعَايِشِ فِي إِطَارِ التَّأَخِي الْإِنْسَانِيِّ، وَبِنَاءِ عِلَاقَاتِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّأَزُّرِ؛ وَالتَّسَامُحِ الدِّينِيِّ الَّذِي يَضْمِنُ تِمَاسُكَ لِحِمَةِ الْمَجْتَمَعِ مَهْمَا اخْتَلَفَتِ الْقَنَاعَاتُ الْعَقْدِيَّةُ وَالِاخْتِيَارَاتُ الدِّينِيَّةُ لِأَفْرَادِهِ، وَيَأْتِي حَدِيثُ مَفْصَلِ عَنْهَا فِي قِيَمَةِ الْمَوَاطَنَةِ.

- كِتَابُهُ ﷺ لِأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَكَهَنَتِهِمْ وَرَهَبَانَتِهِمْ: ضَمِنَ ﷺ لِأَهْلِ نَجْرَانَ سَلَامَةً كَنَائِسَهُمْ، وَعَدَمَ التَّدْخُلِ فِي أُمُورِ عِبَادَتِهِمْ؛ "وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَسْقَفِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَلِأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَكَهَنَتِهِمْ وَمَنْ

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2916، 41/4.

2 ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 503، 504.

تَبِعَهُمْ وَرَهْبَانِيَّتِهِمْ أَنَّ لَهُمْ عَلَى مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ مِنْ بَيْعِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ وَرَهْبَانِيَّتِهِمْ جَوَارَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا يُغَيَّرُ أَسْقُفٌ عَنْ أَسْقُفِيَّتِهِ، وَلَا رَاهِبٌ عَنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا كَاهِنٌ عَنْ كِهَانَتِهِ"¹. وذكر أهل السير سماح النبي ﷺ لنصارى نجران بإقامة صلاتهم في مَسْجِدِهِ، حينَ قدموا عليه، فأراد النَّاسُ مَنَعَهُمْ، فقال رسول الله ﷺ: "دَعُوهُمْ"، فاستقبلوا المشرقَ وَصَلَّوْا صَلَاتَهُمْ².

- عهدة نجران: التي كانت بين أبي بكر وبين أهل نجران تجديدًا لعهد رسول الله ﷺ الذي كان بينهم، ومما جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب عبد الله أبي بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ لأهل نجران: أجارهم بجوار الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ على أنفسهم، وأراضيهم، وملتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعماراتهم، وغنائمهم، وشاهدهم، وأساقفتهم، ورهبانهم، وبِيعِهِمْ، وكل ما تحت أيديهم؛ من قليل أو كثير، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفية، ولا راهب من رهبانيتها؛ وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله تعالى وذمة محمد ﷺ أبدًا"³.

- العهدة العمرية: التي كانت بين عمر بن الخطاب وأهل إيلياء، ومما جاء فيها: "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها

1 ابن سعد، الطبقات الكبرى، 204/1.

2 ابن هشام، السيرة النبوية، 574/1.

3 الشيباني، محمد بن الحسن، السير الصغير، تحقيق مجيد خدوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1975م، ص 267.

وبرئيتها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا يُنتَقَص منها ولا من حيزها، ولا من صليهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارَ أحدٌ منهم".¹

• الأمر بالتعامل مع المخالفين في الدين بالبر والعدل:

فذلك مما يحفظ الحقوق، ويحدد الواجبات والمسؤوليات، ويؤسّس للتسامح والتعايش بسلام واحترام؛ قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: 8]، وقال رسول الله ﷺ: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".²

• التأكيد على صيانة حياة الإنسان ولو كان مخالفاً:

قال ﷺ: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُّعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ [أَي: لَمْ يَشْمَ] رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا".³ "فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك؛ فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام".⁴

1 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الأملي، (ت: 310هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث - بيروت، ط 2، 1387 هـ، 11 مج، 609/3.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3052، 170/3.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6914، 12/9.

4 القرافي، الفروق، 14/3.

2. قيمة بارزة في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم للأخوة أكثر من صورة ومعنى، وأثبت صوراً متميزة، منها: الأخوة الإنسانية، والأخوة الإيمانية، والأخوة النسبية¹، يوم أخبر الحق سبحانه وتعالى أنه خلق الناس جميعاً من نفس واحدة (آدم عليه السلام) بقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْتُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:1]، نَهْنَا إلى لزوم مبدأ الأخوة الإنسانية، وما تعنيه من تسامحٍ وتعايشٍ وألفةٍ ومودةٍ، وتعاون، وتناصحٍ وحبٍ للخير، ونبذٍ للكرهية والحقْد، فهو إعلان رباني أن "جميع البشر بنور رجل واحد وأمٍ واحدة، وأنَّ بعضهم من بعض، وأنَّ حقَّ بعضهم على بعض واجبٌ وجوبٌ حقٍّ الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أبٍ واحد وأمٍ واحدة... وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض؛ ليتناصفوا ولا يتظالموا"².

وقد شكَّلت الألفاظ الدالة على مفهوم التسامح والتعايش في القرآن الكريم منهجاً واضح المعالم لمشروع مجتمعي تشييع فيه قيم: البر، والعطاء، والتيسير، ورفع الحرج والضيق، وتهدى إلى أخلاق سامية تترجم الإيمان بتلك القيم؛ كخلق العفو، والصَّفح، والصبر، والمغفرة، والسَّخاء.

3. مبدأ جسده الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم:

فالإنسانية كلها أسرة واحدة، من رحم واحدة، يتواصلون ويتعارفون، ويتآلفون ويتعاونون، ويتسامحون ويتعايشون، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

1 الزين، محمد بَسَّام، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، 83-81/1.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 339/6.

وبمبدأ الأخوة الإنسانية خاطب الأنبياء أقوامهم: قال الله تعالى عن نوح عليه السلام وقومه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 106]، وقال عز وجل عن قوم هود عليه السلام: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، وقال تبارك وتعالى عن ثمود: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: 73]، وقال سبحانه عن مدين: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85].

ومن منطلق الأخوة الإنسانية جعل القرآن الكريم حياة الفرد مساوية لحياة الإنسانية جمعاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]، أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، فإنه ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

4. مبدأ رسّخه الهدي النبوي الشريف:

حرص الخطابُ الديني الكريم على تأسيس لبنات الأخوة والتسامح والتعايش من خلال القدوة، المتمثلة بالنبِيِّ ﷺ، الذي خاطبه ربُّه سبحانه أمراً إياه بمقابلة إساءة المخالفين وأذيتهم بالإحسان إليهم، فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، فالعفو يتضمّن معنى عظيمًا في تجاوز الذنب، والمشاورة مُشْعِرةٌ بالاعتراف والاحترام، مُزيلةٌ للضغائن والأحقاد¹.

1 مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، 310/1.

وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85]، يقول: فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً، واعفُ عنهم عفوًا حسنًا¹، والصفحُ والعفوُ من مظاهر التسامح الذي أمر به الإسلام.

وقال سبحانه: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 89]، أي: سامحهم واعف عنهم وقل لهم قولاً طيباً وكلاماً حسنًا.

ونجد في سيرة النبي ﷺ صورة مشرقة لأعظم نماذج التسامح، نحو ما كان من سيدنا ونبينا محمد ﷺ مع قومه حين آذوه، فقد دعا لهم عليه الصلاة والسلام قائلاً: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"². ويوم عاد إلى مكة، وقابل من كانوا سبباً في إخراجهم منها، قال لهم: "يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟" قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم عافياً متسامحاً حليماً صافحاً: "أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]"³، "اذْهَبُوا فَإِنَّتُمْ الطُّلَقَاءُ"⁴.

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 105/14.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3477، 4/ 175، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1792، 1417/3.

3 الأزرق، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد الغساني المكي (ت 250هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس للنشر، بيروت، (د.ت)، 121/2.

4 ابن هشام، السيرة النبوية، 412/2.

وهكذا كان دأبه ودينه ﷺ، قال عبد الله بن عمرو بن العاص في وصفه ﷺ: "وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ"¹، بل كان ﷺ يحسن إلى من أساء إليه، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، فعن أنس بن مالك قال: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَهُ أَغْرَابِيٌّ فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: فَانْظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ! فَالْتَقَتَ ﷺ إِلَيْهِ فَضَحَكَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِعَطَاءٍ"².

كما حثَّ ﷺ على تنمية روح الأخوة الإنسانية في المجتمع من خلال عدد من الممارسات؛ كالإخاء بين المهاجرين والأنصار³، ومن خلال عدة أحاديث، منها قوله ﷺ: "وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"⁴، وقوله ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ"⁵. وقوله ﷺ: "أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ"⁶، وقوله ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4838، 135/6.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5809، 146/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1057، 730/2.

3 انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 504/1.

4 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5116، 331/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3270، 389/5.

5 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 23489، 474/38.

6 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1508، 83/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 19293، 48/32.

لنفسه"¹، أي: من الخير²، وقال سُراخُ الحديث: والقيامُ بذلك يحصلُ بأنْ يُحبَّ له حصولَ مثلِ ذلكِ من جهةٍ لا يُزاحمُه فيها، بحيثُ لا تنقُصُ النعمةُ على أخيه شيئاً من النعمةِ عليه، وذلك سهلٌ على القلبِ السليمِ، وإنما يَعْسُرُ على القلبِ الدَّغِلِ³.

ونهى ﷺ عن كل خُلُقٍ يمكنُ أن يؤثرَ على صفو هذه الأخوة، فقال ﷺ: "إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكْذَبُ الحديثِ، ولا تحسَّسُوا، ولا تجسَّسُوا، ولا تناجَّشُوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ اللَّهِ إخواناً"⁴.

وعن عمر قال: استأذنتُ النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي وقال: "لا تنسنا يا أخي من دعائك"، فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا! أي: لقوله: "يا أخي"⁵.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 13، 12/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 45، 67/1.

2 النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 16/2.
3 السابق.

4 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6066، 19/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2563، 1985/4.

5 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 1498، 80/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 195، 325/1.

5. التسامح والتعايش قيمة محورية في التوجهات العالمية والجهود الدولية:

ومما يبرز ذلك:

أ. إعلان المبادئ بشأن التسامح الذي اعتمدته المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين بباريس في 16 نوفمبر 1995: "إنّ التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، ويتعزز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، إنه الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضاً، والتسامح هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، يسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب"¹.

ب. وفي المادة السابعة من الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز التي وافقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 21 ديسمبر 1965 ما يلي: "تتعهد الدول الأطراف بأن تتخذ تدابير فورية وفعّالة، ولا سيّما في ميادين التعليم والتربية والثقافة والإعلام بغية مكافحة النعرات المؤدية إلى التمييز العنصري وتعزيز التفاهم والتسامح والصداقة بين الأمم والجماعات العرقية أو الاثنية الأخرى، وكذلك لنشر مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وإعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وهذه الاتفاقية".

1 اليونسكو، إعلان المبادئ بشأن التسامح.

ج. إعلان منظمة اليونسكو، المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة، في دورتها الثامنة والعشرين لمؤتمرها العام المنعقد في باريس من 25 أكتوبر حتى 6 نوفمبر 1995م، حيث تم الإمضاء على هذا البيان من طرف جميع دول العالم واختيار يوم 16 نوفمبر يومًا للتسامح ورفض التعصب.

6. التسامح والتعايش قيمة راسخة في دولة الإمارات العربية.

يقول صاحب السمو الشيخ مُحَمَّد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله): "في الوقت الذي تبذل فيه المجتمعات الأخرى جهودًا كبيرة لإلغاء العنصرية ونشر التعايش، نجد أن هذه الصفات الحميدة جزء لا يتجزأ من الطبيعة الإماراتية، فالتسامح واحترام الآخرين من قيم وتقاليد السنع العريقة؛ لذلك لم يجد المجتمع الإماراتي أي إشكالية نفسية عندما اقتضت التطورات الاقتصادية في بلادنا استقبال عشرات الجنسيات والأعراق المختلفة للعمل في الدولة، ويبقى التعايش والتسامح في الإمارات مدهشًا بالنسبة للآخرين، لكنه سلوك فطري إماراتي تنبع جذوره من الروح التراثية ومن التدين الفطري المنفتح والمستنير"¹.

1 منيح السنع الإماراتي، الصفوف: 9. 12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 21 . 2022)، ص 92.

ومن أبرز المبادرات والقرارات التي تظهر ترسيخ قيمة التسامح والتعايش في دولة الإمارات العربية المتحدة:

أ. مرسوم بقانون اتحادي رقم (34) لسنة 2023م في شأن مكافحة التمييز والكراهية والتطرف، والذي أصدره صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله).

ب. إنشاء "جمعية الإمارات للتسامح والتعايش السلمي" في شهر مارس من سنة 2018¹.

ج. تأسيس المعهد الدولي للتسامح، وذلك حسب القانون رقم (9) لسنة 2017 الصادر عن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم دبي (رعاه الله)².

1 انظر: إطلاق جمعية الإمارات للتسامح والتعايش السلمي، موقع البيان.

2 الجريدة الرسمية لحكومة دبي، السنة 51، العدد 418، 18 يوليو 2017/24 شوال 1438، ص 6.

مظاهر الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

وتأسيساً لبناء الأخوة الإنسانية القائمة على التسامح والتعايش نجد في الثقافة الإسلامية مجموعة من المظاهر ترسخ هذا المبدأ في الناس على اختلاف أديانهم، من ذلك:

1. أباح الإسلام للمسلم طعام غير المسلمين:

قال تعالى: ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: 5]، والمقصود: ذبائحهم¹، وهذا الاشتراك في الطعام ينبني عليه المشاركة في المناسبات والمجالسة في المأدبات، ويثمر تعارفًا وتمتينًا للعلاقات الأخوية الإنسانية والتعايش، وهذا ما تُؤكِّده سيرة النبي ﷺ في قبوله طعام اليهود، فقد صحَّ في الحديث الشريف أنَّ يهوديًا دعا النبي ﷺ إلى خبز شعير وإهالةٍ سَخِجَةٍ فأجابته². ومنه إقراره ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قبولَ طعام أمِّها قُتَيْلَةَ بنت عبد العُزَّى، وزيارتها لها في بيتها، وهي على غير دينها³.

2. الأمر بمكارم الأخلاق في التعامل بين الناس:

لما أقر الإسلام مبدأ الأخوة الإنسانية والتسامح حتَّى على حسن التعامل بين الناس جميعهم، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، وقال

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 76/6.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 13201، 424/20.

3 انظر: ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 16111، 37/26.

ﷺ: "وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"¹، فيتعامل مع الناس كلهم بالأخلاق الحسنة؛ بحيث لا يُبَدَّل المعروف وطيب الأخلاق لأحد ويُطَوَّى عن أحد، بل يكون مشتركاً بين الناس على اختلافهم، ومما يشهد لذلك: حديث أبي ذر رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال له: "لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلِقٍ"²، ففي الحديث مبادرة المسلم أخاه بإظهار السرور والانشراح، واستقباله بالابتسام، فذلك ممَّا يزيدُ الألفة والمودة.

مجالات التأخي والتسامح والتعايش:

1. مجال العقائد والأفكار:

يعدُّ مجالُ العقائد والأفكار من أبرز ما دلَّت النصوصُ القرآنيَّةُ والنبويَّةُ على أهميَّةِ إعمال قيمة التسامح فيه، وأنَّ اختلاف العقائد لا يؤثر على أصل الأخوة الإنسانية، ولعلَّ أبرز ما يدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، أي: "لا تُكرهوا في الدين، وهو إخباري معنى النهي. أي: لا تُلْزَموا أحداً بفعل لا يرى فيه خيراً يحمله عليه"³.

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]،

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1987، 355/4، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 21354، 284/35.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2626، 2026/4.

3 النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ووعائب الفرقان، تحقيق حمزة النشري، وعبد الحفيظ فرغلي، دار القيمة للطباعة والنشر، بيروت، 1416هـ، 17/2.

أي "تعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرّكم بهم"¹، وهم على دينهم وعقيدتهم، لا تكرهونهم على تغييرها، ولا تجبرونهم على الدخول في دينكم كرهاً.

2. الأخلاق الإنسانية:

وهذا من أبرز مجالات التآخي والتسامح والتعايش بين الناس، ويتمثّل في كل خُلُق كريم؛ كقبول الآخر والإحسان إليه، والعفو عنه، والصّفْح، والتّسهيل، واللين في المعاملة، والإيثار، والصّبر، والحلم، والتّيسير، والدفع بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

3. المعاملات الماليّة:

وذلك لأنها تُبْنَى على ترك التّضييق على النّاس، وذلك ما أكّده حديثُ جابر، أن رسول الله ﷺ قال: "رَحِمَ الله رجلاً سَمَحاً إذا باعَ وإذا اشْتَرَى وإذا اقْتَضَى"²، أي: سهلاً لِيَتَأَ رقيقاً متسامحاً مع النّاس في بيعه وشرائه ومطالبته بالحق.

ومن أمثلته قول النّبِيِّ ﷺ في الإقالة: "مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"³، ففيه حثٌّ على التّسامح في العقود والبيوع، رفعاً للرجح عن المشتري، بفسخ البيع وإرجاع الثمن، وقد تضمّن معناه: الإحسان

1 ابن جرير الطّبري، جامع البيان، 571/22.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2076، 57/3.

3 ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، رقم الحديث: 5029، 404/11.

إلى المشتري؛ لأنَّ البيعَ قد حصل ولا يمكن فسخه إلا برضا البائع، الذي يرغبه الحديث في ذلك؛ مقابلَ إزالة مشقَّتِهِ وعثرته يوم القيامة؛ إشاعةً لقيمة التسامح بين النَّاس.

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ: "تلقت الملائكة روحَ رجل ممن كان قبلكم. فقالوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قال: لا. قالوا: تذكر! قال: كنتُ أداين الناس، فأمرفتياني أن انظروا المعسرويتجوزوا عن الموسر. قال: قال الله عز وجل: تجوزوا عنه"¹. وفي رواية: "فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله عز وجل: أَسَمِحُوا لعبدي كإِسْمَاحِهِ إلى عبدي"².

طرق الاكتساب والتعزيز والتنمية لقيم الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

كثيرة هي الطرق والوسائل التي تؤدي إلى تعزيز قيم الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش وتنميتها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

1. الاعتراف بالآخر، وتقبُّله:

وهذا المبدأ ضروري لبناء أي مجتمع تعددي؛ ومعنى الاعتراف بالآخر: الالتزام الأخلاقي بأحقية الآخر في العيش الكريم، الذي يحافظ على أمنه ويعزز الثقة بينه وبين مجموع أفراد المجتمع.

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1560، 1194/3.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 15، 195/1.

وبعد الاعتراف يكون التقبُّل؛ ويحتاج -على المستوى الاجتماعي والوطني والعالمي- إلى تشجيع الحوار بين الأديان وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام فهو دين تسامح وسلام، وعلى المستوى الفردي يحتاج إلى قبول حقيقة أن الناس غير كاملين، والظروف ليست مثالية دائماً، والخطأ ممكنٌ ومُتَوَقَّعٌ، والاختلافُ سنَّةٌ من سنن الحياة، و "كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائين: التوابون"¹.

إن الحوارَ يحفظُ الأخوةَ الإنسانية ويعزِّزها وينمِّيها، وهو واجبٌ دينيٌّ وضرورة إنسانية، وبالتحاوُر يتحقَّق التسامح والتعايش والتعارف والتعريف، وهو مفتاحٌ لحلِّ مشكلات العالم².

2. احترام مبدأ العدل والمساواة بين الناس:

ويعد هذا المبدأ الأساس للبناء الحضاري المتكامل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، وهذه "أجمع آية في القرآن للحث على المصالح والزجر عن المفاصد بأسرها، فإن الألف واللام في كلمة "العدل والإحسان" تفيد العموم والاستغراق، فلا يبقى من دَقِّ الْعَدْلِ وَجَلِّهِ شَيْءٌ إلا اندرج في أمر الإحسان"³.

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2499، 659/4.

2 ابن بيه، "التسامح أسسه المنهجية في الإسلام"، مجلة السلم، العدد السادس، ص 28.

3 سلطان العلماء، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، (ت: 660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1991م، 2 مج، 642/2.

وإن مبدأ المواطنة الشاملة يعدّ مبدأً كلياً تتحقق به مصالح لا حصرَ لها؛ فبه يضمنُ الإنسان داخل مجتمعه الحقوق والواجبات التي تحافظ على إنسانيته، وتحقِّقُ له العيش الكريم، في ظل نظام يسري على الجميع دون اعتبارٍ للفروق الدينية والعرقية، وسيأتي حديث مفصل عن ذلك في قيمة المواطنة.

3. العفو وسلامة الصدر:

وهذا يحتاج إلى تزكية النفس وتطهير القلب على الدوام مما يلحقه من الأذى، ومثاله: أبو ضمضم - أو: أبو ضيغم -، كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقتُ عليهم بعرضي، فمن شتَمَني أو قذفني فهو في حلٍّ! قال النبي ﷺ: "أعجزُ أحدكم أن يكون مثلَ أبي ضيغم - أو ضمضم - كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقتُ بعرضي على عبادك"¹.

4. التمسك بالموروث الاجتماعي والثقافي المفعم بالتسامح والتعايش:

يحظى التسامح في الموروث الإماراتي بأصول بعيدة وجذور مديدة، وهو مفردة ثقافية وسلوكية مهمة في التقاليد والعادات والسَّغ بمفهومه العام، كما أنه أحد الدَّعائم الأساسية التي شكَّلت التَّرابط والتَّعايش السَّلمي بين أفراد المجتمع، بحيث باتت الإمارات اليوم أنموذجاً للتَّأخي والتسامح على مستوى العالم، تحتضنُ قيمه الأصيلة في قوانينها، ومؤسساتها الثقافية والاجتماعية والدينية، وتعرزه ثقافةً وسلوكاً ونهجاً في الحياة.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4886، 272/4.

ومن المعروف أن ديننا الإسلامي وأعرافنا وعلاقاتنا الاجتماعية حفلت منذ القدم بمعاني التضامن، والعيش المشترك، وعززت باستمرار علاقات التفاهم، والأمن والسلام، وعدم التمييز، ويظهر هذا المناخ الإيجابي والفاعل لمفهوم السَّخ من كونه يتمثل في معناه البسيط: بسعة الصدر، وفتح قنوات التواصل مع الآخرين للتعبير عن آرائهم ومواقفهم، وهو في المضمار الديني دعوة صادقة ومباشرة لاحترام عقائد الآخرين وشعائهم، وتيسير الأمور، وعدم الشدة والغلظة فيها. باعتبار أن التسامح الذي نشأ عليه مجتمع الإمارات جزء من موروثه الذي كان - ولا يزال - يدعو إلى السلام والمودة والرحمة والتواصل والتآلف، وهذا ما يؤكده صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة (حفظه الله)، بقوله: "الإمارات كانت وما زالت داعية سلام ورمز التسامح بين الشعوب".¹

وقد "أضاف التسامح الذي تحلى به أبناء الإمارات قديماً وحديثاً بُعداً آخر لثقافتهم، وهم الذين عرفتهم أسواق التجارة في كل مكان وصلوا إليه، بسهولة التعامل معهم، وإيثارهم، وصدقهم، وتسامحهم، وتواصلهم، وهم الباحثون عن الرزق في أعماق البحار، بدأب وصبر وتوكل، لذا جاء سَنَعُهم في التسامح تلقائياً من غير تكلف، يترجم حياتهم، ويفتح في كل مرة صفحة من صفحاته المشرقة، لهذا يستغرب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه- كيف لا يكون البعض منهم متسامحاً، حيث يقول: "نحن مسلمون، ولا نتسامح! هذا شيء غريب! إن المؤمن يجب أن يكون رحيماً ومتسامحاً، أما القاسي فهو الذي لا يرحم".²

1 منيح السنع الإماراتي، الصفوف: 9-12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 21 . 2022)، ص: 32 . 33.

2 موقع: الإمارات اليوم، أقوال.

إنه "لا يوجد أي تعارض بين مبادئ وعادات السنع وبين التدين، بل إن هناك تداخلاً بين أخلاقيات السنع والأخلاق الإسلامية القائمة على التسامح والصدق والتراحم"¹.

5. المحبة والإيثار:

سئل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان، فكان مما قال: "وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ"²، وهذا سلوكٌ ينبذ الأنانية والجشع، ويتبنّى مبدأ الإيثار والمحبة والتعايش مع عامة الناس المتشاركين في الإنسانية، فيرضى الإنسان لأخيه الإنسان ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

ومن لوازم المحبة بين الإخوة:

• التفقُّد والسؤال:

رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أَنَّهُ قَالَ: "كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْأَخَ أَتَيْنَاهُ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا كَانَتْ عِيَادَةً، وَإِنْ كَانَ مُشْغُولًا كَانَتْ عَوْنًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَتْ زِيَارَةً"³.

1 منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9-12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 21 . 2022)، ص 95.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 22130، 445/36.

3 البيهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 8765، 420/11.

• الإعلام بالمحبة:

وهو من العناصر المدعمة لروابط الأخوة، قال النبي ﷺ: "إذا أحبَّ الرجل أخاه فليُخبره أنه يُحبه"¹.

• تقديم المعونة:

فالإخوة يُعين بعضهم بعضًا، ويكنف بعضهم بعضًا، فذو المال يعين ذا الفاقة، وذو القوة في الجسم يُعين ذا الضعف، يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: 220]، أي: فهم إخوانكم، أنتم أيها المؤمنون وأيتامكم كذلك؛ إن خالطتموهم بأموالكم...، على النظر منكم لهم نظر الأخ الشفيق لأخيه، العامل فيما بينه وبينه بما أوجب الله عليه وألزمه، فذلك لكم حلال؛ لأنكم إخوان بعضكم لبعض"².

يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله): "إنّ التعاون بين البشر على الرغم من اختلاف الأديان والعقائد هو أساس السعادة، والتعاون يجمع بين القريب والبعيد"³.

• كف الأذى:

فالأخ لا يؤذي أخاه بأي نوع من الأذى، يقول سبحانه: ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: 12]، والمعنى: يُحِبُّ

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5124، 332/4.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 705/3.

3 المالاً، ليلي؛ وخلود البلوكي، أقوال قادة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة في حقوق الإنسان والتسامح.

أحدكم -أيها القوم- أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتًا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه؛ لأنَّ الله حرَّم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فآكروها غيبته حيًّا، كما كرهتم لحمه ميتًا، فإن الله حرَّم غيبته حيًّا، كما حرم أكل لحمه ميتًا"¹.

6. تعزيز القيم المشتركة بين الناس:

إن القيم المشتركة تعزِّز علاقات التسامح والتعايش بين الناس وترقي بها في درج الأخوة الإنسانية؛ و"بقدر ما يكون الإنسان متمسِّكًا بقيم أخلاقية مشتركة؛ يكون انسجامه وإيجابيته في الحياة، وبقدر ما لا يبتغي قيمًا - بحيث يتجرد من أي نظرية متسامية إلى الحياة - تتدهور علاقته مع الآخر؛ لأنَّه لن يهتم إلا بمصلحته، أو يتبنى قيمًا سلبية تقوم - على المطلق - بلا حدود في التصرف، ليتصور - من حيث لا يدري - هو ذاته المطلق"².

7. رعاية المصالح المشتركة:

حتى تتحقق الأخوة الإنسانية والتعايش يجب معالجة الأنانية والفردانية، وتغليب المصالح المشتركة التي يتحقق بها النفع لبني الإنسان جميعًا، وفي ذلك يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله): "إنَّ واجبنا أن نساعد الأشقاء والأصدقاء؛ فإنَّ الثروة لا قيمة لها إذا لم تقدِّم مساعدات للدول الشقيقة، في الحياة هناك مَنْ ينشد مصلحته فقط،

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 380/21.

2 ابن بيه، الورقة التأصيلية لمؤتمر "الأقليات غير المسلمة في الديار الإسلامية"، إعلان مراكش، ص 18.

وهناك مَنْ ينشد مصلحته ويعزّزها بالشهامة، وأنا أفضّل الفريق الثاني"¹.

8. الإشادة بالنماذج والقدرات في التسامح والتعايش:

من خلال تكريم الفئات والجهات التي لها إسهامات مُتميّزة في ترسيخ قيم الأخوة والتسامح والتعايش، كونه وسيلة للتفاعل الحضاري بين الشعوب، وتشجيع روح المبادرة والتميّز في إرساء قواعد التسامح على المستويين الوطني والدولي.

9. تشجيع المبادرات التي تنطلق من الأخوة الإنسانية لتعزيز السلام العالمي:

الإسلام دين يعترف للبشر بحقهم في الاختلاف، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]، ومع ذلك يعدُّ البشر جميعاً إخوةً، فيسد الباب أمام الحروب الكثيرة التي عرفها التاريخ الإنساني بسبب الاختلاف العرقي².

ومن المبادرات التي تبنتها دولة الإمارات المتحدة في هذا الإطار:

أ - وثيقة الأخوة الإنسانية التي وقّع عليها فضيلة الإمام الأكبر، الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، وقداسة البابا فرنسيس، بابا الكنيسة الكاثوليكية، تحت رعاية كريمة من دولة الإمارات الراعية

1 الملاً، ليلى؛ وخلود البلوكي، أقوال قادة دولة الإمارات العربيّة المتّحدة في حقوق الإنسان والتسامح.

2 انظر: كلمة العلامة ابن بيه التأطيرية لمنتدى تعزيز السلم 2017 بعنوان: السلم العالمي والخوف من الإسلام، 40-43.

للسلام في أبوظبي، عام 2019م، من أجل إحلال السلام العالمي، والعيش المشترك، واكتشاف قيم العدل، والخير، والجمال، والأخوة الإنسانية؛ ليؤكدوا أهميتها كطوق نجاة للجميع، وليسعوا في نشر هذه القيم بين الناس في كل مكان¹. وقد شهدها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله).

ب- اليوم العالمي للأخوة الإنسانية: الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد مبادرة تقدمت بها كل من الإمارات والسعودية والبحرين ومصر؛ بهدف جعل يوم الرابع من فبراير مناسبة سنوية للتشجيع على التسامح والوحدة بين البشر ونشر قيم التعايش وتقبل الآخر²، وهو يوم توقيع وثيقة الأخوة الإنسانية.

ج- اختيار "الأخوة الإنسانية" موضوعاً رئيساً لعدد من الندوات والمؤتمرات العلمية التي انتظمت في دولة الإمارات العربية المتحدة، منها الندوة التي التّأمت يوم 6 فبراير 2023 تحت عنوان: "تعزيز الأخوة الإنسانية عالمياً... البُعْدَيْنِ الثقافي والمجتمعي"، وذلك بالشراكة بين نادي تراث زايد ومركز زايد للدراسات والبحوث، ومركز "ترنديز" للبحوث والاستشارات.

1 انظر: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، لقاء الأخوة الإنسانية، (موقع إلكتروني)، أبو ظبي، 2019/02/04م.

2 انظر: العالم يحتفي بالأخوة الإنسانية، الإمارات وجهة التسامح والتعايش الأولى، وكالة أنباء الإمارات - (وام).

ثمرات الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش:

تتحقق بالأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش عددٌ من المنافع والثمرات، من أهمّها:

1. تحقيق السلام الذاتي على مستوى الفرد:

فتفعيل قيمة الأخوة الإنسانية يعني عيش الناس في عائلة إنسانية كبيرة، متعاونة منسجمة، تتسم بالود والمبادرة والتفاهم والتسامح، يسكن فيها الإنسان لأخيه الإنسان، ويأمنه، ويحفظ حقوقه ويؤدي واجباته، مما ينعكس سلاماً ذاتياً وصحة نفسية واجتماعية على أعلى المستويات. كما توفر حالة التسامح والتعايش السلمي ظروفًا نفسية وجسدية للأفراد والمؤسسات والمجتمعات تحقق الطمأنينة والسكينة وراحة البال، وهو ما يترتب عليه تقليل التوترات والتعايش السلمي وحلّ أسباب النزاع، يقول الإمام الشافعي:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ¹

1 قبش، مجمع الأمثال في الشعر العربي، ص 334.

ويقول المتنبي:

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حَقُّوْكَ كُلَّهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ¹

ويقول الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان طيّب الله ثراه: "أهم نصيحة أوجّهها لأبنائي هي البُعد عن التكبر، وإيماني بأن الكبير والعظيم لا يصغّره ولا يُضعفه أن يتواضع ويتسامح مع الناس؛ لأنّ التسامح بين البشر يؤدي إلى التراحم، فالإنسان يجب أن يكون رحيماً ومسالماً مع أخيه الإنسان"².

ويقول طيب الله ثراه: "لولا التسامح ما أصبح صديق مع صديق، ولا شقيق مع شقيق، التسامح ميزة"³.

2. وقاية المجتمعات الإنسانية من الفتن والنزاعات:

تلعب قيم الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش دوراً مهماً في وقاية المجتمعات من موجبات الفتن والقلق؛ كالكره والتباغض والغل والتعصّب؛ لما تقوم به من تصحيح المفاهيم لهذه العلاقة الأخوية السامية بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما تعمل عليه من ترسيخ مبادئ المحبة والمبادرة والاحترام والتفاهم والتسامح والتعايش والإيثارة... بين الناس،

1 العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، (ت: 616 هـ)، شرح ديوان المتنبي المسمى بـ "التيبان في شرح الديوان"، تحقيق مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1355 - 1357 هـ، 4 مج، ص 241.

2 مركز الاتحاد للأخبار، الإمارات اليوم، مركز منارة.. رؤية إماراتية تعزّز التسامح.

3 مركز الاتحاد للأخبار، التسامح في فكر الشيخ زايد.

مما يقي المجتمعات الإنسانية من الخصام والتناحر، ويوفر أجواء العيش السلمي لمختلف فئات المجتمع بما يُحقّق الانسجام والثقة والاحترام والوئام والأمن النفسي

ويخلق التسامح والتعايش بيئة يمكن من خلالها الحفاظ على أمن جميع الأفراد، ويسمح لهم ببدء حوارات مناسبة وذات نتائج مرضية، فثقافة التسامح: تعني وجودَ قِيَمٍ وتصورات، تفرز ضوابط سلوكيّة من شأنها أن تشيع الأمن في النفوس، وتجافي الجنوح إلى العنف.

ويحتاج غرس ثقافة التسامح في النفوس إلى اتخاذ السبل بكل الوسائل التثقيفية، وفي مقدمتها التعليم والتربية والإعلام، لإيجاد تلك القيم والتصورات؛ لضبط وكبح جماح النفوس الميالة إلى العنف، وترجيح كفة التسامح، وحسن تقبل الغير، وإيجاد الروح الاجتماعية، والتعايش البناء بين أفراد المجتمع¹.

3. الصفاء الاجتماعي:

فالأخوة والتّسامح قيمٌ تمحو آثار الحقد وتدعو إلى التّجاوز عن الإساءة؛ فالحقد يسبّب الضّيق والشّدّة، وهو ينافي الأخلاق التي يدعو إليها ديننا في حفظ المودّة بين النّاس ونبذ الكراهيّة؛ طلباً لاستمرار العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة بين الأفراد والجماعات، فلا يمكن أن يُتصوّر التّعامل بين الأفراد ما لم تكن الأخوة لهم مبدأً والسّماحةُ لهم خلقاً.

1 ابن بيه، الجذور المعرفية والفكرية للتطرف الفكري والانحراف الأخلاقي، الموقع الرسمي لمعاليه.

4. ضمان الازدهار في المستقبل:

أكد صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله) أن "الأخوة الإنسانية والتسامح رسالة الأديان، هذه الرسالة هي مصدر قوتنا، وتميّز تجربتنا خلال الخمسين عامًا الماضية، ومسؤوليتنا جميعًا تجسيد هذه المعاني لأجل خير البشرية، علينا أن نترك لأجيال المستقبل عالمًا من دون أحقاد وكرهية"¹.

وفي إشارة إلى دور قيمة التسامح في بناء المستقبل، يقول صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي (رعاه الله): "لا مستقبل لهذه المنطقة بدون إعادة إعمار فكري يرسخ قيم التسامح، والتعددية، والقبول بالآخر فكريًا وثقافيًا ووطنياً ودينياً".

5. بلوغ السلام الدولي، وتحقيق التنمية المستدامة الشاملة:

لا يُمكن بلوغ السلام الدولي بغير انتشار معاني الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش، ولا يمكن تحقيق التنمية المستدامة الشاملة إلا بشعور الإنسان بأخيه الإنسان؛ على امتداد المساحة الجغرافية والتاريخية.

1 صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد: التسامح مصدر قوتنا وتميّز تجربتنا خلال الخمسين عاما الماضية، صحيفة البيان.

خاتمة:

إن روح الأخوة الإنسانية فيما بين الأفراد والشعوب تبعث السلام والوئام والمحبة بين الناس جميعاً، في ظل حفظ الحقوق، وطيّ الفروق، فلا تمييز ولا تفاضل إلا بما حصّل الناس من التزام بروح الإنسانية ونور الإيمان الذي يدفع إلى إشاعة الخير والمحبة في أنحاء المعمورة.

وإن التسامح والتعايش هو السبيل الرئيس لتحقيق التفاهم بين مختلف فئات المجتمع، وكذا بين شتى المجتمعات، وتقوم هذه القيم المتكاملة على مجموعة من المفاهيم أساسها وحدة الأصل والمصير، وتلتقي في كونها قائمة على علاقة تراحمية مبدؤها التعارف والحوار والاندماج الإيجابي، ونتائجها التكافل والتضامن والتآزر... وشتى مكارم الأخلاق، وهي قيم تضمن السلام للأفراد، والمجتمعات، والدول، على امتداد الزمان والمكان والإنسان.

التواصل والتعارف والاحترام

مقدمة:

خلق الله تعالى الناس من نفسٍ واحدةٍ؛ ليؤمِّسَ كل فرد منهم لمبادئ التَّعَايِشِ البَنَاءِ الذي يقومُ على أساس وحدة الأصل والمصير، فيكون التَّوَاصل والتَّعَارُفُ المسلك المختار للحوار والتفاهم؛ تحت مظلة الاحترام، وسعيًا إلى التَّعَايِشِ والأمن وإحلال السَّلام.

إن التعارف وجهة أو اتجاه يختاره المرء بالحرية وبالطبيعة الإنسانية، ويتقصَّد من وراء ذلك التكامل في إنسانيته وصنع الخير، ولذلك فهو رسالة سلام إلى العالم، إلى سائر بني البشر، وهو أرفع من الاعتراف، فالتعارف فهو عمل إنساني للتكامل وصنع الخيرات، ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ أَبْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148]¹.

1 السيد، رضوان، "الإسلام والعالم: رؤية إسلامية للسلام مع العالم"، مجلة السلم، ع 3، ص 169.

تعريف التواصل والتعارف والاحترام:

أ. تعريف التواصل:

أولاً- في اللغة:

التواصلُ في اللغة مصدر الفعل "تَوَاصَلَ"، ويعود إلى الجذر اللغوي "وَصَلَ" الذي يأتي بمعانٍ، منها:

1. ضَمُّ شيءٍ إلى شيءٍ: "الواوُ والصادُ واللَّامُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَهُ"¹، و"الِاتِّصَالُ: اتِّحَادُ الْأَشْيَاءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، كاتِّحَادِ طَرَفِي الدَّائِرَةِ، وَيَضَادُّ الْانْفِصَالَ، وَيُسْتَعْمَلُ الْوَصْلُ فِي الْأَعْيَانِ وَفِي الْمَعَانِي، يُقَالُ: وَصَلْتُ فَلَانًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [البقرة: 27]، والْوَصْلُ خِلَافُ الْفَصْلِ².

2. القِرابَةُ والنسب ونحوهما: يُقَالُ: فلان مُتَّصِلٌ بفلان: إذا كان بينهما نسبةٌ أو مُصَاهَرَةٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: 90]، أي: يُنْسَبُونَ³.

3. ضِدُّ الْهَجْرَانِ وَالتَّقَاطُعِ: وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ، وَالتَّوَاصُلُ ضِدُّ التَّصَارُفِ... يُقَالُ: وَصَلَ رَجُلٌ يَصِلُهَا وَصَلًا وَصِلَةً، وَصِلَةُ الرَّحِمِ كُنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَبِينَ، مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ، وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ،

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 6/115، (وصل).

2 ابن منظور، لسان العرب، 11/726، (وصل).

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 873، (وصل).

والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بُعدوا أو أساءوا، وقَطَعَ
الرحم ضد ذلك كله، فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم
من علاقة القرابة والصهر¹.

4. بلوغ الشيء والانتهاه إليه: ووصل الشيء إلى الشيء وُصُولًا وتَوَصَّلَ إليه:
انتَهَى إليه وبلغه، ووصله إليه وأوصله: أنهاه إليه وأبلغه إياه².

ثانيًا- في الاصطلاح:

يمكن تعريف التواصل اصطلاحًا بأنه عبارة عن عملية تفاعل، أو تبادل،
أو تناقل؛ تنتقل بها الأفكار والمبادئ والقيم والخبرات والمعارف والمشاعر بين
الناس؛ داخل نسق اجتماعي معين، يكون بين شخصين أو جماعة صغيرة
أو مجتمع محلي أو حتى المجتمع الإنساني كله، وهو عامل رئيس في تمتين
العلاقات الإنسانية وتطويرها، وظاهرة حركية تؤثر وتتأثر بالسلوك الفردي
والعوامل المؤثرة على طرفي عملية الاتصال، ويتمُّ التَّواصلُ عبر أشكالٍ
وقواعد مختلفة، مثل اللغة والحركة والإشارة وتعبير الوجه³.

1 ابن منظور، لسان العرب، 728/11، (وصل)، وانظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح
العربية، 1842/5، (وصل)، وابن فارس، مقاييس اللغة، 115/6، (وصل)، والرازي، مختار
الصحاح، ص 340، (وصل)، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 191/5، (وصل).

2 ابن منظور، لسان العرب، 726/11، (وصل)، وانظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح
العربية، 1842/5، (وصل).

3 انظر: العبد، عاطف عدلي، مدخل إلى الاتصال والرأي العام، 1998م، ص 14 - 15.

ب. تعريف التعارف:

أولاً- في اللغة:

التعارُفُ في اللغة مصدر الفعل تَعَارَفَ، ويعود إلى الجذر اللغوي "عَرَفَ"، الذي يأتي بمعانٍ، أهمُّها:

1. تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعضٍ: "العينُ والراءُ والفاءُ أصلانِ صحيحانِ، يدلُّ أحدهما على تتابع الشيءِ مُتَّصِلاً ببعضه ببعضٍ..."¹، ومنه: عُرِفَ الفرسُ، وسُمِّيَ بذلكَ لِتَتَابُعِ الشعرِ عليه، ويُقالُ: جاءَتِ القَطَا عُرْفًا عُرْفًا، أي: بعضها خلفَ بعضٍ².

2. السكون والطمأنينة: ومن معاني هذا الجذر اللغوي: السُّكُونُ والطمأنينة³، ومنه المعرفةُ والعرفان، تقولُ: عَرَفَ فلانٌ فلانًا عرفانًا ومعرفةً، وهذا أمرٌ معروفٌ، وهذا يدلُّ على سُكُونِهِ إليه؛ لأنَّ مَنْ أنكَرَ شيئًا تَوَحَّشَ منه ونَبَا عنه⁴.

3. الطيب: ومن البابِ "العَرَفُ"، وهي الرائحةُ الطيبةُ، يُقالُ: ما أَطْيَبَ

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف).

2 ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف)، ويُنظر: الفراهيدي، العين، 122/2، (عرف)، والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1419 هـ - 1998 م، 646/1، (عرف)، وابن منظور، لسان العرب، 241/9، (عرف).

3 ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف).

4 انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف) وابن منظور، لسان العرب، 239/9، (عرف).

عَرَفَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: 6]، أي: طَيَّبَهَا وَزَيَّنَهَا¹.

4. المعروف: والعُرفُ: المعروفُ، وهو ضدُّ المنكرِ، والعُرفُ ضدُّ النُّكرِ، يُقالُ: أولادهُ عُرفًا أي: معروفًا، والمُعروف والعارِفَةُ: خِلَافُ النُّكر²، قال الشاعر:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا عَدْلُهُ وَوَفَاءُهُ فَلَا تُنْكِرُ مَعْرُوفٌ وَلَا الْعُرْفُ ضَائِعٌ³

العلم والمعرفة: ويأتي أيضًا بمعنى العلم، ف"العِرْفَانُ: العلم"⁴، وعرفهُ يَعْرِفُهُ معرفةً: عَلِمَهُ⁵، وقيل: "المعرفةُ والعِرْفَانُ: إدراكُ الشيء بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ لأثره، وهو أخصُّ من العلم، ويضادهُ الإنكار"⁶، وقد تعارفَ القومُ، أي: عَرَفَ بعضهم بعضًا⁷. قال تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، وقال: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: 45]⁸.

1 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1402/4، (عرف)، والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 561، (عرف).

2 الرازي، مختار الصحاح، ص 206، (عرف) والفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، ط8، 1426 هـ - 2005 م، ص 836، (عرف) ابن منظور، لسان العرب، 239/9، (عرف).

3 انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، 281/4، (عرف)، وابن منظور، لسان العرب، 239/9، (عرف).

4 ابن منظور، لسان العرب، 236/9، (عرف).

5 الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 835، (عرف)، والبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 133/24، (عرف).

6 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 560، (عرف).

7 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1403/4، (عرف)، وابن منظور، لسان العرب، 237/9، (عرف).

8 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 561.

ثانيًا- في الاصطلاح:

وعلى ضوء المعنى اللغوي المتقدم يمكن تعريف التعارف في الاصطلاح بأنه: بذل الإنسان وسعه لمعرفة أخيه الإنسان، وفهم المشتركات والجذور التي تصل بينه وبين بني جنسه على اختلافهم؛ بحيث تؤسس المعرفة للتواصل والتفاهم، وتحصل الطمأنينة والتعايش والسلام، وتفتح أبواب المكارم بين الناس.

ج. تعريف الاحترام:

أولاً- في اللغة:

الاحترامُ في اللغة مصدرُ الفعل "احْتَرَمَ"، ويعود إلى الجذر "حرم"، الذي يأتي بمعانٍ، أهمها:

1. المنع والإمساك: الحاءُ والراءُ والميمُ أصلٌ واحدٌ، وهو المنعُ والتَّشْدِيدُ، فالحرَامُ: ضِدُّ الْحَلَالِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَهَا﴾ [الأنبياء: 95]¹، وفي الإحرام: اجْتِنَابُ المحرمِ الأشياءِ التي مَنَعَهُ النَّسَكُ منها؛ كَالطَّيِّبِ وَالنِّكَاحِ وَالصَّيْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَكَأَنَّ الْمُحْرِمَ مُمْتَنِعٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ². وَمِنْهُ الإِحْرَامُ بِالصَّلَاةِ³. وَالْحَرَمُ: سَيِّئٌ بِذَلِكَ لِتَحْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ كَثِيرًا مِمَّا لَيْسَ بِمَحْرَمٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ⁴.

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 45/2، (حرم).

2 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 373/1، (حرم).

3 السابق، 373/1، (حرم).

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 230، (حرم).

2. المهابة والإكبار: والحُرْمَةُ المَهَابَةُ، قيل: وإذا كَانَ بِالْإِنْسَانِ رَحِمٌ، وَكُنَّا نَسْتَجِي مِنْهُ، قُلْنَا: لَهُ حُرْمَةٌ وَمَهَابَةٌ¹. واحترمه: كَرَّمَهُ وأكْبَرَهُ، وهابه، ورعى حرمة، وأحسن معاملته حَبًّا ومَهَابَةً، ومن مكارم الأخلاق احترام المرء مَنْ هم أكبر منه سنًّا².

ثانيًا- في الاصطلاح:

انطلاقًا من المعاني اللغوية المتقدمة يمكن تعريف الاحترام بأنه: قيمة تحمل الفرد على تجنب ما يسيء إلى سمعته؛ فيحترم بذلك نفسه، ويحترم الآخرين بمراعاة حرمتهم، والامتناع عما يضرُّ بهم، أو يقلل من منزلتهم ومكانتهم، حَبًّا وإحسانًا ومَهَابَةً لهم.

أهمية التواصل والتعارف والاحترام:

رَكَزَتِ النصوصُ القرآنية والنبوية على هذه القيم الثلاث كونها تمثل الأسس للإسهام في تحقيق مقصد التَّعَايشِ والسلام؛ حيث تحدَّث القرآن الكريم عن هذه القِيَمِ في غير موضع، وجعلها حافزًا ومنطلقًا لحوار العقول والنُّفوس؛ ومما يشهد لذلك:

1. التعارف واحد من أهم المهمات المطلوبة من الإنسان في الأرض:

لَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ إِنَّ

1 ابن منظور، لسان العرب، 12/124، (حرم).

2 عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/481، (حرم).

الله عَلَيْهِ خَيْرٌ» [الحجرات: 13]، فكان خطاباً للبشرية جمعاء - على تنوع أطرافها وأعراقها، واختلاف ألسنتها وألوانها - مقتضاه الأمر بالرجوع إلى وحدة الأصل البشري للدخول في مقصد التعارف، وهو خطاب موجّه إلى الناس عامةً بصرف النظر عن أديانهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، لا إلى خاصّة المؤمنين، وهو إقرار يوضّحه قوله تعالى: ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾، فهي إشارة إلى التنوع الإنساني الذي يؤدّي بالضرورة إلى تنوع ثقافي وفكري وديني ومذهبي، تقتضيه الحكمة الإلهية، لتحقيق التعايش؛ إذ لو استقلّ كلُّ واحد بنفسه، لما حصل التعارف الذي يترتّب عليه التعاون والتّوارث والقيام بحقوق الأقارب¹.

وبالرجوع إلى الهدى النبوي نجد التأكيد والحثّ على قيمة التعارف قولياً وعملياً، وما ينبني عليها من الائتلاف والتعايش، والتنبيه إلى ما يترتبه تركها من تنافر وتخاصم وتباعد بين الناس، ففي الحديث: "الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ"². فقد يشير الحديث إلى أنّ التعارف يحصل بحسب ما جُبلت عليه هذه الأرواح؛ لأنّها "أنواعٌ مختلفة، فما توافق في الصّفات وتناسب في الأخلاق، ألف كلٌّ منهما الآخر، وإن تباعد فلم يتوافق ولم يتناسب نافر كل منهما الآخر، والمراد بالتعارف ما بينهما من التّناسب والتّشابه، وبالتناكر ما بينهما من التّباین والتّنافر، فالائتلاف والاختلاف للقلوب والأرواح، ويتبعها توافق الأجسام"³.

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 342/16.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2638، 2031/4.

3 المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت 1031هـ)، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، 1408هـ/1988م، (2مج)، 422/1.

وقد يكون معناه: أن التعارف بين الناس سبيل إلى الائتلاف والتواصل فيما بينهم، وتقبل التنوع والاختلاف، وهو شكلٌ من أشكال الانفتاح على الآخر، في حين أن عدم التعارف - وهو التناكر - يبقِي الخلاف، ويعيق الائتلاف، فترك التعارف مفضي إلى التنافر والتناكر والتخاصم.

ومن هنا نجد في الهدي النبوي دعوة إلى التواصل مع الجميع، وبيان أنه من الحقوق الواجبة، ومن شرائط الخيرية؛ فقد سئل عليه الصلاة والسلام: أيُّ الإسلام خير؟ فقال: "تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"¹، وقال عليه الصلاة والسلام: "المؤمن مَأْلَفٌ، ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، ولا يُؤْلَفُ"².

2. التواصل سبيل عمارة الأرض، والتقاطع والتدابير سبيل إفسادها:

عدَّ القرآن التقاطع والتدابير نوعًا من الفساد؛ إذ قرن الله تعالى التقاطع والتدابير بالفساد في القرآن الكريم في غير موضع، من ذلك في سورة البقرة [الآية: 27]، والرعد [الآية: 25]، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 27].

وفي آية أخرى قرن الله تعالى التقاطع بالفساد كذلك، فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: 22].

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 12، 12/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 39، 65/1.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 9198، 106/15.

وبالمقابل: بشرّ الموفين بعهدهم الواصلين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ ۖ﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۖ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۚ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 20-24].

فكأن صلاح حال الناس في الأرض يقوم على مجموعة من الأسس والثوابت، من أهمها: التواصل والتعارف، وإن وقوع ما يضادهما ينذر بالفساد والإفساد.

3. الاحترام الذاتي والمجتمعي قيمة رسختها النصوص القرآنية والنبوية:

ومن الأمثلة على الاحترام: احترام خصوصية الآخرين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 27]، أي: حتى تستأذنوا وتعلموا أهل البيت أنكم تريدون الدخول عليهم.

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَاةً طَيِّبَةً﴾ [النور: 61]. أي: فإذا دخلتم -أيها الناس- بيوت أنفسكم، فسلموا على أهل بيوتكم وعيالكم، أو إذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين فيها ناسٌ منكم، فليسلم بعضكم على بعض¹.

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 383/17.

وقال رسول الله ﷺ: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس، فليُسَلِّم، فإذا أراد أن يقوم، فليُسَلِّم، فليست الأولى بأحق من الآخرة"¹، هذا الحديث في احترام أدب المجالس.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]، أي: لا تعبس في وجوه الناس. وتعرض عنهم احتقاراً لهم وتكبراً عليهم، بل لِنُ لهم وتبسم في وجوههم²، كما جاء في الحديث: "ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلِقٍ"³.

وقال رسول الله ﷺ: "يُسَلِّم الصغيرُ على الكبير، والمأزُ على القاعد، والقليلُ على الكثير"⁴، ويتنزل الحديث في باب آداب التَّواصل وضوابط احترام الإنسان لغيره بمراعاة السن والهيئة والكم.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 5208، 353/4، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2706، 62/5.

2 الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة، 1436هـ/2015م، 315/7.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2626، 2026/4.

4 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6231، 52/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2160، 1703/4.

طرق اكتساب قيم التواصل والتعارف والاحترام وتعزيزها وتنميتها:

مما يعزز قيم التواصل والتعارف والاحترام بين الناس:

1. فهم سنة الاختلاف:

يَعُدُّ القرآن الكريم الاختلاف حقيقةً إنسانيةً وحاجةً طبيعِيَّةً، ولوحةً ثريَّةً بالمعاني والحكم والدَّلالات، فيجعل تعدد الأجناس وتباين الألوان والثِّقافات واختلاف التَّصورات والأعراف دليلًا على عظمة الله تعالى، وآيةً كبرى من آياته، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22]، ويقول سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48]، ويقول جلَّ وعزَّ: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

ودعا القرآن الكريم البشريَّة جمعاء إلى احترام التعددية الإثنيَّة والدينيَّة، جاعلاً إياها وسيلةً للتعارف؛ يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

لقد جاء القرآن الكريم بمشروعيَّة الاختلاف وفطريَّته، وعدّه سنَّة من السَّنن الكونيَّة الطبيعيَّة، ساعياً إلى أن يجعلها بديلاً عن فلسفة الرِّفْض والإقصاء، ويزيل وهم أحاديَّة الفكر، داعياً إلى إعمال العقل في تأمل مختلف مناهج التَّفكير، بحثاً في حقيقة الإيمان والوجود.

2. تعزيز قيمة الحوار:

فالخطاب القرآني يأمر المؤمنين بالتّلاقي والتّعارُف مع الآخر، وسلوك سبل الحوار والبحث العميق عن المشتركات، تعرّفًا عليها، وتفعيلاً لها؛ لذلك يعدُّ الحوار أحد مقوّمات التّلاقي على الإيمان التي دعا إليها الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64]، وقد أكّد القرآن الكريم أنّ الرّسالات الإلهيّة يكمل بعضها بعضًا، وأنّ روح التّلاقي بين الأنبياء حاضرة في مقصود الرّسالة للوصول إلى الهدف التّبيل وهو الإيمان بالخالق، يقول الله تعالى مخاطبًا سيدنا مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163].

وجعل القرآن الكريم آيّة محاورّة غير المسلمين هي الاحترام والمسؤوليّة وقبول الآخر، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46]، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، فقلوله تعالى: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ مفردة تجمع محاسن أدب الحوار، وترنو إلى تأسيس حوار يرتقي بكلّ معانيه إلى الالتزام بأصل المحبّة والتّعارُف بين البشريّة، وتقضي بأنّ المشتركات بين المختلفين تعزّز روح الصّداقة والتّلاقي الإنسانيّ. وفي ذلك يقول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه: "إنّ الحوار الإسلامي والمسيحي ضروري، ويستطيع البابا تشجيعه والحثّ عليه، نحن بدورنا على استعداد لتشجيعه ودعمه"¹.

1 البلوشي، محمد علي، الشخصية القياديّة وقيم التسامح فكري الشيخ زايد (طيب الله ثراه)، ص 175.

3. صلة الرحم:

لا خلاف أنَّ الصِّلَةَ والزِّيَارَةَ للأهل والأقارب والأصدقاء والجيران من أعظم القربات وأفضل الطَّاعات؛ لما في ذلك من تقوية روابط المودَّة، ونشر المحبَّة، فمها يكون المجتمع كالجسد الواحد، لا تنافرو ولا تباغض فيه، فتقلُّ فيه آفاتُ التَّحاسد والتَّباغض، وتشيع فيه المودَّة والوئامُ.

لأجل ذلك كانت صلة الرَّحم من أهمِّ ما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالحفاظ عليه، فجعلها من أعظم دلائل صدق الإيمان، وبين أهميتها في حياة الإنسان؛ حفاظاً على تماسك المجتمع، وصوناً له من الانفراط والضياع والتشتت...

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: 90].

وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ يَرْفَعُهُ إِلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: "حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ"¹.

هذا، وتعرَّف صلة الرَّحم بأنَّها الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، والتحيَّة، وغير ذلك².

1 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 22080، 399/36، 400.

2 أبو جيب، سعدي بن حمدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دارنور الصباح، تركيا، ص 145.

4. الاهتمام بالصدّاقة:

الصدّاقة علاقة اجتماعيّة بين شخصين أو أكثر، تقوم على الصدق والمحبة، وهي علاقة إنسانية معروفة منذ القدم، وتقوم على الترابط والمشاركة والعاطفة المتبادلة والتفاهم، وتعدّ من أهمّ العلاقات للإنسان في مختلف مراحل حياته؛ لما ينشأ عنها من تعاون وتكاتف ومساعدة تنمي روح الأخوة والتواصل والاحترام وتقوي الروابط الإنسانية بعيداً عن العداوة.

وقد ذكر القرآن الكريم الصدّاقة والصحة في غير موطن، وأوصى بالإحسان للصاحب، فقال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ﴾ [النساء: 36]، وذكر قول صاحب السجن ليوسف عليه السلام: ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]، وذكر صحبة موسى والخضر، وصحبة النبي ﷺ وأبي بكر يوم الهجرة...

5. القول الحسن:

فبالكلمة الطيبة يفتح الإنسان آفاق التواصل والتعارف، ويستبقي التقدير والاحترام، فيثمر ذلك خيراً في كل حين، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 24، 25].

والكلمة الطيبة صمام أمان بين الناس من نزغات الشيطان وما تحمله
من إساءة الفهم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53].

خاتمة:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى التعارف والتواصل والاحترام المتبادل
مصدرًا للتكامل المعرفي بين البشر؛ ليحصل الإغناء في مجال المعرفة
خدمة للإنسانية جمعاء، ويعم السلام والطمأنينة في أرجاء المعمورة، فلولاً
التعددية والتنوع والاختلاف في إطار التعارف؛ لضممت حوافر الاستباق،
ودواعي التميز، وأسباب التنافس بين الأفراد والأمم والشعوب والأفكار
والمذاهب والديانات والفلسفات والحضارات، ولأضحت الحياة سكونا لا
حيوية فيه، ولا تجدد، ولا نماء.

العدل والاعتدال

مقدمة:

الإسلامُ دينُ العدل والاعتدال، ونبذِ التطرف والتَّشَدُّد، تلتقي تعاليمه لتحقيقِ السَّلامِ والأمنِ الاجتماعيَّين، ممَّا يُسهِم في غرسِ الثِّقَّةِ في نفس الآخر، ويفتح قلبه للحوار البنَّاء.

ويكون الاعتدال بالتزام الطريق الأقوم، والخُلُق الأكرم، والعمل الأعظم، فوسط الشيء أعظمه وأقومه وأحسنه¹، ويكون - كذلك - في البعد عن طرفي الإفراط والتفريط، وعن طرفي الغلو والتقصير؛ "ولا شكَّ أن الطرفين رديئان، والمتوسَّط معتدلٌ فاضلٌ، وإنَّمَا سَيَّي العدل وسطاً؛ لأنَّه لا يميلُ إلى أحدِ الخصمين، والأطراف يتسارع إليهما الخللُ والفساد، والأوسط محميةٌ مَحْوَطةٌ، فلمَّا صحَّ ذلك في الوسط صار كأنه عبارةٌ عن المعتدل الذي لا يميلُ إلى جهةٍ دون جهةٍ"².

1 انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 184/5، (وسط).

2 الرازي، التفسير الكبير، 85-84/4.

تعريف العدل والاعتدال:

أ. تعريف العدل:

أولاً- في اللغة:

العَدْلُ في اللغة يعودُ إلى الجذر اللغوي "عَدَلَ" الذي يأتي بمعانٍ متعددةٍ، منها:

1. استواء الطريقة: يقال: "العدل من الناس: المرضيُّ المستوي الطريقة"¹.
2. القضاء بالحق: والعُدُولَةُ والعَدْلُ: الحُكْمُ على الأمر بالحقِّ، قال زهير:
وتقول: هو يَعْدِلُ، أي: يحكُمُ بالحقِّ والعدلِ، وهو حَكَمَ عدلٌ ذو مَعْدَلَةٍ في حُكْمِهِ²، فالعدلُ خلافُ الجَوْرِ³، يُقال: عَدَلَ عليه في القضيةِ فهو عادلٌ، مِنْ قَوْمٍ عُدُولٍ⁴، وفي أسماءِ الله تعالى "العَدْلُ"، هُوَ الذي لا يَمِيلُ بهِ الهَوَى فيَجُورُ في الحُكْمِ⁵.

1 ابن منظور، لسان العرب، 32-31/11.

2 الفراهيدي، العين، 38/2، (عدل)، وانظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 125/2، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 430/11، (عدل).

3 الفراهيدي، العين، 39/2، (عدل)، الأزهري، تهذيب اللغة، 126/2، (عدل)، ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل).

4 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1760/5، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 430/11، (عدل).

5 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 190/3، (عدل).

3. قِيَمَةُ الشَّيْءِ وَفِدَاؤُهُ¹، يُقَالُ: خُذْ عَدْلَهُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا، أَيْ قِيَمَتَهُ²، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: 123] أَيْ: فِدْيَةٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَادِلَةِ، وَهِيَ الْمَسَاوَةُ³، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الأنعام: 70] أَيْ: تَفْدٍ كُلِّ فِدَاءٍ⁴.

4. الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ وَالْمَسَاوِي: وَعَدْلُ الشَّيْءِ: نَظِيرُهُ، وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ يُسَاوِي الشَّيْءَ: هُوَ عَدْلُهُ⁵، عَدَلْتُ فَلَانًا بِفُلَانٍ أَعَدَلْتُهُ بِهِ، وَفُلَانٌ يُعَادِلُ فَلَانًا... وَيَقُولُ فِي الْكُفَّارَةِ: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ [المائدة: 95]، أَيْ: مَا يَكُونُ مِثْلَهُ⁶، وَمِنْ الْبَابِ: الْعِدْلَانُ وَهُمَا حِمْلَا الدَّابَّةِ، سُمِّيَا بِذَلِكَ لِتَسَاوِيهِمَا، وَالْعَدِيلُ: الَّذِي يُعَادِلُكَ فِي الْمَحْمَلِ⁷.

5. التَّقْوِيمُ وَالِاسْتِقَامَةُ: وَالْعَدْلُ: الْإِسْتِقَامَةُ⁸، وَتَعْدِيلُ الشَّيْءِ: تَقْوِيمُهُ، يُقَالُ: عَدَلْتُهُ فَاعْتَدَلْ، أَيْ: قَوَّمْتُهُ فَاسْتَقَامَ⁹، وَإِذَا مَالَ شَيْءٌ، قَلْتُ:

-
- 1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 431/11، (عدل).
 - 2 الأزهرى، تهذيب اللغة، 124/2، (عدل)، والجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1760/5، 1761، (عدل).
 - 3 ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل)، وانظر: الفراهيدي، العين، 39/2، (عدل).
 - 4 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1761/5، (عدل)، وانظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 639/1.
 - 5 ابن فارس، مقاييس اللغة، 246/4، 247، (عدل).
 - 6 الفراهيدي، العين، 38/2، 39، (عدل).
 - 7 ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل).
 - 8 الأزهرى، تهذيب اللغة، 123/2، (عدل).
 - 9 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1761/5، (عدل).

عَدَلْتُهُ -أي: أقمته- فاعتدل، حتَّى استقام واستوى¹، ومن الباب: المعتدلة من النوق، وهي الحسنَةُ المتَّفِقَةُ الأعضاء²، وعدل الحكم، أي: أقامه³، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7]، أي: فقوّمك⁴.

ثانيًا- في الاصطلاح:

عرف العدل في الاصطلاح بمعانٍ مقاربة للمعاني اللغوية من حيث الإجمال؛ ومما قيل في تعريفه: هو الصراط المستقيم، ويكون بين طرفي الإفراط والتفريط؛ المؤتى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية⁵، وذلك أمر واجب الرعاية في جميع الأشياء⁶.

وخلاصة هذه التعاريف أن العدل هو الإنصاف والتسوية والتوازن بين جهتين متقابلتين، ويضاف إليهما في ضوء المعاني اللغوية والقرآنية المتقدمة أن يكون الاعتدال هو التزام الطريق الأقوم، والأحسن، والأفضل.

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل). والأزهري، تهذيب اللغة، 124/2، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل).

2 ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل).

3 ابن منظور، لسان العرب، 431/11، (عدل).

4 الأزهري، تهذيب اللغة، 127/2، (عدل)، وانظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 178/24.

5 الهانوي، محمّد بن عليّ (ت: بعد 1158 هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق د. علي دحروج مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2 مج، 292/1.

6 الرازي، التفسير الكبير، 259/20، والجرجاني، التعريفات، ص 147.

ب. تعريف الاعتدال:

أولاً- في اللغة:

أما الاعتدال فهو في اللغة مصدر الفعل "اعتدل"، ويعود أيضاً إلى الجذر اللغوي "عدَل" الذي تقدمت معانيه آنفاً، وتعديل الشيء: تقويمه، وعُصِنَ معتدلاً، أي: مُستَوٍ، وامرأة حسنة الاعتدال، أي: حسنة القامة¹، ومنه قوله: وعدلنا ميل بذرٍ فاعتدل، أي: قوّمناه فاستقام²، واعتدال الناقة، أي: استقامة سنامها من السمن بعد ما كان مائلاً؛ لأنّ الناقة إذا سميت اعتدلت أعضاؤها كلها من السنام وغيره³، وكلُّ ما أقمته، فقد عدلته⁴.

وقيل: إن "الاعتدال: حال بين حالين في كمٍّ أو كيفٍ، كقولهم: جسمٌ مُعتدلٌ بين الطول والقصر، وماءٌ مُعتدلٌ بين البارد والحار... وكلُّ ما تناسب فقد اعتدل"⁵، ويقال: يومٌ مُعتدلٌ، إذا تساوى حالاً حَرُّه وبرُّه، وكذلك في الشيء المأكول⁶، فيقال لما يؤكل إذا لم يكن حارّاً ولا بارداً يضرُّ: هو مُعتدلٌ⁷.

1 الفراهيدي، العين، 40/2، (عدل).

2 الأزهري، تهذيب اللغة، 125/2، (عدل).

3 انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 126/2، (عدل)، وابن منظور، لسان العرب، 436/11، (عدل).

4 ابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1030، (عدل).

5 ابن منظور، لسان العرب، 433/11، (عدل).

6 ابن فارس، مقاييس اللغة، 247/4، (عدل).

7 الفراهيدي، العين، 39/2، (عدل).

ثانيًا- في الاصطلاح:

أما اصطلاحًا فالاعتدال والاستقامة نقطة عليا بين الأطراف التي لا تخلو من الإفراط والتفريط، والاعتدال: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير.

المتفق عليه أنّ العدل إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقَّه¹، وقد عُرِفَ الاعتدال بتعاريف كثيرة؛ مفادها أن العدل مصدرٌ بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق²، ويكون بين حالين في كم أو كيف³، دون إفراط أو تفريط⁴.

ومدار هذه التعاريف على أن الاعتدال اصطلاحًا يحمل معاني الحُسن والاستواء والاستقامة والتناسب، فيكون المعتدل إلى الكمال أقرب، فلا تقصير في الممكن، ولا قصور عنه، ولا مجاوزة للحدّ المطلوب والمرغوب.

وفي القرآن الكريم آيةٌ جامعة لمعاني الاعتدال، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، والوسط العدل، وفي قوله: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]، يعني: أعدلهم وخيرهم⁵، فوسط

1 انظر: خلف الله، محمد أحمد، الموسوعة الفلسفية العربية، 580/1، (عدل).

2 الجرجاني، التّعريفات، ص 124.

3 ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل المرسى (ت: 458هـ) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هندawi، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ / 2000م، (11مج)، 14/2.

4 الغزالي، إحياء علوم الدين، 57/3، والنيسابوري، غرائب القرآن، 421/1.

5 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 180/23.

الشيء أعظمه، ومنه حديث: "الوالد أوسط أبواب الجنة"¹ أي خيرها، يقال: هو من أوسط قومه، أي: من أشرفهم وأحسبهم وخيارهم، ومنه سميت الصلاة الوسطى؛ لأنها أفضل الصلاة وأعظمها أجرًا، ولذلك خصت بالمحافظة عليها².

أهمية العدل والاعتدال:

تبرز أهمية العدل والاعتدال في النقاط الآتية:

1. العدل والاعتدال قيمتان أساسيتان في القرآن الكريم:

فقد وردت عدة آيات في الحث على العدل؛ منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]، أي: ويأمركم إذا حكمتهم أن تحكموا بين الناس بالعدل والإنصاف، وذلك حكم الله الذي أنزله في كتابه، وبينه على لسان رسوله، لا تعدوا ذلك فتجوروا عليهم³.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: 90]، أي: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف⁴.

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1900، 311/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3663، 1208/2، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 27552، 535/45.

2 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 184/5، (وسط).

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 172/7.

4 السابق، 334/14.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أي: واعدلوا في حكمكم بين من حكمتم بينهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]، العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط¹.

وقد وردت عدة آيات في الحث على الاعتدال؛ منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، والوسطُ اسمٌ للمكان الواقع بين أمكنةٍ تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياءٍ محيطَةٍ به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعضٍ عرفًا، ولمَّا كان الوصول إليه لا يقع إلَّا بعد اختراق ما يحيط به أَخَذَ فيه معنى الصَّيَانَةِ والعِزَّةِ، طبعًا كوسط الوادي لا تصلُ إليه الرُّعَاةُ والدَّوَابُّ إلَّا بعد أكل ما في الجوانب، فيبقى كثيرُ العشب والكَلأ، ووَضْعًا كواسطة العقد لأنفس لؤلؤةٍ فيه، فمن أجل ذلك صار معنى النَّفَاسَةِ والعِزَّةِ والخيار من لوازم معنى الوسط عرفًا، فأطلقوه على الخيار النَّفِيس كنايةً، قال زهير:

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْضِلٍ²

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]، فالوسطُ في هذه الآية فُسِّرَ بالخيار؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، وفُسِّرَ بالعدول³.

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 363/21.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/2.

3 السابق، 17-18/2.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18].

ويقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، والآية تدلُّ على وجوب الاعتدال في كلِّ شيء، ومع النَّاس جميعاً.

2. الأمر بالعدل والاعتدال متوافر في نصوص الهدي النبوي:

أكد النَّبِيُّ ﷺ في غير ما مناسبة أنَّ التَّشَدُّدَ وعدم الاعتدال هو مصدر كلِّ بلاء وشقاء؛ لأنَّه يهدِّد السَّلامَ المجتمعيَّ نتيجة ما يحدثه من خلافات تؤثر على الاستقرار والأمن والسَّلام، وتهدِّد التَّرابطَ المجتمعيَّ الذي يدعو إليه الإسلام، وكلُّ ما يقوِّضُ السَّلامَ تجد الإسلامَ ناهياً عنه.

ومما ورد في الهدي النبوي قوله ﷺ: "وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"¹. في هذا الحديث أمر بنبذ التطرف والغلو والتشدد، وهي صفات تؤدي إلى التهلكة والفساد وتتعارض مع الإيمان الحق القائم على الاعتدال والتسامح.

وعن أنس بن مالك أنَّه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفرله ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أما أنا

1 النسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 3057، 268/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3029، 1008/2.

فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا
أعزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: "أنتم الذين
قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر،
وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".¹

ويقول النبي ﷺ: "إن الدين يُسرُّ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه،
فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من
الدلجة"²، وفي رواية: "سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيءٍ من الدلجة،
والقصد القصّد تبلّغوا"³، "أي: الزموا الطريق المعتدل تبلّغوا المنزل الذي
هو مقصدكم، فالقصد هو الاعتدال،... وهو الذي بين الطرفين من الإفراط
والتفريط، وفيه نهْيٌ عن التشدّد والغلوّ، وحثٌّ على اقتفاء الطريق المعتدل
غير الشاقّ، ولزومه في العمل مع الأخذ بالرفق من غير غلوّ ولا تقصير"⁴.

وقد بيّن النبي ﷺ سوءَ عاقبة التشدد فقال: "لا تُشدِّدوا على أنفسكم
فيُشدّدَ عليكم، فإنَّ قومًا شدّدوا على أنفسهم فشَدَّدَ اللهُ عليهم"⁵.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5063، 2/7.

2 السابق، رقم الحديث: 39، 16/1.

3 السابق، رقم الحديث: 6463، 98/8.

4 العيني، بدر الدين، محمود بن أحمد بن موسى (ت: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح
البخاري، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت، (د.ت)، 12 مج، 64/23، وانظر: المناوي، التيسير
بشرح الجامع الصغير، 145/2.

5 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4904، 276/4.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثًا¹،
والمتنطعون هم المتعمقون الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم
وأفعالهم"²، فنهى عن التَّنَطُّع ودعا إلى التيسير.

وقال أيضًا: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّيًا، وَلَا مُتَعَنِّيًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا
مُيسِّرًا"³.

وحثَّ النَّبِيُّ ﷺ على السَّماحة في العبادة والمعاملة: فقال: "أحِبُّ الدِّينِ
إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"⁴، أي: التي لا تَطَرُّفَ فيها ولا تَشَدُّدَ، وهي التي
تلائم فطرة النَّاسِ؛ "لأنَّ قواعدها أصولًا وفروعًا كلّها في الوسط"⁵.

3. العدل والاعتدال قيمة رئيسة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

لا تخفى الجهود العظيمة التي تبذلها دولة الإمارات العربية المتحدة
في تعزيز الاعتدال الديني، ومكافحة التطرف والتشدد، فقد أدركت دولة
الإمارات العربية المتحدة خطورة الفكر المتطرف مبكرًا، فانهتجت في

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2670، 2055/4.

2 انظر: القاضي عياض، إكمال المَعْلَم بفوائد مسلم، 41/5، 164/8، والخطّابي، حمد بن محمد
بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ)، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة
العلمية - حلب، 1351 هـ - 1932 م، 300/4، والصنعاني، محمد بن إسماعيل، التنوير شرح
الجامع الصغير، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، 1432هـ/2011م، 333/3.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1478، 1104/2.

4 البخاري، الجامع الصحيح، تعليقًا بصيغة الجزم، 16/1.

5 الكرمانى، محمد بن يوسف بن علي الكرمانى (ت: 786هـ)، الكواكب الدّراري في شرح صحيح
البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، طبعة أولى، 1356هـ - 1937م، طبعة ثانية،
1401هـ - 1981م، (25 مج)، 227/22.

ذلك أسلوب الوقاية منه؛ حيث تم ضبط الخطاب الديني في مؤسساتها الرسمية، ومنابرها الدينية والإعلامية، ومناهج تعليمها الديني، وخطت في صدد التعليم الديني برامج متعددة على مختلف الأصعدة وكافة المستويات سواء كان ذلك على مستوى مناهج التربية الإسلامية في التعليم النظامي، أو المناهج الموحدة في مراكز تحفيظ القرآن الكريم التابعة للهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة¹.

ومن الناحية القانونية، قامت دولة الإمارات بإصدار عدد من القوانين والتشريعات التي تمكن العدل وتعزز الاعتدال، منها:

أ. ما ورد في المادة 25 من باب "الحريات والحقوق والواجبات العامة" من دستور الإمارات العربية المتحدة: "جميع الأفراد لدى القانون سواء، ولا تمييز بين مواطني الاتحاد بسبب الأصل، أو الموطن، أو العقيدة الدينية، أو المركز الاجتماعي".

ب. وفي المادة 94 الخاصة باستقلالية القضاء ضمن دستور الإمارات العربية المتحدة: "العدل أساس الملك، والقضاء مستقلون، لا سلطان عليهم في أداء واجبهم لغير القانون وضمايرهم".

ج. مرسوم بقانون اتحادي رقم (34) لسنة 2023م في شأن مكافحة التمييز والكراهية والتطرف، والذي يقضي بتجريم التعصب الديني. وسبق الحديث عن نبذ التعصب في "قيمة الكرامة".

1 انظر: مكافحة الإرهاب والتطرف، موقع وزارة الخارجية.

كما قامت دولة الإمارات بتعزيز مؤسسات وطنية - بوسائل، منها:
التعاون الدولي - لبناء القدرات ومنع العنف ومكافحة الإرهاب والجريمة،
ومن ذلك:

1. مركز "هداية" لمكافحة التطرف العنيف.

2. مركز صواب¹.

وقد سجل تاريخ الإنسانية أدوارًا بارزة لصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة (حفظه الله) تمثلت في عدد من المبادرات التاريخية والمواقف الإنسانية، أسهمت في نشر ثقافة الاعتدال والتسامح والسلام في العالم، ومن أبرز تلك المبادرات رعايته وثيقة الأخوة الإنسانية التي تم توقيعها في دولة الإمارات العربية المتحدة 4 فبراير 2019.

ويُعدّ سموه مرسخًا للاعتدال الديني، إذ كانت جموع العلماء من كافة أقطار الأرض من أصحاب الديانات السماوية تلتقي في الإمارات لتدحض مزاعم الفكر المتطرف، وتواجهه بالفكر والنقد وبيان صحيح الشرع الحنيف في كل المسائل. كما رعى سموه واستقبل المشاركين في الفعاليات من العلماء وأصحاب الديانات السماوية، ومن ينتمون للفلسفات الروحية وتهئية المناخ للحوار الأخوي الإنساني.. وكان حريصًا على اللقاء بالعلماء والمفكرين من كل اتباع الديانات بصدر رحب وابتسامة دائمة وقلب يتسع للجميع².

1 انظر: مراكز محاربة التطرف، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

2 انظر: مركز الاتحاد للأخبار، محمد بن زايد.. رجل السلام والتعايش والأخوة الإنسانية.

4. العدل والاعتدال قيمة إنسانية عالمية أممية أصيلة:

تضمنتها الدساتير والتشريعات، وقامت على رعايتها وزارات، وصانتها كفاءات، سهرت لإحقاقها سائر الأوقات. ومن ذلك على سبيل المثال:

أ. جاء في المادة السابعة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: "الناسُ جميعاً سواءٌ أمام القانون، وهم يتساوون في حقِّ التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حقِّ التمتع بالحماية من أيِّ تمييز ينتهك هذا الإعلان، ومن أيِّ تحريض على مثل هذا التمييز!"

ب. وفي المادة العاشرة من الإعلان نفسه: " لكلِّ إنسان، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، الحقُّ في أن تَنظر في قضيتَه محكمةٌ مستقلةٌ ومحايدةٌ، نظراً مُنصفاً وعلنياً، للفصل في حقوقه والتزاماته، وفي أيّة تهمة جزائية تُوجّه إليه!"

1. الاتزان في الدين:

بحيث يتم اختيار السبيل الأقوم في فهم أحكام الدين ونصوصه باعتبار مقاصدها، وممارسة التعاليم الدينية بقدر الاستطاعة، وقبول تعدد الآراء والمذاهب الفقهية، واحترام الاجتهادات المعتمدة، وعدم الإنكار في مسائل الخلاف.

2. التزام التيسير:

ويتجسد في الرفق بالناس، ومراعاة أحوالهم، وتعليمهم أمور دينهم بالمحبة والترغيب واللين، وتجنب التنفير، ونبد التشدد والعنف والإرهاب.

3. تحقيق النفع للفرد والمجتمع:

من خلال بذل الجهد في خدمة مصالح العباد في الحال والمآل؛ والعمل على كل ما يحفظ النفس والدين والمال والعقل والعرض والوطن.

4. رفع الضرر ودفع المشقة:

وذلك بدرء المفسد والأذى عن الآخرين، ورفع الحرج عن النفس أو الغير في العبادات والمعاملات وفق الضوابط الشرعية والقوانين المرعية.

5. تمثُّل قيم المواطنة الإيجابية:

ومنها: اعتزاز المرء بالانتماء إلى وطنه بحدوده الجغرافية الدولية، ويخلص في حبه، وطاعة حكامه ومحبتهم، وعدم بيعه غيرهم، ويتمسك

بتراثه وتقاليده الأصيلة وقيمه النبيلة، ويحافظ على منجزاته، ويقدر رموزه ومؤسساته، ويخضع لقوانينه وأنظمتها، ويشارك بفاعلية في بنائه، ويعمل على تعميق المحبة والتلاحم بين مكوناته المجتمعية... وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في قيمة المواطنة.

6. القدرة على التواصل الحضاري:

بحيث يتمثل معاني وقيم السلام والتعايش بين الثقافات والحضارات المختلفة، واحترام التنوع الثقافي والديني، وإيجابية التواصل مع الآخرين، وانهاج الحوار والحكمة في علاج المشكلات وحل الخلافات.

7. النظرة التفاضلية للحياة:

من خلال إدراك قيمة الحياة، والاستمتاع بطيبتها، والتفاعل الإيجابي مع تطوراتها ومستجداتها، والسعي إلى التميز والتنافسية بالإتقان والإبداع والابتكار؛ لتحقيق جودة الحياة الشاملة.

ثمرات العدل والاعتدال:

تتجلى ثمرات قيمة العدل والاعتدال في نقاط كثيرة، منها:

1. تحقيق التوازن والاستقرار النفسي:

تقدم في تعريف العدل والاعتدال أنه إعطاء كل ذي حقِّ حَقَّهُ¹؛ ولأجل ذلك تمكّن هذه القيمة صاحبها من القدرة على التوازن في حياته وأسرته وعمله وعلاقاته...، والكفاءة في التعامل مع التحديات والفعالية في إدارة الضغوط، مما يورثه الانسجام الذهني والسكينة المستمرة؛ والذي يعزز القدرة على الحفاظ على هذا التوازن... وهكذا يكون الأثر متبادلاً، وبذلك تتشكّل اللبنة الأساس في حفظ حقوق المجتمع، وهي الفرد المتوازن؛ لأن توازن الأفراد يؤديّ إلى بناء المجتمع المتوازن.

2. تحقيق التكافل المجتمعي:

فإعطاء كل ذي حقِّ حَقَّهُ فضيلة كبرى، إذا تجلّت أثمرت بالمقابل التزام الأفراد داخل المجتمع بحقوقهم وواجباتهم، وتحلّهم بالمظاهر المذكورة آنفاً، مما يؤدي إلى تكافل أفراد المجتمع واستقرار حياتهم وتوازن أركان معيشتهم. وإن العدل والاعتدال ثمرة عظيمة قائمة بذاتها، وفي ذلك المعنى يقول عبادة البحتري:

أَدْعُ الْفَضْلَ فَلَا أَطْلُبُهُ حَسْبِيَ الْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ فَقَطُ²

1 انظر: خلف الله، محمد أحمد، الموسوعة الفلسفية العربية، 580/1، (عدل).

2 البحتري، الوليد بن عُبَيْد (ت: 284 هـ)، ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، 2009م، ص 1227.

3. تحقيق التسامح:

إن الإنسان المعتدل هو القادر على ممارسة التسامح على أرض الواقع؛ لأنه يجسّد رسالة السلام والتعايش السلمي في ظل الاقتباس من الرحمة العالمية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، ومن آثار التسامح سيتحلّى بنبذ التعصّب للرأي، أو المذهب، واحترام الآراء المخالفة، والتجاوز العلمي والأدبي الهادف، والمقرون بالعلم والحلم، والمنضبط بالمنهج الوسطي المتوازن، وفي دعوته لحق الاختلاف، وإقراره لحرية الاعتقاد.

4. تحقيق السلام:

إن مآل العدل والاعتدال تحقيق "التعايش السلمي"، وكفّ أصوات الكراهية والتنطع، والحد من الإرهاب والتطرف ومنع الظلم والبغي والعدوان، وتحقيق الاستقرار والتلاحم، ونشر التآلف والتراحم، وعصمة الأنفس، وصون الدماء، وحفظ الأموال والأعراض، من خلال إغلاق الطريق أمام الأفكار المنحرفة والهدامة، والقضاء على أصوات الغلو والتطرف.

وإن إيمان الشيخ زايد بن سلطان - طيب الله ثراه - يمكن أن يؤخذ مثلاً وأنموذجاً لفهم الإسلام الفهم السليم القائم على الاعتدال، والقيم السمحة التي بُنيَ عليها، لهذا كان داعماً مستمراً للاعتدال، وكان حريصاً كل الحرص على تقريب دُعاة الاعتدال والسلام من كبار العلماء الذين توافدوا على إمارات الخير من كلّ بقاع العالم الإسلامي في شتى المناسبات، لا سيما في شهر رمضان المبارك، وكان في لقاءاته الدائمة معهم يدعوهم

إلى أن ينشروا في أوطانهم قيمَ الإسلام السّميحة والأصيلة، ويحاربوا بالكلمة الطّيبة، والوعظ الهادف، كل ألوان التّطرف والغلو، الّذي لا ينتمي للدين الإسلامي بأي شكلٍ من الأشكال"¹.

5. تحقيق التديّن الصحيح:

فعلى الاعتدال بُنيت تعاليم الإسلام؛ و"الشريعةُ جاريةٌ في التكليفِ بمقتضاها على الطريق الوسطِ الأعدَل، الأخِذ من الطرفين بقسطٍ لا مِيلَ فيه، الداخِل تحت كَسْبِ العبدِ من غير مَشَقَّةٍ عليه ولا انحلال، بل هو تكليفٌ جارٍ على موازنةٍ تقتضي في جميعِ المكلفين غايةَ الاعتدال"².

1 منهج السنع الإماراتي، الصفوف: 9-12، وزارة التربية والتعليم، الإمارات العربية المتحدة (السنة الدراسية: 21 . 2022)، ص 38 . 39.

2 الشاطي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخي الغرناطي (ت: 790هـ). الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن، دار ابن عفان، 1417هـ/1997م، 279/2.

طرق اكتساب قيمة العدل والاعتدال وتعزيزها وتنميتها:

يمكن اكتساب وتعزيز قيمة العدل والاعتدال بما يأتي:

1. الصدور في الأقوال والأعمال والأحكام والتقييمات من كتاب الله وهدى رسوله ﷺ، فهو منبع العدل والاعتدال.
2. ترسيخ مبدأ العدل والاعتدال من خلال الممارسات التربوية في الأسرة، والبيئات التعليمية.
3. تهذيب النفس وتنمية الذات، لتعزيز القدرة على التزام الصواب وضبط هوى النفس وشهواتها.
4. اكتساب قيمة الموضوعية، والحيادية، والتدريب على التخلص من الذاتية.
5. تقييم الإنسان لنفسه، ومراجعته لمواقفه، ومحاسبته لنفسه، يعينه على نقدها وتصحيح مسارها والتزام الاعتدال في المحاكمات والسلوك.
6. تأسيس الحوار الراقى المحفوف بأصل المحبة والرحمة، والهادف للتعارف والتعاون بين أبناء البشرية.
7. فهم طبيعة الغلو والتشدد والتطرف، وصوره وإشكالاته وآلياته وأفاته، والطرق المثلى للتعامل مع أصحابه.

خاتمة:

وهكذا، تظهر معاني قيمة العدل والاعتدال وأهميتها في كتاب الله وهدى رسوله ﷺ، وثمراتها على مستوى الفرد والمجتمع، وأهم طرق تعزيزها وتنميتها.

هذا، ويندرج العدل والاعتدال في خدمة كَلِّي السِّلْم؛ حيث يتحقق بهما الأمن والاستقرار؛ حيث الحاجة ملحة في العلاقات الإنسانية إلى تحقيق معاني العدل والاعتدال من عدم الإفراط والتفريط، والتوازن في التعامل مع المخالف، والحرص على التوسط والتسوية والإنصاف، "فإنَّ العدلَ كما يُطلب في الجملة يُطلَب في التفصيل"¹، فيتمثله أهله في صغار الأمور وكبارها، ويحققونه في الفرعيات كما يحققونه في الأصول.

1 الشاطبي، الموافقات، 400/3.



القيمة المركزيّة الثالثة (العلم)

وأهم فروعها:

الاجتهاد والتفكير والتفكير

الصدق

الأمانة العلميّة



العلم

مقدمة:

العلم واحد من أعظم القيم الإنسانية وأهمّها، وهو أشرف ما رغب فيه الرّاعِب، وأفضل ما طلب وجدّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأنّ شرفه يُثمر على صاحبه، وفضله يزيد ويرجع لطالبه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، فَمَنَعَ المساواة بين العالم والجاهل؛ لما قد خُصَّ به العالم من فضيلة العلم. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]، فنفي أن يكون غير العالم يعقل عنه - سبحانه - أمراً، أو يفهم منه زَجْراً¹.

تعريف العلم:

أولاً- في اللغة:

العلم في اللغة مصدرُ الفعل "عَلِمَ"، ويردُّ بمعانٍ متعددة، منها:

1. الأثر والعلامة: "العين واللام والميم أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على أثرٍ بالشيء يتميّز به عن غيره، من ذلك العلامة، وهي معروفةٌ، يُقال: علّمتُ على الشيء علامةً، والعلمُ: الرّايةُ، والجمعُ أعلامٌ، قالت الخنساء:

1 الماوردي، علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، (ت 450هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، دط، 1986م، ص36.

وَإِنَّ صَخْرًا لَّتَأْتُمُ الْهُدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ¹

وَالْعَلَمُ: الْأَثَرُ الَّذِي يُعَلَمُ بِهِ الشَّيْءُ، كَعَلَمِ الطَّرِيقِ وَعَلَمِ الْقَافِلَةِ، وَسَيَّيِ الْجَبَلِ عَلَمًا لَذَلِكَ، وَجَمْعُهُ أَعْلَامٌ، وَقُرئ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:61]²، وَالْمَعْنَى أَنَّ ظَهَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَزُولُهُ إِلَى الْأَرْضِ عِلَامَةٌ تَدُلُّ عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ³.

2. نَقِيزُ الْجَهْلِ: الْعِلْمُ: نَقِيزُ الْجَهْلِ⁴، وَفِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: "الْعَلِيمُ"، فَهُوَ الْعَالِمُ الْمَحِيطُ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ: ظَاهِرُهَا وَبَاطِنُهَا، دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا، عَلَى أَتَمِّ الْإِمْكَانِ⁵، وَهُوَ اللَّهُ الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَلَمْ يَزَلْ عَالِمًا وَلَا يَزَالُ عَالِمًا بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى⁶.

3. إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ: "الْعِلْمُ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: إِدْرَاكُ ذَاتِ الشَّيْءِ، وَالثَّانِي: الْحُكْمُ عَلَى الشَّيْءِ"⁷.

4. الْمَعْرِفَةُ وَالْخَبَرَةُ: وَيَأْتِي الْعِلْمُ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ وَالْخَبَرَةِ، "وَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ:

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/109، (علم).

2 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 581، وانظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 2/948، (علم).

3 انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 20/631.

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/110، (علم)، وابن منظور، لسان العرب، 12/417، (علم).

5 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 3/292، (علم).

6 ابن منظور، لسان العرب، 12/416، (علم).

7 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580، (علم).

عِلِمْتُ الشَّيْءِ؛ بِمَعْنَى: عَرَفْتُهُ وَخَبَرْتُهُ، وَعِلِمَ الرَّجُلُ: خَبَرَهُ، وَأَحَبُّ أَنْ يَعْلَمَهُ، أَيُّ: يَخْبُرُهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]¹.

5. الإِتْقَانُ: يُقَالُ: عَلِمَ الْأَمْرَ وَتَعَلَّمَهُ: أَتَقَنَهُ².

6. الشُّعُورُ: وَمِنْهُ: عَلِمَ بِالشَّيْءِ، أَيُّ: شَعَرَبَهُ، يُقَالُ: مَا عَلِمْتُ بِخَبَرِ قُدُومِهِ، أَيُّ: مَا شَعَرْتُ³.

ويظهر مما سبق أن مادة "العِلْم" قد اسْتُعْمِلَتْ فِي اللُّغَةِ لِلدَّلَالَةِ الْحَسِّيَّةِ عَلَى مَا هُوَ ظَاهِرٌ وَاضِحٌ بَيِّنٌ لَا لِبَسَ فِيهِ، وَمِنْهُ الْأَثَرُ وَالْعَلَامَةُ، كَمَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الْمَعْرِفَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيَّةِ، كَعِلْمِ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ وَخَبَرَتِهِ وَإِتْقَانِهِ وَحَذَقِهِ وَالْإِحْسَاسَ بِهِ.

ثَانِيًا- فِي الْإِصْطِلَاحِ:

إِنَّ تَعْرِيفَ الْعِلْمِ فِي الْإِصْطِلَاحِ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّهْلِ الْمَمْتَنَعِ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْعَجْزُ عَنْ التَّعْرِيفِ بِالشَّيْءِ لَخَفَاءِ الْمَطْلُوبِ جَدًّا، وَقَدْ يَكُونُ لَبْلُوغُهُ فِي الْجَلَاءِ إِلَى حَيْثُ لَا يَوْجَدُ شَيْءٌ أَعْرَفُ مِنْهُ لِيُجْعَلَ مَعْرِفًا لَهُ، وَالْعَجْزُ عَنْ تَعْرِيفِ الْعِلْمِ لِهَذَا الْبَابِ، وَالْحَقُّ أَنَّ مَاهِيَةَ الْعِلْمِ مَتَصَوِّرَةٌ تَصَوُّرًا بَدْهِيًّا جَلِيًّا، فَلَا حَاجَةَ فِي مَعْرِفَتِهِ إِلَى مَعْرِفٍ⁴.

1 ابن منظور، لسان العرب، 418/12، (علم).

2 السابق.

3 السابق.

4 الرازي، التفسير الكبير، 420/2.

وقد تعددت معانيه ومرامييه،

فقيل: إنَّه معرفة المعلوم على ما هو به¹.

وقيل: إنه الوصف الذي يتأتَّى للمتَّصف به إتقانُ الفعلِ وأحكامه².

وقيل: اسمٌ مشتركٌ قد يُطلق على الإبصار والإحساس وله حدٌّ بحسبه، ويُطلق على الظنِّ وله حدٌّ آخر، ويُطلق على عِلْم الله تعالى على وجهٍ آخر أعلى وأشرف، وقد يُطلق على إدراكِ العقلِ وهو المقصود بالبيان، وربما يَعْسُرُ تحديده على الوجه الحقيقي بعبارة محرَّرة جامعة للجنس والفصل الدَّاتي؛ فإنَّ ذلك عسيرٌ في أكثر الأشياء؛ بل أكثر المدركات الحسيَّة يتعسَّر تحديدها، ويكاد يكون العلم مرتسماً في النفس بمعناه وحقيقته من غير تكلفٍ تحديدٍ، فيكونُ العلم عبارة عن أخذِ العقلِ صَوْرَ المعقولات وهيأتها في نفسه وانطباعها فيه؛ كما يُظنُّ - من حيثُ الوهم - انطباعُ الصُّور في المرأة³.

وقيل: العِلْمُ: إدراكُ الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراكُ ذاتِ الشيء. والثاني: الحُكْمُ على الشيء بوجود شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفْيُ شيءٍ هو منفيٌّ عنه. والعِلْمُ من وجهٍ ضربان: نظريٌّ وعمليٌّ، ومن وجهٍ آخر ضربان: عقليٌّ وسمعيٌّ⁴، ومن وجه ثالث: ضروريٌّ؛ يوجد بالعالم دون اختياره ولا قصده، ونظريٌّ؛ يحتاج إلى تقدُّم النظر والاستدلال⁵ وإعمال

1 الباجي، سليمان بن خلف بن سعد (ت: 474 هـ) الحدود في الأصول، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424 هـ - 2003 م، ص 95.

2 الغزالي، أبو حامد، (ت: 505 هـ)، المستصفى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، 1413 هـ / 1993 م، ص 21.

3 الغزالي، أبو حامد، المستصفى، ص 21.

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580.

5 الباجي، الحدود في الأصول، ص 95.

الفكر، فالفكر هو الذي يُدرك الإنسان به العلوم والصنائع، والعلم: إمّا تصوّر للماهيات بإدراكٍ ساذجٍ من غير حكمٍ معه، وإمّا تصديقٌ، أي: حكمٌ بثبوت أمرٍ لأمر¹.

هذا، وقد ذكر الجرجاني للعلم تسعة تعريفات²، وتوسّع حاجي خليفة في مقدمة "كشف الظنون" فذكر للعلم خمسة عشر تعريفاً³، لم يخلُ واحدٌ منها من ملاحظةٍ ودخلٍ؛ وذلك لاختلاف أهل العلم في تصوّر ماهية العلم المُطلَق: هل هو ضروريٌّ، أو نظريٌّ يفسرُ تعريفه، أو نظريٌّ غير عسير التعريف، ورجّح الثالث، وذكر التعريفات، وكلّها جامعة مانعة على النسبة لا على الإطلاق، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الأعراف: 89].

وانطلاقاً مما سبق؛ يمكن إيجاز القول بأنّ العلم يتضمّن معنى التيقّن والاعتقاد، وإدراك الواقع عن طريق الحواسّ أو غيرها، والمعنى الحقيقي للفظ "العلم" هو الإدراك، وقد يُطلق على مجموع المسائل والمبادئ التصوريّة والمبادئ التصديقيّة والموضوعات، وأما حدّه الحقيقي فإنما هو بتصوّر مسأله أو بتصوّر التّصديقات المتعلّقة بها؛ فإنّ حقيقة كلّ علمٍ مسائل ذلك العلم، أو التّصديقاتُ بها⁴.

1 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808 هـ)، العبروديان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر = تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)، 644/1.

2 الجرجاني، التعريفات، ص 155.

3 حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، 1443هـ/2021م، 4/1.

4 القنوجي، محمّد صديق خان بن حسن (ت: 1307 هـ)، أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت، 1978 م، 3 مج، ص 39.

والعلاقة بين المعاني اللغوية وهذا المعنى الاصطلاحي؛ أن صاحب العلم له دراية بما يعلمه؛ تبين له الحقيقة والذيف، والمظهر والمخبر، والمبدأ والمآل، وله علامة تميزه عن غيره، فهو كالراية الشامخة في أعلى الجبل؛ مرفوع القدر والرأس، يّين في المقام والمقدار.

أهمية العلم:

للعلم أهمية كبرى في الدين الإسلاميّ، وتتجلى فيما يأتي:

1. اشتقاق اسمٍ من أسماء الله الحسنى منه:

فمن أسمائه تعالى: "عالم" و"عليم"، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: 73]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: 26]، والعالم والعليم صفتان مشتقان من العلم؛ فالعالم اسم الفاعل، والعليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم¹. فهو سبحانه عالمٌ بجميع المعلومات والموجودات والمعدومات²، ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]؛ يحيط ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره، عاقبته وفاتحته... وهذا من حيث كثرة المعلومات؛ وهي لا نهاية لها، ثم يكون العلم في ذاته؛ من حيث الوضوح والكشف على أتمّ ما يمكن فيه³.

1 الزجاجة، اشتقاق أسماء الله، ص50.

2 الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت: 505 هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1423هـ/2003م، ص60.

3 الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر الجفان والجابي - قبرص، 1407 هـ، ص86.

وهو تعالى "المعلم" الأول، فقد نسب سبحانه ذلك إلى نفسه في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4]، وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 4-5].

2. إكساب العلم وبثه أحد المهام التي بُعث بها الأنبياء والمرسلون:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]. وفي الحديث: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد: أعلِّمكم"¹.

والعلم أحد القيم المحورية في الهدي النبوي، فإنما أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ "معلِّماً ميسراً"²، بكتاب الله ورسالته، فبين ﷺ خاص القرآن وعامه، وفسر مجمله ومبهمه، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]³.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاستزادة من العلم خاصة دون غيره⁴، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، وفيه أدل دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته وفرط محبة الله تعالى إيَّاه. فكان ﷺ يسأل الله دائماً

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 8، 3/1، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 313، 114/1، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 7409، 372/12.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1478، 1104/2.

3 المُرُوزي، محمد بن نصر بن الحجاج (ت: 294هـ)، السُّنَّة، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ص35.

4 الرازي، التفسير الكبير، 407/2.

زيادة العلم، ففي الحديث: "اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا"¹، وهذا دليل على فضل العلم، وحثُّ على التزوُّد منه ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلًا².

وقد صنف كثير من علماء الحديث كتبهم؛ فجعلوا كتابَ العلم ثالثًا بعد كتاب بدء الوحي، وكتاب الإيمان، وضمَّنوه فضلَ العلم وضرورته وأدابه والحرصَ عليه وطرقَ التعليم وأساليبه وأحكامه...³.

وعن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف صدرَ أهلُ العلم يفسِّرون ويشرحون ويجمِّعون ويُبَوِّنون، ولقد قيَّضَ الله - سبحانه وتعالى - في كلِّ عصرٍ ومصرٍ علماء قاموا بكشفِ دقائق العلوم، وتبيينِ حقائقها، فمنهم: من استنبط المسائل من الدلائل؛ فأصلَّ وفرَّع، ومنهم: من جمع، وصنَّف؛ فأبدع، ومنهم: من هدَّب، وحرَّر؛ فأجاد، وحقَّق المباحث فوق ما يُراد، رحم الله أسلافهم، وأَيَّد أخلافهم⁴.

3. العلم قيمة من القيم القرآنية المركزية:

اهتمَّ القرآن الكريم بقيمة العلم اهتمامًا ظاهرًا، وذكر العلم وما اشتقَّ من مادَّته فيما يربو على سبعمئة آية، منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]،

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3599، 578/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3833، 1260/2.

2 مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 1072/6.

3 انظر: البخاري، الجامع الصحيح، 21/1.

4 خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1/1.

وقوله سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

ومن ذلك الاهتمام:

• افتتاحُ الله تعالى رسالة السماء الأخيرة بالأمرِ بالعلم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وجعل العلم طريقًا إلى كرامته - سبحانه - وإكرامه، فقال: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 3].

• جعلُ العلم سبيلًا إلى الرفعة

خصَّ الله ابنَ آدم بالعقل أداةً للعلم، وجعلَه ميزةً للإنسيِّ وأصلًا من أصول كرامته وتميُّزه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70]، ثمَّ جعل له العلمَ معراجًا يسلكُ في شرفِ مسائله وأصوله وفروعه ومجالسةِ أهله سبيلَ الرفعة؛ حتى يُدركَ به أشرفَ الأحساب، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وصراطًا يسلكه فيُوصله إلى معرفة الله وخشيته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، وكلما كثر العلم زادت الخشية، وكلُّ عزٍّ لم يؤكَّد بعلمٍ؛ فالإِ ذلِّ ما يصير¹.

• فتحُ القرآن الكريم أبواب علوم الدنيا

وقد فتح الله تعالى لخلقه في عِلْمه المقروء - الوحي - بابَ عِلْمه المنظور - الكون والحياة -، وفتح لهم بتدبُّر آياته القرآنية أبوابَ التفكُّر في آياته

1 من قول الأحنف بن قيس، انظر: ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت: 463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ط.)، (د.ت.)، 1/256.

الكونية، وآياته التكوينية، فقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20]، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] [آل عمران: 190، 191]، وآيات كثيرة أخرى، تفتح من علوم الدين أبواب علوم الكون والحياة.

وقد نبغ علماء المسلمين في كلا الصنفين، وتصدّروا في كلتا السبيلين، فكان منهم من جمع الفلسفة والمنطق إلى الفقه والحديث، وعلوم القرآن إلى الطبّ والهندسة والحساب، وما ذلك إلّا لوعيمهم بشمول أمر الله تعالى وتوجيهات رسوله ﷺ في طلب العلم سائر التّوعين، ومن أمثلة هؤلاء العلماء: أبو القاسم الزّهراويّ؛ أوّل من اخترع أدوات الجراحة، وابن سينا؛ أوّل من أرسى قواعد علم الطّفليّات، وأوّل من اكتشف عضلات العين، وابن النفيس؛ الذي قدّم وصفًا للدّورة الدّمويّة لم يسبق إليه، وابن خلدون، وابن راشد، والطبري...

• أمر القرآن الكريم بالتعلم عن طريق التفكير والنظر والاعتبار

أمر - سبحانه - في كتابه بالنّظر، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185]، وهذا نصٌّ بالحثّ على النّظر في جميع الموجودات، فإنّ الموجودات إنّما تدلّ على الصّانع لمعرفة صنّعتها، وأنّه كلما كانت المعرفة بصنّعتها أتمّ كانت المعرفة بالصّانع أتمّ، وكأنّ الشّرع قد ندب إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلّب

معرفتها به، وذلك يبين في غير ما آية من كتاب الله عز وجل¹، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6]، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿الغاشية: 17-20﴾.

وذكر - سبحانه - التفكير في معرض المدح، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 21]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ﴾ [طه: 54].

وأيضاً ذمَّ المعرضين فقال: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: 105]².

4. العلم قيمة من قيم الهدي النبوي:

ومن الأحاديث التي أكد فيها النبي ﷺ المنزلة العالية التي أولاها الإسلام لقيمة العلم قوله عليه الصلاة والسلام: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنْ الْمَلَائِكَةُ لَتُضْعَعُ أَجْنَحَتَاهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيْسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى النَّجْمِ".

1 انظر: ابن رشد الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق د. ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص22.

2 الرازي، التفسير الكبير، 2/327.

سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهماً، ورَّثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر¹.

فالعلم في الإسلام: إرثُ الأنبياء، وطريقُ الجنَّة، وسببٌ لاستغفار المخلوقات لطالبه، ووضع الملائكة أجنتها لسالكه، وكفى بهذا الفضل أن يشحذ الهمة لطلب العلم، والاجتهاد فيه، والصبر له.

وإذا كان العلم في الإسلام بهذه المرتبة العالية، والمنزلة السامية؛ فإنَّ الجهل من شرِّ الأمور التي حذر منها ديننا الحنيف، فقد وصف الله تعالى في كتابه المعرضين عن التفكُّر والتدبُّر، الممتنعين من النظر والتعقُّل، في الخلق والكون والحياة، المخالفين للأنبياء؛ وصفهم بالجاهلين في أكثر من موضع، منها قوله سبحانه: ﴿وَوَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: 111]، وقوله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64].

5. العلم واحد من الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية:

اهتمت الحضارة الإسلامية خلال تاريخها الطويل، وعصورها المتلاحقة، بالعلوم الإنسانية والكونية على اختلاف تفرعاتها، ومختلف مجالاتها؛ حيث انفتحت عليها، وتفاعلت معها، واستفادت منها، وأثرت بها وطورتها، انطلاقاً من دعوة القرآن الكريم إلى طلب العلوم، والتأمل في النفس الإنسانية، والتفكير في الأبعاد الكونية؛ لتحقيق عمارة الأرض ونفع البشرية.

ويمكن أن نبسط الحديث عن عناية الحضارة الإسلامية بالعلم من خلال النقاط الآتية:

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3641، 317/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2682، 48/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 223، 81/1.

أولاً- التكامل بين العلم والدين أسس للحضارة الإسلامية:

هناك تكامل بين الدين وبين العلم بمفهوميه الخاصّ والعامّ؛ فالعلم يهتمّ بمعرفة طبائع الأشياء وبنياتها، ويكشف أنظمة عملها، أما الدين فيهتمّ بمعاني الأشياء وغايات الأفعال، وبذلك يُكمل بعضهما بعضاً، وإنّ النصوص ووقائع التاريخ تُثبت يقيناً التكامل بينهما، وأنّ الحياة بجزئها الروحيّ والماديّ لا تتقدم إلاّ بالأخذ بهما جميعاً، ومعلوم كذلك أنّ العلم بمعناه التجريبيّ ازدهر في ظلّ الإسلام بشكل لم يسبق له نظير، وكان علماءنا المسلمون المؤسسين الأوائل لعدّة علوم ونظريّات في الرياضيّات والفيزياء والطبّ وغيرها.

ولا أدلّ على هذا التّكامل والتّعاوض بين العلم والدين من كونه الأساس الذي انبنت عليه المنظومة العقديّة، والمفتاح الذي فُتح به باب النبوّة لسيد الخلق ﷺ؛ إذ حُصّرت به أولى الآيات التي نزلت عليه في بدء الوحي، وهي قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]. فورود التّكليف بالقراءة في هذه الآيات إشارة إلى أنّ روح الدّين ومقصد الرّسالة إنّما هو الدّلالة على الجمع بين معارف الوحي وخبرات العلم، وذلك معنى الجمع بين مفهومي القراءة والخلق في هذه الآيات التي كانت باكورة أيّ الكتاب المبين، وطلايعه تكاليف الرّسالة الخاتمة.

وقد التفت بعض العلماء إلى ما في أولى هذه الآيات من حذفٍ مفعوليّ (اقرأ) و(خلق)، وما يدلّ عليه ذلك من اتّساع مجال القراءة المأمور بها، على

قد رُسِّعَ موضوع الخلق المخبر به، فكانت تلك إشارةً إلى أنَّ المطلوب من النَّبِيِّ الخاتم ﷺ وأتباعه إعمالُ مختلف وسائل القراءة للكتاب المسطور وللكون المنظور، وفي ذلك إشارةٌ واضحةٌ إلى ما بين الوحي والعلم من تعانق وثيق وترباط متين¹.

ومما يزيد ذلك تأكيداً ما حفلت به النصوص القرآنية والنبوية من الأمرِ باحترام العلم والعلماء، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَايِبٌ سُودٌ ۝٧ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 27-28].

وقد ورد الحديث في أكثر من ألف آية عن الكون بمختلف أجزائه، من سماء وأرض وشمس وقمر ونجوم وسحاب وجبال وإنسان وحيوان... وغيرها، كما وردت آياتٌ وأحاديثٌ كثيرةٌ تدلُّ على مشروعية إعمال العقل وثمراته العلمية والمعرفية في اكتشاف آفاق الكون الفسيح، كما تُبيِّن أن الدِّين لا يعارض التَّقدِّم العلميَّ، بل يأمر به ويدعو إليه. ومما ينبغي الاعتناء به في هذا الصِّدد ترسيخ هذه العلاقة التَّكامليَّة بين العلم والدِّين، وتفنيدُ مغالطات التَّعارض بينهما.

ثانياً- عناية الحضارة الإسلامية بالعلوم الإنسانية:

كان للعلماء المسلمين عبر التاريخ عناية بالغة بالعلوم الإنسانية؛ حتى برع منهم فيها أفذاذ، وبرز منهم رواد؛ أسهموا في تقدم الحضارة الإسلامية، وإثراء المعرفة الإنسانية، ومن تلك العلوم:

1 انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/440، 441.

• الفلسفة:

وتعني: البحث العقلي عن حقائق الموجودات، والتفكير العميق في مبادئها الجوهرية؛ لمعرفة المبدع الأول، وتحقيق السعادة للإنسان¹، والفلسفة في أصل وضعها كلمة يونانية، تتكون من: (فَيْلًا) ومعناه: يحب، و(سُوفًا) ومعناها: الحكمة، وعلى هذا؛ فالفيلسوف هو الشخص الذي يحب الحكمة، أو يشتغل بالحكمة². وهو المعنى ذاته الذي عبرت عنه كلمة الحكمة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12]، فإنها في هذا السياق تعني الفهم الدقيق للإنسان والوجود، وترجمة ذلك إلى مبادئ ومعان عميقة، يهتدي بها الإنسان إلى تحقيق الغاية التي خُلق من أجلها.

وتعد الفلسفة إحدى أهم مشكلات الحضارة الإسلامية؛ لدورها في رقي الحضارة وتقدمها؛ حيث إنها تؤكد على أن العالم والحياة لهما قيمة ذاتية، وتبعًا لذلك فإنها تدفع الإنسان للارتقاء إلى أسمى قيمة يمكن الوصول إليها³، فالفلسفة - كما قال الكندي - هي "أعلى الصناعات الإنسانية منزلة، وأشرفها مرتبة"⁴؛ ذلك لأنها من العلوم الخادمة لبقية العلوم، من خلال إقامة الحجج، وتعليم الحصول على الحلول ووسائل الإقناع. كما قال

1 انظر: ابن رشد، فصل المقال في ما بين الحكمة والشرعة من الاتصال، ص22، والجرجاني، التعريفات، ص169.

2 انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص822.

3 انظر: أشفيتسر، ألبرت، فلسفة الحضارة، (ترجمة: عبد الرحمن بدوي)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م، ص113.

4 الكندي، أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن الصباح (ت: نحو: 260هـ)، كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1367هـ/1948م، ص77.

الفيلسوف الألماني هيدجر: "إن العلوم لا تكون إلا إذا تقدّمتها الفلسفة وقادتها"¹.

ومن هذا المنطلق اشتغل العلماء المسلمون بالفلسفة، واهتموا بها؛ نقلاً وترجمة، وشرحاً وتفسيراً، ونقداً وتصحيحاً، وإضافة وابتكاراً؛ وبنوا عليها فهمهم للموجودات، بوصفها علماً عقلياً تحتاج إليه كل الحضارات، ومن أمثالهم:

- أ. يوسف بن يعقوب الكندي، (ت 256هـ)، وكان يلقب بفيلسوف العرب.
- ب. أبونصر محمد الفارابي (ت 339هـ)، ويطلق عليه: (المعلم الثاني) بعد أرسطو.
- ج. الحسين بن عبد الله بن سينا، (ت 428هـ)، واشتهر بلقب: الفيلسوف الرئيس.
- د. محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (ت 595هـ)، وعرف بالشارح، لشرحه تراث أرسطو.

• علم الاجتماع:

وهو علمٌ يبحث في نشوء المجتمعات الإنسانية، ونُمُوها، وطبيعتها، وقوانينها، ونُظُمها، فيفسر سلوك أفرادها، ويدرس تفاعلاتهم، بهدف ديمومة الكيان الاجتماعي وتطوره².

1 هيدجر، مارتن، ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟ هيدرلن وماهية الشعر، (ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز؛ ومحمود رجب السيد)، دار النهضة العربية، القاهرة 1964م، ص36.

2 انظر: عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 393/1، وعبد الجبار، نبيل عبد الحميد، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار دجلة، الأردن، دط، 2009م، ص178.

وعلم الاجتماع من أهم ما يساعد المجتمعات على بناء حضارتها وفق منهج منضبط؛ يدرس العوامل المؤثرة في السلوك الإنساني، ويوجه إلى فهم القضايا الاجتماعية، وكيفية تأثيرها على المجتمعات، ويساعد على فهم أسباب المشكلات الاجتماعية، وتطوير سبل حلها، كما يعين على فهم الثقافات المختلفة؛ لبناء حضارة إسلامية أكثر تسامحًا وتماسكًا، وعدالة وفاعلية¹.

ومن أوائل العلماء المسلمين الذين اهتموا بهذا العلم:

أ. أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت 421هـ)، صاحب كتاب: "تجارب الأمم وتعاقب الهمم"؛ الذي رصد فيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العباسية.

ب. عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ)، أشهر علماء الاجتماع المسلمين، صاحب: "مقدمة ابن خلدون" الشهيرة.

• علم التاريخ:

وهو العلم الذي يوثق أخبار الماضين، ويسجل أحداث أيامهم، ويُوقِفُ على أسبابها، وسياقاتها، وتأثيراتها على الحضارات؛ بهدف الاطلاع على التجارب الإنسانية المختلفة، وفهم السنن الكونية في قيام الحضارات وازدهارها، وتوظيف ذلك في بناء حاضر متقدم، ومستقبل مزدهر، قال ابن فضل الله العمري: "ولولا التاريخ لماتت الدول بموت زعمائها، وخفي

1 انظر: النبالي، عبد الله العبد، علم الاجتماع، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2019م، ص 151.

عن الأواخر حال قدمائها"¹. فإن التاريخ متصل الحلقات مترابط المراحل، يبني اللاحق فيه على عمل السابق، و"لولا أن الجيل الثاني ينتفع بما أنشأه الأول؛ لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه"².

ولأهمية التاريخ في بناء الحضارات؛ اهتمت به كل الكتب السماوية، ومنها القرآن الكريم؛ الذي حث على دراسة تاريخ الأمم والأقوام والحضارات، وقصَّ من أنبيائهم وأخبارهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ [هود: 100]، فأورد قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذكر عددًا من الأمم وحضاراتهم، كحضارة سبأ، وحضارة ذي القرنين.

وقد التقط علماء الحضارة الإسلامية هذه الإشارات القرآنية، فبرز منهم مؤرخون بارعون، ألفوا موسوعات تاريخية ضخمة، وثقوا فيها وقائع التاريخ الإنساني، وأحداث الماضي البشري، ومن أبرزهم:

أ. محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، في كتابه "تاريخ الرسل والملوك"، الذي أورد فيه التاريخ الإنساني من بدء الخلق إلى عصره.

ب. علي بن محمد ابن الأثير (ت 630هـ)، في كتابه "الكامل في التاريخ"، الذي جمع فيه أخبار الملوك والأعيان والعلماء والفضلاء في الشرق والغرب، منذ أول الزمان إلى عصره.

ج. إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، في كتابه "البداية والنهاية"، الذي يعد عملاً موسوعياً ضخماً، أرخ لأحداث بدء الخليقة وما تلاها

1 العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ، 293/12.

2 الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص144.

إلى عصره، إضافة إلى الأحداث المستقبلية الماثورة.

د. عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ)، في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر". وهو من أبرز الدواوين التاريخية، تحدث فيه مؤلفه عن تاريخ الأمم، وما فيه من دروس تفيد الحضارات الإنسانية.

• علم الآثار:

وهو العلم الذي يُعنى بالموروثات المادية المحسوسة التي خلفها الإنسان، واكتسبت قيمتها الأثرية من تراكم الزمن عليها، كالأبنية، والتماثيل، والنقود، وغيرها؛ للتعرف على مسيرة التطور التي سلكتها الحضارة البشرية في عصورها الماضية، واستخلاص قيمها العلمية والثقافية والجمالية.

ولقد اهتم المسلمون عبر عصور الحضارة الإسلامية بالآثار، ومن ذلك ما نقلته لنا كتب التاريخ من عناية ولاة الأمور بها؛ حفظاً وترميمًا، "وما زالت الملوك تُراعي بقاء هذه الآثار، وتمنع من العبث فيها والعبث بها...، وكانوا يفعلون ذلك لمصالح؛ منها: لتبقى تاريخًا يتنبه بها على الأحقاب، ومنها: أنها تكون شاهدة للكتب المنزلة، فإن القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها، ففي رؤيتها خبر الخبر، وتصديق الأثر، ومنها: أنها تدل على شيء من أحوال من سلف، وسيرتهم، وتوافر علومهم، وصفاء فكرهم، وغير ذلك"¹.

1 البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، 1286هـ، ص34.

كما نقلت إلينا كتب التاريخ عناية العلماء بالآثار؛ تدوينًا وتوثيقًا،
ومن أبرزهم:

أ. محمد بن عبد الله الأزرقى (ت 250هـ)، في كتابه المشهور "أخبار مكة
وما جاء فيها من الآثار".

ب. ابن فضل الله العمري (ت 749هـ)، الذي اهتم بآثار مصر، وعجائها،
وحسن صنعتها، في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار".

ج. أحمد بن علي المقرئ (ت 845هـ)، الذي ألف كتابي "المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار"، و"آثار البلاد وأخبار العباد"، وهما من أهم كتب
الآثار، ذكر فيهما كثيرًا من البلدان، ووصف ما فيها من آثار القدماء،
وما تحويه من ذخائر مدفونة¹.

ثالثًا- عناية الحضارة الإسلامية بالعلوم الكونية:

اعتنى العلماء المسلمون عبر تاريخهم الحضاري بالعلوم الكونية عناية
كبيرة، دراسة وتطويرًا، مما أسهم في الرقي بالحضارة الإسلامية، ومن تلك
العلوم:

• علم الفلك:

وهو العلم الذي يهتم بدراسة الأجرام السماوية؛ من نجوم، وكواكب،
ومجرات، وطرق تكونها، وتركيبها، وتطورها، وخصائصها، وحركتها،

1 النذير قوادرية، التعامل مع الآثار في الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية: دراسة
أنموذجية، ص 258-261.

وأبعادها، وعلاقة بعضها ببعض، وما لها من تأثير في الأرض¹.
وكان العرب يسمون علم الفلك بأسماء عدة، أشهرها: "علم الهيئة"،
و"علم الأنواء"، و"علم أحكام النجوم"².

ولعلم الفلك دور كبير في الحضارة الإسلامية؛ إذ هو أحد سبل تقدمها،
وازدهارها، وصلتها بالحضارات الأخرى؛ ذلك أنه يُمكن من فهم الكون
وتطوره ومستقبله، ومعرفة الأوقات والتواريخ، ويعين على تحديد المواقع
ودراسة المناخ.

ولقد اهتم العلماء المسلمون بعلم الفلك، وبحثوا فيه وفق قواعد
علمية خالصة³، خاصة بعد ترجمة كتب الفلك اليونانية إلى اللغة العربية،
فتوصلوا لعدد من الحقائق العلمية، التي لم تكن شائعة آنذاك؛ من مثل:
كروية الأرض، ودورانها.

وكان منطلق اهتمامهم بهذا العلم أمران:

أ. اهتمام القرآن الكريم: فقد ذكر القرآن الكريم عددًا من الأجرام
السماوية، مثل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ^ط
وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 12]،
وأشار إلى حركتها وتعاقيها ومنازلها، قال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي

1 انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 2/1002، ومجموعة من المؤلفين، موجز دائرة
المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1418هـ/1998م، 7397/24.

2 مكتبة الإسكندرية، إسهامات الحضارة العربية والإسلامية في علوم الفلك، من واقع
المخطوطات العلمية بمكتبة الأزهر، ص 8-9.

3 ديورانت، ويليام جيمس ديورانت (ت 1981 م)، قصة الحضارة، (ترجمة: زكي نجيب محمود)،
دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1408هـ/1988م، 183/13.

لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ
سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس: 38-40]، كما نبه إلى ثمراتها
وفوائدها، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: 97].

ب. ارتباط الشعائر الإسلامية بحركة الكواكب: فإن تحديد القبلة
للصلاة، ومعرفة مواقيتها، ودخول شهر رمضان وانقضاؤه، وكذلك
أشهر الحج؛ كل ذلك مرتبط بحركة القمر، قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189].

ومن أبرز علماء الفلك في الحضارة الإسلامية:

- أ. محمد بن جابر البتاني (ت 317هـ)، صاحب كتاب "الزيج"، أي:
الجدول الفلكية، الذي صحح فيه الجداول الفلكية لبطليموس،
وكتاب: "معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك".
- ب. محمد بن أحمد الخوارزمي (ت 387هـ)، أحد مؤسسي علم الفلك،
ومن أهم كتبه: "زيج الخوارزمي"، الذي يضم جداول فلكية دقيقة.
- ج. محمد بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ)، الملقب ببطليموس الثاني،
قدم إسهامات في البصريات تأثر بها علم الفلك.

- د. عمر بن إبراهيم الخيام (ت 515هـ)، عُرف بإصلاحه للتقويم الجلالي¹ الذي كان أكثر دقة من التقويم اليولياني (الرومي)².
- هـ. محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ)، صاحب كتاب: "الاستيعاب في صنعة الإسطرلاب"، الذي وضع فيه نظرية بسيطة لقياس محيط الأرض بدقة لا تختلف كثيراً عن القيمة المعروفة حالياً.

• علم الطب:

وهو العلم الذي يهتم بالأدواء والأمراض والعلل البدنية والنفسية، ويسعى إلى الوقاية منها، وإيجاد أدوية لها، وعلاجات تناسبها.

ويحتل هذا العلم مكانة خاصة في أي حضارة؛ إذ هو المحك الذي يقاس به تقدمها؛ لذا فقد شغل حيزاً كبيراً من اهتمام العلماء المسلمين، استناداً إلى القرآن الكريم، والهدي النبوي القويم، ففي القرآن الكريم دعوة صريحة إلى العناية بالصحة؛ رعاية ووقاية وعلاجاً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: 31]، قال أهل التفسير: "قد جمع الله الطب كله في هذه الآية"³. وكذلك نجد في الهدي النبوي حثاً على الحفاظ على الصحة، كقول النبي ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ

1 هو تقويم شمسي دقيق، تم تطويره في القرن الحادي عشر الميلادي، بأمر من السلطان جلال الدين ملك شاه السلجوقي. انظر: مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 2103/7.

2 وهو التقويم الذي فرضه يوليوس قيصر سنة 46 ق. م، انظر: مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 9268/30.

3 السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، (د.ط)، (د.ت)، 511/1.

إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ"¹، ونجد فيه أيضًا الحُض على سلوك سبل العلاج، كقوله ﷺ: "يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً"².

وقد حوّل المسلمون عبر تاريخهم الحضاري هذه التعاليم الربانية والتوجيهات النبوية إلى واقع عمليّ، فاهتم حُكّامهم وعلمائهم بعلم الطب أيما اهتمام.

أ. فمن اهتمام الحُكّام بعلم الطب:

- بناء مدرّاس طبّيّة، ومن أشهرها: المدرسة الذاخورية في دمشق؛ التي تُعرف أيضًا باسم (البيمارستان الذاخوري)، والتي أسست سنة (565هـ).
- بناء المستشفيات في المجالات الطبية المختلفة؛ الجسدية والنفسية، وكانت هذه المستشفيات تضم مرافق صحيّة، تشمل مأوى العجزة والعميان، ومحطات الإسعاف³، تقول زيفريد هونكة (ت 1999م): "فكل مستشفى بنظامه وكل معمل كيميائي وكل صيدلية وكل مخزن أدوية إنما هو نصب تذكاري للعبقريّة العربيّة"⁴.

1 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 2052/4.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3855، 3/4، الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2038، 383/4.

3 انظر: القفطي، جمال الدين علي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1426هـ / 2005م، ص 150.

4 هونكة، زيفريد، شمس العرب تسطع على الغرب، (ترجمة: فاروق بيضون؛ وكمال دسوقي)، دار الجيل، بيروت؛ ودار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 8، 1993م، ص 334، 335.

• بناء الصيدليات، والعناية بها، ومراقبة أدويتها¹، تقول زغيريد هونكة: "كل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه، وكل حبة من حبوب الدواء؛ إنما هي تذكّار صغير ظاهر يذكّرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ومعلمي بلاد الغرب؛ الطبيب العربيين العظيمين وأستاذي أوروبا ألا وهما الرازي وابن سينا"².

- تعيين موظفين لمتابعة الإجراءات الصحية في الأسواق.
- سنّ التشريعات التي تكفل المحافظة على البيئة من التلوث الممرض. وغيرها من الإجراءات التي تحافظ على صحة الناس وسلامتهم.
- ب. ومن اهتمام العلماء بعلم الطب: أنهم ألّفوا فيه مؤلفات، وأسسوا فيه نظريات، وترجموا الكتب التي اعتنت به من الحضارات الأخرى.

ومن أبرز علماء الطب المسلمين:

أ. سليمان بن حسان، المعروف بابن جليل، (ت بعد: 377هـ)، طبيب قرطبة، صاحب كتاب "طبقات الأطباء والحكماء"، وكتاب "تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس"³.

ب. محمد بن أحمد البيروني (ت 440هـ)، صاحب كتاب "الصيدلة في الطب"، استقصى فيه معرفة ماهيات الأدوية، ومعرفة أسمائها،

1 الدفاع، علي عبد الله، إسهامات علماء العرب في الصيدلة، 1989م، ص142.

2 هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص334، 335.

3 انظر: القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص190، وابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص493.

واختلاف آراء المتقدمين، وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيها، وقد رتبته على حروف المعجم¹.

ج. عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأشبيلي (ت 557هـ)، صاحب كتاب "الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد"².

د. الحسين بن عبد الله بن سينا، الملقب بالرئيس، (ت 428هـ)، برز في الطب "حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون عليه علم الطب"³. له عدة تصانيف في الطب، من أهمها: "القانون"، وهو مرجع مهم من مراجع الطب التاريخية، بقي مُعَوَّلًا عليه في علم الطب وعمله ستة قرون، وترجم إلى لغات كثيرة، وكان يدرّس في مدارس أوروبا زمنًا⁴.

هـ. علي بن أبي الحزم ابن النفيس، (ت 687هـ)، وهو "أعلم أهل عصره بالطب"⁵، من كتبه: "الشامل في الطب"، و"بغية الطالبين وحجة المتطببين"، و"الموجز"، وهو اختصار لقانون ابن سينا.

و. محمد بن زكريا الرازي، (ت 313هـ)، أحد الأئمة في صناعة الطب، له تصانيف كثيرة جدًا في الطب، ومن أهمها: "الحاوي في الطب"، وهو أجلُّ كتبه، ترجم إلى اللاتينية. و"الفصول في الطب"⁶.

1 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 459.

2 انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 517، دندش، عصمت عبد اللطيف، الأندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 441.

3 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 438.

4 الزركلي، خير الزين بن محمود (ت: 1396 هـ)، الأعلام، ط 15، 2002 م، 8 مج، 242/2.

5 السابق، 271/2.

6 السابق، 130-129/6.

• علم الرياضيات:

هو علم يُعنى بدراسة الأعداد، والكميات، والأشكال، والتراكيب، والتغيرات التي تحدث لها، والعلاقات المنطقية بينها، ويشمل: الجبر، والهندسة، والإحصاء، وغيرها.

ولقد اهتمت جميع الحضارات - ومنها الحضارة الإسلامية - بالعلوم الرياضية؛ بوصفها عَصَبَ الحضارة الإنسانية، وإحدى أهم المؤشرات على تطورها، وأبرز الأدلة على تميّزها وتقدمها؛ لأنها تدخل في جل مجالات العلوم؛ من فلك، وفيزياء، وعمارة، وهندسة، وكيمياء، واقتصاد، وغيرها¹.

ومن أهم من أنجبتهم الحضارة الإسلامية من علماء الرياضيات:

أ. محمد بن أحمد الخوارزمي (ت 387هـ)، مؤسس علم الجبر، وصاحب كتاب "المختصر في حساب الجبر والمقابلة"، الذي كان له تأثير كبير على تطوير علم الرياضيات².

ب. محمد بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ)، قال الصفدي: "لم يماثله أحدٌ من أهل زمانه في العلم الرياضي"³. من أبرز كتبه في الرياضيات: "مساحة المجسم المتكافئ" نشر بالألمانية⁴.

1 انظر: الدفاع، علي عبد الله، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، (د.ط.)، (د.ت)، ص51، وعرابي، سمير، علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا عند علماء العرب والمسلمين، دار الكتاب الحديث، 1419هـ/1999م، ص34.

2 انظر: دونالد هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ص37، والدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ص76.

3 الصفدي، الوافي بالوفيات، 321/11.

4 القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص129.

ج. أحمد بن محمد ابن البناء (ت 710هـ)، من كتبه: "المقالات" في الحساب، و"تلخيص أعمال الحساب"¹.

• علم الفيزياء:

ويسمى "علم الطبيعة"، وهو العلم الذي يبحث في خصائص المواد، وطبيعتها، وبنيتها، ومكوناتها، وتفاعلاتها، ويدرس الظواهر الحركية للأجسام، والقوى المؤثرة، كما يدرس سلوك الأشياء تحت التأثيرات المختلفة، بهدف فهم ظواهر الكون الطبيعية وتفسيرها، من خلال التجربة، والملاحظة، والقياس، والتحليل، ومن ثم صياغة مبادئ شاملة لها².

ولقد كان لعلم الفيزياء بتشعباته المختلفة - وما زال - دور أساس في إقامة الحضارات، ومنها الحضارة الإسلامية؛ إذ إن فهم الطبيعة يساعد على الابتكار والاختراع، ومن ثم التطور والتقدم؛ لذا نجد علماء المسلمين قد أولوه عنايتهم، وصرفوا إليه همتهم، مهتدين بالآيات القرآنية الكثيرة، الداعية إلى النظر والتأمل والتحليل، كقول الله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، فكان ممن برز منهم في هذا العلم:

أ. عبد الرحمن الخازني (ت 550هـ)، صاحب كتاب "ميزان الحكمة"؛ الذي يعد موسوعة علمية في علم الميكانيكا (حركة الأجسام أو سكونها تحت تأثير قوى معينة).

ب. هبة الله ابن ملكا البغدادي (ت 560هـ)، صاحب كتاب "المعتبر في

1 الزركلي، الأعلام، 1/221-222.

2 انظر: عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/1759.

الحكمة"؛ الذي تناول فيه عدة قوانين فيزيائية، منها: القانون الثالث من قوانين الحركة، الذي ينص على أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه¹.

ج. محمد بن الحسن بن الهيثم (ت 430هـ)، واضع علم الفيزياء على أسسه العلمية الصحيحة، صاحب كتاب "المناظر" الذي يحتوي على اكتشافات كثيرة في الفيزياء².

• علم الكيمياء:

ويسمى "الإكسير"، وهو العلم الذي يدرس المادة، وخواصها، وبنيتها، وتركيبها، وسلوكها، والتغيرات التي تطرأ عليها، والتفاعلات التي تمر بها لإنتاج مواد جديدة³. وقد ذكر الخوارزمي "أن لفظة الكيمياء أصلها عربي، مشتقة من كي يكمى إذا ستر وأخفى"⁴، ولعل هذا سبب تسمية الرازي كتابيه في الكيمياء، بـ"الأسرار" و"سر الأسرار"، وقال بعض الباحثين: مشتقة من الكم أو الكمية؛ وذلك لأن علماء المسلمين كانوا يقولون: إذا أضفنا كمية من هذه المادة إلى كميتين أو ثلاثة من المادة الثانية؛ نتج كذا⁵.

1 انظر: الدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم، ص129.

2 السابق، ص123-124.

3 انظر: القنوجي، أبجد العلوم، ص456.

4 الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت: 387 هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، (د.ت)، ص277.

5 سليمان، صبحي، الكيمياء الشيقة، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص11.

ولعلم الكيمياء أثر بالغ في الحضارة الإسلامية والإنسانية؛ لأن له مدخلاً في كثير من العلوم؛ كالطب، والصيدلة، والزراعة، كما يعد حجر الزاوية في تطوير عدد من الصناعات والمهن.

ولقد اهتم العلماء في الحضارة الإسلامية بعلم الكيمياء، حتى قال بعض الباحثين: "إنهم هم الذين ابتدعوه بوصفه علماً من العلوم؛ ذلك أنهم أدخلوا إليه الملاحظة الدقيقة، والتجربة العلمية، والعناية برصد نتائجها، بعد أن كان قائماً على الفروض الغامضة"¹.

وكان منطلق اهتمامهم بهذا العلم؛ دعوة القرآن إلى معرفة نشأة الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20]، ومن منطلقاتهم أيضاً: ذكر القرآن الكريم كثيراً من العناصر الكيميائية، كالذرة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61].

ومن أبرز علماء الكيمياء في الحضارة الإسلامية:

- أ. خالد بن يزيد (ت 90هـ)، وهو أول من تكلم في علم الكيمياء، ووضع فيه كتباً، من أهمها: "السر البديع في فك الرمز المنيع"، و"فردوس الحكمة في علم الكيمياء"، و"مقالتا مريانوس الراهب"².
- ب. جابر بن حيان (ت 200هـ)، الملقب بأبي الكيمياء، الذي وضع أسس المنهج التجريبي في علم الكيمياء، حتى صار الكيمياء يعرف في أوروبا بـ (صنعة جابر)³.

1 ديورانت، قصة الحضارة، 187/13.

2 حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1784/2، وابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط7، 1994م، 224/2.

3 انظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، 666/1.

ج. محمد بن زكريا الرازي (ت 313هـ)، من أهم كتبه: "سر الأسرار"؛ الذي اشتمل على معرفة العقاقير، والآلات، والتدابير (التجارب).

وهكذا فقد كان للعلماء المسلمين إسهامات في شتى العلوم، وذلك إيماناً بواجب المشاركة والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، واقتداء بالأنبياء عليهم السلام، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه القيمة - المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية - في فكر الأنبياء عليهم السلام عند الحديث عن قيمة المواطنة.

رابعاً- وفرة المؤلفات عن العلوم في المكتبة الإسلامية:

يصعب حصر المؤلفات التي كان العلم موضوعاً في المكتبة الإسلامية، ولعلّ من أهمّها وأشهرها:

أ. إحصاء العلوم، للفيلسوف أبي نصر الفارابي (260 - 339 هـ، 874 - 950 م)، صنّفه في القرن العاشر الميلادي لإحصاء العلوم المعروفة في عصره، والتعريف بأغراضها في خمسة فصول؛ بهدف إعانة طلاب المعرفة على أن يعرفوا موضوع العلم الذي يريدون أن يتعلّموه، ويبصّرهم بمنفعته والغاية منه، ويمكّنهم من أن يوازنوا بين العلوم ليتبيّنوا أفضلها وأوثقها وأتقنها، وأن يميّزوا بين العالم الحقيقي والعالم المتفهي الذي يدّعي البصر بعلم من تلك العلوم؛ دون أن يضطلع به أو يكون على بينة منه، وقد تُرجم الكتاب إلى اللغة اللاتينية غير مرة إبان القرن الثاني عشر الميلادي¹.

1 الفارابي، محمد أبو نصر (339 هـ)، إحصاء العلوم، تحقيق د. عثمان أمين، مطبعة الاعتماد، مصر، ط2، 1949م، ص 15.

ب. الفهرست لابن النديم، (ت 438 هـ - 1047م)، ألفه محمد بن إسحاق بن النديم الورّاق للتعريف بمختلف الفنون وما صيّف فيها، وقد جود فيه واستوعب استيعاباً يدلُّ على اطلاّعه على فنون من العلم وتحقُّقه لجميع الكتب¹، ولكن لابن حجر العسقلانيّ مأخذ على ابن النديم وكتابه تستحق النظر؛ ذكرها في "لسان الميزان"².

ج. مفاتيح العلوم للخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، (387هـ)، ويبدو من حديث الخوارزمي في مقدّمته أنه اعتمد في هذا التأليف على مراجع شتى لغويّة وفقهيّة وعروضيّة وفلسفيّة، كما رجع إلى ما يجري على ألسنة الكتّبة والمتكلمين وغيرهم مما يكون لللفظ عندهم دلالة خاصة، فهو لم يُشر إلى كتاب بذاته؛ وإنّما أشار إلى هذه المظانّ كلّها. ولقد جعل الخوارزمي كتابه هذا - كما ذكر في المقدمة - مقاليتين: إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربيّة، والثانية لعلوم العجم من ليونيّين وغيرهم من الأمم. وتنظم هاتان المقالتان خمسة عشر باباً، تضمُّ ثلاثة وتسعين فصلاً³.

يقول إبراهيم الأبياري محقق "مفاتيح العلوم": "وما أظن أحداً سبق الخوارزمي إلى هذا الجمع، اللهم إلا إذا استثنينا: علي بن عباس، المتوفى

1. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، 2427/6.

2. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط2، 1390 هـ - 1971 م، 7 مج، 557/6.

3. انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص8.

- سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (384 هـ) الذي ألف في الطب¹.
- أما من جاؤوا بعده ونهجوا مثل هذا النهج أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فهِم:
1. أبو حيان التوحيدى (400هـ)، وله: "المقابسات".
 2. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (421هـ)، وله: "أقسام الحكمة".
 3. ابن سينا، أبو علي حسين بن عبد الله (428هـ)، وله - أيضًا -: "أقسام الحكمة".
 4. أبو بكر بن خير البلوي (559)، وله: "أنموذج العلوم".
 5. نشوان بن سعيد الحميري (573هـ)، وله: "شمس العلوم".
 6. ابن الجوزي (597)، وله: "المدھش".
 7. الفخر الرازي (606هـ)، وله: "حقائق الأنوار".
 8. السكاكي (626هـ)، وله: "مفتاح العلوم".
 9. نصير الدين الطوسي (672هـ)، وله: "أقسام الحكمة".
 10. نجم الدين الحراني (695هـ) وله: "جامع العلوم - أو: جامع الفنون - وسلوة المحزون".

1 وهو علاء الدين علي بن عباس الأهوازي الشيرازي الطبيب الفيلسوف، المعروف بابن المجوسي، المتوفى سنة 384هـ - 994م، وله كتاب "كامل الصناعة الطبية" وهو جامع كامل لكل ما يحتاج إليه المتطبيب، طبع في بولاق سنة 1294هـ. ويعرف كتابه هذا غالبًا بالملكي؛ لأنه وجهه إلى الأمير عضد الدولة بن بويه وقد كان طبيبه. انظر: ادوارد كرنيليوس فاندريك (ت: 1313هـ)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي البلاوي، مطبعة التأليف (البهلال)، مصر، 1313 هـ - 1896 م، ص 217. وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 1380/2.



11. محمد بن محمود الأملّي (753هـ)، وله: "نفائس الفنون".
12. شمس الدين محمد الأنصاري (794هـ)، وله: "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد".
13. الجرجاني علي بن محمد (816هـ)، وله: "التعريفات"، و"رسالة في تقسيم العلوم".
14. شرف الدين إسماعيل بن المقرّي (837هـ)، وله: "عنوان الشرف".
15. محمد شاه فناري (839هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
16. علي بن محمد (875هـ)، وله: "حل الرموز ومفاتيح الكنوز".
17. جلال الدين الدواني (907هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
18. جلال الدين السيوطي (911هـ)، وله: "النقاية".
19. عيسى الصفوي (953هـ)، وله: "أنموذج العلوم الإسلامية واللغوية".
20. طاش كبري زاده (962هـ)، وله: "مفتاح السعادة".
21. أحمد بن عبد الحق (990هـ)، وله: "روضة الفهوم في نظم نقاية العلوم".
22. أفضل الدين محمد (990هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
23. محمد بن علي سباهي زاده (997هـ)، وله: "أنموذج الفنون".
24. القاضي نور الله شوشتری (1019هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
25. إبراهيم الهمداني (1025هـ)، وله: "الأنموذجية".
26. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (1067هـ)، وله: "كشف الظنون".

27. أبو البقاء الكفوي (1094هـ)، وله: "الكليات".
28. أحمد رشيد المغربي (1096هـ)، وله: "تيجان العلوم".
29. محمد حسن الشرواني (1099هـ)، وله: "أنموذج العلوم".
30. محمد باقر (1111هـ)، وله: "بحار الأنوار".
31. ساجقلي زادة المرعشي (1150هـ)، وله: "ترتيب العلوم".
32. التهانوي محمد أعلى بن علي (1158هـ)، وله: "كشاف اصطلاحات الفنون".

ويرى الناظر فيما سبق من المصنفات أنها تصنّف العلوم في زمن أصحابها وترتّبها عامة، أو تصنّف وترتّب ما كُتب في علمٍ واحد خاصةً، يضاف إليها عشرات المصنّفات في المكتبة الإسلامية التي تدور في فلك فضل العلم وشرف أهله وأهم آدابه.

ويرى فيها - كذلك - اهتمام علماء المسلمين بالعلوم النقلية والعقلية، الدينية والدنيوية، ومدى قدرتهم على ابتكار العلوم الجديدة وتطويرها وترتيبها والإسهام فيها، دينيةً كانت كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، ويتبعها علوم اللغة، ورؤاها أمثال: البخاري، والشافعي، والشاطبي، وابن رشد، والفراهيدي، والكسائي، والغزالي...، أو دنيوية: كعلم الاجتماع، والفلسفة، والجبر، والكيمياء، والصيدلة، والأحياء، والآداب...، ورؤاها أمثال: ابن سينا، وابن النفيس، وابن البيطار، وابن طفيل، وابن الهيثم، والجاحظ، والفارابي، والزهرائي، والكندي، والرازي، وابن رشد، وابن خلدون، والخوارزمي، وجابر بن حيّان...، وهذه الغزارة وهذا الأثر إنما يدلّان

على سموّ في الفكر الإسلاميّ، وانفتاحٍ وراقيّ في العقل المسلم، يبيّن مدى قابليّته للتجدّد والتجديد، وقدرته على المعاصرة والتأثير، والجمع والتأليف بين علوم الدنيا والدين، فهما المصطحبان بالطبع المتحابّان بالجوهر، مما يدفع الخلف على اقتفاء أثر من سلف، وكم ترك الأول للآخر!

6. العلم أحد القيم الكبرى في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة:

عطفاً على الدور المحوري للعلم في بناء الحضارة الإسلامية، لا بد من الوقوف على دوره وأهميته في سياسات دولة الإمارات العربية المتحدة في العصر الحاضر، ومكانته المحورية في عملية بناء الدولة العلمية القوية؛ القدرة على مواكبة تحديات المستقبل؛ إذ بذلت الإمارات ولا تزال تبذل - بالرؤية المتبصرة لقيادتها الرشيدة -، جهوداً كبيرة في سبيل تعزيز البحث العلمي والتطور التكنولوجي في مختلف المجالات؛ انطلاقاً من رؤيتها المستقبلية، ففي المحور الثاني من مئوية الإمارات 2071 إشارة واضحة إلى أهمية هذا الجانب التطبيقي في تعليم المستقبل الرامي إلى "تعزيز تدريس العلوم والتكنولوجيا المتقدمة، لا سيما في مجالات الفضاء والهندسة والابتكار والعلوم الطبية والصحية، وترسيخ القيم الأخلاقية والتوجهات الإيجابية، التي تُعَلِّي من مستوى الاحترافية والمهنية في المؤسسات التعليمية، وبناء عقول منفتحة على تجارب الدول المتقدمة، ووضع آليات لاستكشاف المواهب الفردية للطلبة منذ المراحل الدراسية الأولى، وتمكين المدارس لتكون بيئة حاضنة في مجال ريادة الأعمال والابتكار، وتحويل المؤسسات التعليمية في الدولة إلى مراكز بحثية عالمية"¹.

1 انظر: مئوية الإمارات، تعليم للمستقبل.

هذا فضلاً عن استضافتها ورعايتها العديد من المؤتمرات والمعارض الدولية في مجالات العلوم والتكنولوجيا، والتي تسهم في تعزيز التبادل العلمي وتطوير المعرفة في الإمارات وخارجها¹.

ولقد آتت جهود دولة الإمارات العربيّة المتّحدة ثمارها العلمية بشكل ملحوظ؛ إذ بوّأتها المركز الأول عربيّاً، والخامس والعشرين عالميّاً في تقرير التنافسية العالمية لسنة 2019 (باللغة الإنجليزية)، الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي². كما تبوّأت دولة الإمارات المركز الأول إقليميّاً في تقرير مؤشر التنمية البشرية 2024/2023، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، متقدّمة في الترتيب العالمي بتسعة مراكز مقارنة بتصنيفها في التقرير السابق، وحلت في المركز السابع عشر عالميّاً من بين مئة وثلاثة وتسعين دولة شملها التقرير، متقدّمة على دول مثل كندا، والولايات المتحدة الأمريكية، واليابان³.

1 مجموعة من الكتاب، *"Science and echnology in heAE: Building Science Capaciy and Supporing Innovaion"*، منشور في: 2014. Arabian Humanities. وتقدّم هذه الدراسة نظرة شاملة على جهود دولة الإمارات في تطوير العلوم والتكنولوجيا، وكيفية بناء القدرات العلمية ودعم الابتكار.

2 Jamal Al-Khalili وآخرون، *"Science in heAE: Curren Saus and Fuure Prospects"*، منشور في: 2018. Naure Middle Eas. يقدّم هذا المقال تحليلاً شاملاً لحالة العلوم في دولة الإمارات والتطورات المستقبلية المتوقعة، مما يسلط الضوء على الجهود المستمرة لتعزيز البحث العلمي والتقني في المنطقة.

3 انظر: المركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء.

ومن أهمّ المؤسسات الإماراتية البارزة عالميًا في المجال العلمي والتكنولوجي:

• مؤسسة الإمارات للعلوم والتقنية المتقدمة¹:

تعد هذه المؤسسة من أبرز المؤسسات العلمية في الإمارات؛ إذ تقدّم دعمًا قويًا للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي في مجموعة متنوعة من المجالات، بما في ذلك الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات. وتلتزم هذه المؤسسة بتعزيز ثقافة البحث العلمي والابتكار التقني، انسجامًا مع أهداف ورؤية الحكومة الرشيدة المتمحورة حول بناء اقتصاد مستدام قائم على المعرفة؛ لذا بادرت بفتح المجال أمام كل متفوق إماراتي يرغب في خوض هذا المجال، عبر إطلاق منحة "انطلق" المخصّصة لطلبة الثانوية العامة والجامعات المتفوقين في مختلف الاختصاصات الهندسية، مثل: الهندسة الميكانيكية، والكهربائية والإلكترونية، والكيميائية، وهندسة الكمبيوتر، والبرمجيات، والاتصالات، إضافة إلى علوم الفضاء والفيزياء، فكانت النتيجة أنّ 95 % من المهندسين العاملين على تطوير المشاريع التي أطلقها "إياست" هم من خريجي جامعات الدولة.

1 انظر: مدير عام مؤسسة الإمارات للعلوم والتقنية المتقدمة: "إياست" تسعى إلى جعل الإمارات مرجعًا في علوم الفضاء، موقع أرقام.

- 401 -

• مرصد المستقبل¹

تمّ إطلاق هذا المرصد عام 2016، وهو منصة علمية عربية، مختصة في رصد ونشر أحدث المستجدات العالمية يوميًا في مجالات علوم الفضاء والذكاء الاصطناعي والصحة والواقع الافتراضي وغيرها الكثير، من خلال الدراسات، والمقالات البحثية، والرسوم البيانية، والمواد المرئية التفاعلية باللغة العربية المبسّطة. بالإضافة إلى نسخة إنجليزية لهذه المنصة متاحة عبر الموقع الإلكتروني.

• منصة الإمارات للمختبرات العلمية

أطلقت حكومة دولة الإمارات منصة الإمارات للمختبرات العلمية في عام 2018 لتعمل على ربط المختبرات في الدولة بالعلماء والخبراء، وتوفير فرصة للعلماء للوصول بشكل مباشر وسريع إلى أكثر من مئة وخمسين جهاز بحث دقيق موزّع في أرجاء الدولة، بالإضافة إلى معدّات وأجهزة بحثية ذات مستوى عالمي، بهدف تعزيز مجهود البحث العلمي المحلي، ودعم الباحثين والأكاديميين، وتطوير القدرات العلمية والتكنولوجية في دولة الإمارات².

1 انظر: الموقع الرسمي للمرصد.

2 تحفيز التقدم العلمي والتكنولوجي في الدولة، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.



• مركز محمد بن راشد لأبحاث المستقبل¹

يشكّل هذا المركز منصة عالمية صُمِّمت من قبل مؤسسة دبي للمستقبل لخلق التواصل بين العلماء الشباب في دولة الإمارات، وكافة العلماء حول العالم من أجل تبادل المعارف وابتكار فرص جديدة من خلال البحوث العلمية المتقدّمة المتاحة عبر شبكة الإنترنت، واستثمار نتائج البحوث في الارتقاء بجودة الحياة البشرية، وبناء مجتمعات معرفية مزدهرة.

يقدّم مركز محمد بن راشد لأبحاث المستقبل مفهومًا جديدًا للتعاون العلمي من خلال تبني الأبحاث التشاركية بين العلماء ويسعى إلى:

- تحقيق بحوث علمية أسرع بعشر مرات (10X) من البحوث التقليدية.

- خفض تكاليف البحوث بنسبة 70%.

- تسريع عملية البحث العلمي بنسبة 50%.

ويأتي إطلاق هذا المركز دعمًا لتطوير قطاع الصناعات الفضائية والعلوم المتقدّمة في دولة الإمارات، بما يتوافق مع "مئوية الإمارات 2071" التي تهدف إلى أن يكون لدولة الإمارات موقع متميّز في مختلف القطاعات بحلول الذكرى المئة لقيامها، ومما يدعم تطوير هذا القطاع كذلك "مدينة المريخ العلمية" التي أطلقت بعد الاجتماعات السنوية لدولة الإمارات، و"مشروع المريخ 2117" الذي يسعى للإسهام في الوجود البشري على الكوكب الأحمر.

1 محمد بن راشد يطلق مركزًا لأبحاث المستقبل، الموقع الرسمي لمؤسسة دبي للمستقبل.

ولتحقيق الفائدة القصوى واستثمار العقول العلمية المتفوقة يقدم المركز مَنحًا ميسرة لأفضل الباحثين في جميع أنحاء العالم، إسهامًا منه في تسريع وتسهيل عملية التمويل العلمي، ما يتيح للباحثين التركيز على أهمّ تحديات القرن الحادي والعشرين. كذلك يعمل المركز بشكل مفتوح على نشر كافة أبحاثه ونتائجها للمجتمعات الأكاديمية والبحثية حول العالم.

وتأتي جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في تمكين العلوم التجريبية منبثقةً من رؤاها الرامية إلى تمكين الأجيال لبناء دولة علمية قوية؛ بحيث تكون قادرة على مواكبة تحديات المستقبل، وضمان استمرارية التنمية، واستدامة السعادة لعقود طويلة، وذلك انطلاقًا من المعرفة بوصفها المكون الاقتصادي الأهم.

سبل تحصيل العلم:

العلم أغلى ما يعتني الإنسان بتحصيله، وأشرف ما يصرف عمره في نيله، ولقد ذكر العلماء لتحصيل العلم سبلاً نافعة، ولنيله طرقاً ناجعة، منها:

1. الالتحاق بالمؤسسات التعليمية الرسمية:

إن الأصل في طلب العلم هو أخذه عن أهله المتخصصين، فالمعلم يأخذ بيد الطالب، ويبين له بم يبدأ؟ وكيف يتعلم؟ ويشرح له الغامض، ويبين له المشكل، ثم إنه يتعلم منه الأخلاق الحسنة، والآداب النافعة؛ بقوله وسمته، ونطقه وصمته، فعندما أرادت أم الإمام مالك رحمه الله تعليمه قالت له: "اذهب إلى ربيعة؛ فتعلم من أدبه قبل أن تتعلم من علمه"¹.

وإن المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات تمثل بيئة تعليمية مثالية، تضمن لمن يلتحق بها تحصيلاً معرفياً شاملاً ومتكاملاً، يعينه على بناء ذاته، وزيادة معارفه ومعلوماته، واكتساب مهارات حياتية مفيدة، واستكشاف مجالات معرفية جديدة؛ بما توفره من:

- مناهج دراسية غنية علمياً وأمنه فكرياً، معدّة بجرفية عالية، تلائم مستويات الطلاب وتناسب إمكاناتهم، مما يطور مستواهم العلمي، ويثري تحصيلهم المعرفي، ويكسبهم مهارات التفكير النقدي البناء.

1 القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق مجموعة من المحققين، مطبعة فضالة - مدينة المحمدية، المغرب، 8 مج، 1/130.

- وسائل تقنية ومبتكرة وأدوات متطورة، تثري التجربة التعليمية، وتجعل التعليم أكثر سهولة، والمعلومة أسرع وصولاً.
- أساليب تعليمية متنوعة، ما بين التلقين، والمناقشة، والأنشطة المدرسية، وغيرها، مما يرسخ المعلومة لدى الطلاب على اختلاف مداركهم، ويعزز التواصل الفعال لديهم، ويبث روح العمل الجماعي فيهم.
- موارد غنية؛ كالمكتبات، والمختبرات، والأدوات التكنولوجية التي تعزز من تجربة التعلم.
- إضافة إلى ما تحققه من فوائد، من أهمها:
- الحصول على الاعتراف الأكاديمي.
- بناء مستقبل مهني ناجح.
- تنمية روح الإبداع والابتكار.
- الإسهام في حركة البحث العلمي.
- التمكن من المهارات الحياتية.

2. القراءة:

وهي من أهم مداخل العلم، وسبل تحصيله؛ لذا كان أول أمر بطلب العلم أمراً بالقراءة كما سبق من قول الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، فالقراءة تُكسب الثراء العلمي، والتوسع المعرفي، والنضج الفكري، والتجديد المستمر للمعلومات؛ إذ هي في حقيقتها: تجوّل بين عقول

الرجال وأفهامهم، و"لا شيء أطيب من النظر في عقول الرّجال" ¹ كما قيل. ولقد كان العلماء شديدي العناية بالقراءة، عظيمي الاهتمام بها، يقول أحدهم: "غبرتُ أربعينَ عامًا، ما قِلْتُ، ولا بِتُّ، ولا اتكأْتُ؛ إلا والكتابُ موضوعٌ على صدري" ²، ويقول آخر: "ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيتُ كتابًا لم أراه؛ فكأنني وقعت على كنز، ولو قِلْتُ؛ إني طالعت عشرين ألف مجلد؛ كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب" ³.

فالذي يريد تحصيل هذه القيمة؛ يلزم الكتاب في كل أحواله وأحيانه ⁴؛ يقرأ في تخصصه كثيرًا، ويطلع على باقي التخصصات، لا يغفل منها شيئًا؛ ليتسع اطلاعه، ويطول في العلم بآله. وإن من أعظم ما يوسع المدارك ويفتح الأفاق: مطالعة كتب الفلسفة والمنطق، وكتب التاريخ والسّير، وكتب اللغة والأدب، إضافة إلى كتب التخصصات الكونية الطبيعية، فإنها تزيد العلم وتقوي الإيمان.

ومن تأمل حال العلماء في الحضارة الإسلامية وجدّهم يقرؤون في كل فن، ويطالعون في كل علم؛ كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، وعلوم اللغة، وعلم الاجتماع والفلسفة والجبر والكيمياء والصيدلة والأحياء والآداب، فبرع منهم في كل ذلك أعلام، وبرز منهم علماء أفذاذ كما سبق.

1 ابن الجوزي، أبو الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ)، الأذكياء، مكتبة الغزالي، (د. ط)، (د.ت)، ص 6.

2 العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 363/7.

3 ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 454.

4 تيسرت اليوم سبل القراءة وتنوعت وسائلها، فمن لم يتمكن من قراءة الكتاب الورقي؛ فإنه يستعين بالكتب الإلكترونية، التي صارت متيسرة عبر الهواتف الذكية، واللوحات الإلكترونية ونحوها.

وكذلك فليكن طالب العلم في كل زمان، ليخلف من سبقه، فكم ترك الأول للآخر! وإن الله تعالى لم يخصّ بالعلم قومًا دون قوم، ولا وقَّفه على زمن دون زمن، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عبادِهِ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول، وينبّه المُقِلَّ فيه على ما أغفل عنه المكثّر، ويُحييه بمتأخّر يتعقّب قولَ متقدِّم، وتالٍ يعتبر على ماضٍ¹.

ولا تكون قراءة طالب العلم إلّا قراءة نقدية تمحيصية؛ يستشكل فيها ما يطرح الإشكال، ويسأل عما يحتاج السؤال، ليسهم في الحركة العلمية، والتقدم الحضاري.

ولأن القراءة تؤدي إلى تنمية مهارات الطلاب في التفكير التحليلي والنقد والتعبير، وتعزيز قيم التسامح والانفتاح الفكري والثقافي لديهم؛ لما تتيحه من التعرف على أفكار الكتاب والمفكرين والفلاسفة بخلفياتهم المتنوعة وتجاربهم الواسعة في نطاقات ثقافية متعددة؛ أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي مشروع "تحدي القراءة العربي"، وهو أكبر مشروع عربي يعنى بتشجيع القراءة لدى الطلاب في العالم العربي، ويهدف إلى تنمية حب القراءة لدى جيل الأطفال والشباب في العالم العربي، وغرسها عادةً متأصلة في حياتهم تعزز ملكة الفضول وشغف المعرفة لديهم، وتوسع مداركهم، في جو تنافسي يشارك فيه الطلبة من الصف الأول الابتدائي وحتى الصف الثاني عشر من المدارس المشاركة عبر العالم العربي².

1 ابن قُتيبة، عبد الله بن مسلم، إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، تحقيق عبد الله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1403هـ/1983م، ص45.

2 انظر: موقع تحدي القراءة العربي.

3. التفكير والتأمل:

سبق أن الله تعالى فتح للإنسان في القرآن الكريم أبواب علوم الكون والحياة في آيات كثيرة، والتفكير والنظر في الكون والحياة باب من أبواب العلم والمعرفة؛ لذا حث الله تعالى عليه في أكثر من آية، كقوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20].

4. سؤال أهل التخصص:

السؤال من أهم مفاتيح العلوم، قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وقال النبي ﷺ: "إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ [أي: الجهل] السُّؤَالُ"¹. فبالسؤال تفتح مغاليق العلم، وتتضح غوامضه، وتزول إشكالاته، روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: "العلم قفل مفتاحه السؤال"²، وقيل: "العلم خزان، وتفتحها المسألة"³؛ فالتماس العلم لا بد فيه من سؤال أهله، قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم نلت هذا العلم؟ قال: "بلسان سؤال، وقلب عقول"⁴.

1 انظر: أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 336، 93/1.

2 ابن المعتز، عبد الله بن محمد، البديع في البديع، دار الجيل، 1410هـ/1990م، ص78.

3 مروي عن علي، وعن ابن شهاب، انظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي، أو سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، 1412هـ/2000م، رقم الحديث: 556، 1/211، وابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، رقم الحديث: 535، 380/1.

4 الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص70، وابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1988م، 8/329.

صاحب التخصص في كل فن هو الأهل لأن يُسأل فيفيد، أما غير المتخصص فإما ألا يجيب؛ لأنه لا يعلم، أو يجيب من دون علم فيزِلَّ ويُزَلَّ، وقد قيل: "إذا تكلم المرء في غير فنِّه؛ أتى بالعجائب!"¹.

5. الاستفادة من التقنيات الحديثة:

تُقدِّم الوسائل التقنية الحديثة إمكانيات هائلة، تساعد الطالب في الاستزادة من العلوم والمعارف، وتعيّنه في رحلة البحث العلمي، إن هو استخدمها بحكمة، واستثمرها بعقلانية، دون إفراط فيها، أو تسليم تام لها. ومن أهم الروافد التقنية المتاحة لتحقيق ذلك:

6. المنصات التعليمية الإلكترونية:

فإنها تمثل بيئة تعليمية خصبة، يمكن الرجوع إليها، والاستفادة منها، في توسيع المعرفة، والانفتاح على علوم جديدة، وقد أدخلت وزارة التربية والتعليم في الإمارات على بوابتها للتعليم الذكي (13) منصة تعليمية عالمية، تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتمتاز بخصائص تربوية متقدمة، وقادرة على التعرف على مختلف مستويات طلبة المدارس الإماراتية؛ والتكيف مع احتياجاتهم التعليمية والتربوية².

• التطبيقات التعليمية:

لا تخفى أهمية التطبيقات الإلكترونية التعليمية في إثراء المخزون العلمي للطلاب؛ سواء منها:

1 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 584/3.

2 انظر: "التربية تعتمد 13 منصة إلكترونية لدعم التعلم عن بعد"، موقع الإمارات اليوم.

- أ. الألعاب التعليمية، التي تستهوي الطلاب، وتستأثر باهتمامهم، لما تحقق لهم من متعة أثناء العملية التعليمية.
- ب. أو الكتب الإلكترونية التي تتنافس في جذب الطلاب، بما تنهجه من طرق تعليمية ممتعة وأخاذة.

• الفيديوهات التعليمية:

يتوفر على منصة يوتيوب قنوات تعليمية عدة، تقدم معرفة سهلة وجاهزة، وبطرق حديثة وشيقة، من خلال المحاضرات والدورات في مختلف مجالات المعرفة، مما يتيح للطلاب تنمية معارفهم ومهاراتهم بأقصى قدر ممكن.

• المكتبات الإلكترونية:

التي تعد أفضل بديل للمكتبات الورقية، لما تتمتع به من سهولة في الوصول إليها، ويسر في البحث عن المعلومة فيها، من خلال الأجهزة الذكية.

• محركات البحث والذكاء الاصطناعي:

يمكن أخذ المعرفة عن طريق البحث في محركات البحث أو مواقع وتطبيقات الذكاء الاصطناعي، مثل: (ChatGPT) وغيره، فهي طرق مفيدة لمن أحسن استخدامها، وعرف كيفية استثمارها، وكان قادرًا على تمييز الصحيح من مخرجاتها، ومتسلحًا بالهوية الفكرية السليمة التي تحميه من الانسياق وراء ما قد تحمله من أفكار خاطئة ومتطرفة.

معينات تحصيل العلم:

إن ارتباط العلم بالقيَم هو ارتباطٌ وثيق، وقد وُحِّدَ "سقراط" بين المعرفة والفضيلة لما بينهما من ارتباطٍ حتميٍّ ضروريٍّ، ولا غنى للمشتغل بالعلوم في الثقافة الإسلامية عن القيم والأخلاق الضابطة والمهارات المعينة، ومن أبرزها:

1. الالتزام بأخلاقه، ومنها:

• الأمانة العلمية:

فيتحرى طالب العلم ومحبه الدقة والأمانة في النقل، وعزو الأقوال والآراء إلى أصحابها، ولا ينقل عن عالم أو من مصدر ثم يُغفل ذكره عمداً، بل يحرص على نسبة كل قول إلى صاحبه، وإضافة كل نقلٍ إلى مصدره. وسيأتي حديث مفصل عن قيمة "الأمانة العلمية".

• ضبط النوايا والمقاصد:

فيكون تحصيل العلم بنية إدراك الحقائق، ودعم التنمية المعرفية الذاتية والمجتمعية، والإسهام في حل الإشكالات وعلاج المشكلات الحالية والمستقبلية، ودفع عجلة التقدم الحضاري....، وأي نية أخرى تحمل معاني الخير والنفع على مستوى الفرد والمجتمع والدول، وبقدر ما تعظم النية يعظم الثواب، وفي الحديث: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ

مَا نَوَى"¹، وبالمقابل: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ"².

وفي الحديث: "أَنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ....، فيقولُ اللَّهُ للمقارئ: أَلَمْ أُعَلِّمَكُمَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قال: بلى، يا ربِّ، قال: فماذا عملتَ فيما علمت؟ قال: كنتُ أقومُ به آناء الليل وآناء النهار، فيقولُ اللَّهُ له: كَذَبْتَ، وتقولُ له الملائكةُ: كَذَبْتَ، ويقولُ اللَّهُ له: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ..."³.

2. الجدُّ في طلب العلم:

فالكَمالات والنجاحات لا يتوصل إليها إلا بالمعاناة، ولا يوقف عليها إلا بالتفقد والمراعاة، ولا يبلغها إلا من تسهلت عليه المشاق، وهانت عليه الملاذِّ، والنعيم لا يدرك بالنعيم، وكَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

وَإِذَا كَانَتْ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامُ⁴

قال يحيى بن أبي كثير: (لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ)⁵. هذا الأثر

1 انظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1، 6/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1907، 3/ 1515.

2 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2654، 32/5.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1905، 1513/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2382، 591/4، واللفظ له.

4 الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص318.

5 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 612، 428/1.

أُخرجَه الإمام مسلم في صحيحه، وأثبتَه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس، وفي وضعه ههنا فائدة، قال القاضي عياض: فكثيرٌ مَنْ يَسأل عن ذكره هذا الخبر في هذا الموضع وليس منه، ولا هو من حديث النبي ﷺ، ولا من شرط الكتاب؟! فقال لنا بعض شيوخنا: إن مسلماً - رحمه الله - أعجبه ما ذُكر في الباب، وعرف مقدار ما تعب في تحصيله وجمعه من ذلك؛ فأدخل بينها الخبر تنبيهاً على هذا، وأنه لم يحصل ما ذُكر إلا بعد مشقة وتعبٍ في الطلب، وهو بين، والله أعلم¹.

3. التوثُّق والتدقيق والتمحيص:

فلا يَسْتعجل في النقل والعزو وإصدار الأحكام، بل انظر إلى ما كُتِبَ قبلَه بعين النقد والفحص والتمحيص، ويُعلِّق ويدقِّق ويحقِّق، ويتحرَّى الفهم، وفي التنزيل: ﴿فَقَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ [الأنبياء: 79]، فلا يكون مجرد ناقل، ولا يسلِّم عقله وفكره لغيره؛ ففي الحديث: "بئسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: (زَعَمُوا)"².

4. الصبر والاحتمال:

فالعلم يحتاج إلى الصبر والمصابرة، وهذا التوثُّق والتدقيق المذكور آنفًا لا ينفك عن الصبر على العلم إلى بلوغ الحق، ولربَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يُصلَحَ تصحيحًا، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرِّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص؛ حتى يردَّه إلى موضعه من اتِّصال الكلام³.

1 القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، 578/2.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4972، 294/4.

3 انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى (ت: 255هـ)، كتاب الحيوان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 1424 هـ، 55/1.

وَمِنْ أَظْهَرِ الْأَمْثَلَةِ فِي ذَلِكَ قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ١٦ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، أي: إنك إذا أردت الصبر لما استطعت؛ لأن ما يُجريه الله على يدي من الأمور يجعلك تُسارع إلى الاعتراض عليه، لخفاء حكمته عليك ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، أي: وكيف تصبر على مصاحبتي وأنت ترى من أمور المخالفة لشريعتك ما لم تُحِط بأسراره علمًا؟! ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ ضابطًا لنفسي حين أرى ما يقتضي الإنكار، ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 66-69]¹.

ومع ذلك الصبر والاحتمال يجدر أن لا يحمل طالب العلم نفسه منه فوق طاقتها؛ كي لا تسأم وتمل، فربما نفرت نفرة لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصداً. وكل إنسان أبصر بنفسه².

5. التدرُّج في الطلب:

وذلك بالانتقال من مرحلة في العلم أسهل، إلى مرحلة سهلة، ثم إلى الصعب منه؛ شيئاً فشيئاً، فلا يحاول المرء تلقي العلوم كلها مرة؛ لأن ذلك مما يشق على الطالب فيضجرو وينقطع عن التعلم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الخلق الرفيع في الطلب في قول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّكُنْ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، فقد قيل

1 مجمع البحوث، التفسير الوسيط، 1072/6.

2 ابن جماعة، بدر الدين ابن أبي إسحاق الكنانى (ت 733هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق محمد هاشم الندوى، دائرة المعارف، لبنان، 1354هـ، ص 27-28.

في تفسير "الرباني: هُوَ الَّذِي رُبِّيَ بصغار العلم حَتَّى بلغ كبارَه"¹، وقيل: "من طلب العلم جملة؛ فاته جملة"². وقيل: "ولا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويُحكم حفظه ويتقنه"³.

ومن أخلاق المتعلم: "أَلَّا يخوض في فن من فنون العلم دفعة؛ بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم... وأَلَّا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج... وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقِّي إلى ما هو فوقه"⁴.

6. الاستمرار وعدم الانقطاع:

إن قيمة العلم جديرة أن تلازم المرء طوال حياته، لا ينقطع عنها إلا بالموت، فقد أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام - بعلو منزلته - بطلب العلم من العبد الصالح، قال العلماء: يستفاد منه "أنه يجب على العالم الرغبة في التزيد من العلم، والحرص عليه، ولا يقنع بما عنده، كما فعل موسى ولم يكتف بعلمه"⁵. ولا يظن المرء - مهما بلغ - أنه وصل مرحلة لم يَعد معها مطالبًا بالاستزادة من العلم، بل "أفضل الأشياء التزيد من العلم،

1 السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1418هـ/1997م، 336/1.

2 الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1444هـ، 232/1.

3 السابق، 231/1.

4 الغزالي، إحياء علوم الدين، 52/1.

5 ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، 160/1.

فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً؛ استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعاً له من الاستفادة، والمذاكرة تبين له خطأه"¹، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

7. احترام التخصص:

لقول الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83].

ومن لوازم هذا الأدب: الاستفادة من خبرات الآخرين ونتائجهم، واستشارتهم والصدور عن آرائهم في ما لا يحيط به من تخصصاتهم، وعدم خوض الإنسان فيما لا يحسن ويتقن من الفنون والتخصصات، فإذا تكلم المرء في غير فنّه أتى بالعجائب²، بل ربما وقع وأوقع في العظائم والمصائب، مثال ذلك حديث جابر قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مَعَنَا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمُمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: "قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ- أَوْ يَعْصِبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ"³.

1 ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص127.

2 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 584/3.

3 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 336، 93/1.

8. الأدب مع أهل العلم:

قيل: (لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل)¹، فمن أخلاق طالب العلم الأدب مع أهل الفن الذي يبحث فيه والعلم الذي يطالع مسائله، وإذا حكى خلافاً أو بين خطأ أو رجح رأياً تأدّب بأدب الطالب، وعرف أقدار الرجال وعظماء العلوم، وراعى حُرمة أهل العلم الذين رَفَعَهُم الله به، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وفي الحديث: "ليس من أمتي من لم يُجَلِّ كبيرنا، ويَرَحِّمَ صغيرنا، ويعرف لعالمنا"². أي: حقّه، ومعرفة حقّ العالم هو حقّ العلم بأن يعرف قدره بما رَفَعَ الله من قدره، فيعرف له درجته التي رَفَعَ الله له بما آتاه من العلم³.

وروي أن زيد بن ثابت صلى على جنازة ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال له زيد: خلّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ! فقال ابن عباس: (هكذا يُفَعَّل بالعلماء والكُبراء)⁴. وفي رواية: (هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا)⁵.

1 من قول علي بن أبي طالب ، كما أورده الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص 67 ، ولم نقف عليه عند غير الماوردي.

2 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 22755، 416/37.

3 المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 389/5.

4 انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 514/1.

5 المناوي، فيض القدير، 382/5.

ومن ضرورات هذا الأدب: تقدير حق الخطأ، وفي الحديث: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"¹، فالخطأ من لوازم الأدمي، لا يخرج عنه إلا من عصمه الله، ولا نعلم أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أعطى أحداً من الْبَشَرِ مَوْثِقاً من الْغَلَطِ، وأماناً من الْخَطَأِ، فيستكفَّ له منها؛ بل وَصَلَ عبادَه بِالْعَجْزِ، وَقَرَنَهُم بِالْحَاجَةِ، ووصفهم بِالضَّعْفِ وَالْعَجَلَةِ، فقال: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: 37]، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]، فقد يتعثر في الرأي جَلَّةُ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُبَرِّزُونَ، والخائفون لله الْخَاشِعُونَ²، فيأتي اللاحق بعد السَّابِقِ في ميدان العلم ويعرض ما ظَهَرَ له من هفواتهم بِأَدَبٍ جَمٍّ، ويلتمس لهم العذر والتبرير ما استطاع، فلعلَّ الْإِنْسَانَ يُبْصِرَ الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وينسى الْجَذْعَ فِي عَيْنِهِ!

يقول الْأَخْنَفُ بن قيس: الْكَامِلُ من عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ³، ويقول إسماعيل بن يحيى المزني: لو عورض كتابٌ سبعين مرة لَوُجِدَ فيه خطأ، أبا الله أن يكون كتابٌ صحيحاً غير كتابه!⁴

ثم إن وجود الغلط في الكتاب لا يعني لزوم خطأ صاحبه، قال الجاحظ: (ولا يزال الْكِتَابُ تتداوله الأيدي الجانية، والأعراض المفسدة؛ حتَّى يصير غلطاً

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2499، 659/4، وابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 13049، 344/20.

2 ابن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي، إِصْلَاحُ غُلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، ص 42، 45.

3 الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463 هـ)، موضح أوهام الجمع والتفريق، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعي، دار المعرفة - بيروت، 2 مج، 13/1.

4 السابق، 14/1.

صرفاً، وكذباً مصمماً، فما ظنُّكم بكتاب تتعاقبهُ المترجمون بالإنفساد، وتعاوُرُهُ الخطّاط بشرٍّ من ذلك أو بمثله، كتاب متقادم الميلاَد، دهريّ الصنعة؟!¹.

9. العمل بمقتضى العلم:

فإن العمل مما يرسخ العلم، ويبارك فيه، وينفع به؛ إذ العلم شجرةٌ والعملُ ثمرةٌ، وليس يُعدَّ عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً، وقيل: العلم والدُّ والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدِّراية، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "هتف العلم بالعمل، فإن أجابه؛ وإلا ارتحل!"².

فالعمل من مقتضيات العلم، وسبيل من سبل نمائه وزيادته، قال عمر بن عبد العزيز: إنما قصّر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرُنا في العمل بما علّمنا، ولو عملنا ببعض ما علّمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282]³.

ولا يأنس المرء بالعمل ما دام مستوحشاً من العلم، ولا يأنس بالعلم ما كان مقصراً في العمل، ولكن يجمع بينهما وإن قلَّ نصيبه منهما، وما شيءٌ أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقتِه، وجاهلٍ أخذ الناسُ بجهله لنظرهم إلى عبادتِه، والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجى في العاقبة، إذا تفضّل الله بالرحمة، وتمم على عبده النِّعمة⁴.

1 انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، 55/1.

2 ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق المهدي عيد الرواضية، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن - إنجلترا، 1438هـ/2016م، 12 مج، 142/8.

3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 364/13.

4 الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: 463 هـ)، اقتضاء العلم بالعمل، دار الإمام مسلم، الرياض، 1422هـ-2002م، ص14.

فكل من تعلم علماً وجب عليه تنزيله على واقعه، وتحقيق التنمية والتطوير الذاتي والمجتمعي به، كما كان العلماء السابقون عبر تاريخ الحضارة الإسلامية، فمنهم الطبيب الذي خدم دينه ووطنه بطبه، ومنهم الكيميائي والفيزيائي والمتضلع في علوم الفلسفة والمنطق، وكلهم عملوا بما تعلموا، ونفعوا أوطانهم ومجتمعاتهم والعالم بما أخذوا، وقد تقدم ذكر نماذج منهم فيما سبق.

10. التعليم بعد التعلم:

إن الإنفاق من كل شيء ينقص منه ويُقْلَهُ؛ إلا الإنفاق من العلم فإنه يزيده وينميه، ويكون الإنفاق من العلم بتعليمه تلقيناً أو تأليفاً، ولقد أوجب الله سبحانه على كلِّ مَنْ عِلِمَ شيئاً من الخير أَنْ يُظْهِرَهُ وَيَنْشُرَهُ، وجعل ذلك زكاة العلم، كما جَعَلَ الصَّدَقَةَ زكاة المال¹. يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]، وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً"²، وكذلك الأمر في كل علم نافع ومفيد؛ إذا نُشِرَ بالتعليم أو التأليف؛ نما وزاد، وعمَّ نفعه، وكثر خيره، وإن "الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف - مع تمام الفضيلة، وكمال الأهلية - يُطْلَعُ على حقائق الفنون، ودقائق العلوم؛ للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة، والتنقيب والمراجعة، وهو يثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر، وجزيل الأجر، ويخلده إلى آخر الدهر"³.

1 ابن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي، إِصْلَاحُ غُلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، ص 45.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 3461، 4/ 170.

3 ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص 29-30.

ختاماً:

العلم قيمة إنسانية وإسلامية سامية، ومنه اشتُقَّ اسمٌ من أسماء الله تعالى، وصفةٌ من صفاته، وبه أرسل رسله، وأنزل كتبه، وجعل النبي ﷺ العلمَ علامةً على الخير، فقال: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"¹. ومن بركة العلم النية قبله، والعزم معه، والأدب مع أهله، والعمل به بعده، ونقله إلى مَنْ لا يعلمه.

ويمكن أن نتناول تحت قيمة العلم المركزية جملةً من القيم الفرعية التي تندرج تحتها، وهي:

- الاجتهاد والتفكير والتفكير.
- الصدق.
- الأمانة العلمية.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 71، 25/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1037، 2/ 719.

الاجتهاد والتفكير والتفكير

مقدمة:

الاجتهاد قيمة عظيمة من القيم التي بها يُنال العلم، وتدرّك أعماقه، وتسبّر أغواره، سواء كان ذلك الاجتهاد في طلب العلوم والمعارف، أم كان اجتهادًا في العلوم ذاتها؛ استنباطًا واستنتاجًا، وتحليلًا واكتشافًا، فذلك يمكن الإنسان من الارتقاء بعقله، وتوسيع مداركه، وإثراء فكره، ونيل الرفعة في الدنيا والآخرة.

والتفكير والتفكير وسيلتان يستخدمهما الإنسان للاجتهاد في تحصيل العلم والمعرفة، فالفكرة: قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير: جَوْلان تلك القوّة بحسبِ نظر العقل¹.

ولأهمية التفكير والاجتهاد في تحصيل العلم وبالح نفعها حثَّ الله تعالى عليهما في كثيرٍ من الآيات القرآنية؛ فقال تعالى له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21]، فمن خلال التفكير والتفكير يستثمر الإنسان قدراته العقلية، وملكاته الإدراكية، للتدبر في كلام ربه، والتأمل في معالم خلقه؛ فيزيد إيمانه، ويتعمق فهمه، وينمو إدراكه، ويرتقي بعلمه، فيصل إلى نتائج صحيحة، وحلول مفيدة، وإبداعات فريدة؛ ويكون ذلك بالصبر والمثابرة، والجد والاجتهاد، والدأب والاستمرار، وهكذا كلُّ رفعة في الدنيا لا تُنال بغير ذلك، يقول الشاعر:

1 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 643، (فكر).

وما نيلُ المطالبِ بالتميّ
ولكنْ تُؤخِّدُ الدُّنيا غلابا
وما استعصى على قَوْمٍ مَنالٌ
إذا الإقدامُ كانَ لهم ركابا¹

تعريف الاجتهاد والتفكير والتفكير:

أ. تعريف الاجتهاد:

أولاً: في اللغة:

الاجتهادُ في اللغةِ مصدرُ الفعل "اجتَهَدَ"، ويعودُ إلى الجذر اللغوي "جَهَدَ"، الذي يأتي بمعانٍ، منها:

1. المَشَقَّةُ: "الجِئْمُ والهَاءُ والدَّالُ أصلُهُ المَشَقَّةُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه ما يُقَارِبُهُ، يُقال: جَهَدْتُ نَفْسِي وأَجْهَدْتُ"²، يُقال: جَهَدْتُ رأيي وأَجْهَدْتُه: أَتَعَبْتُهُ بالفِكر"³.

2. الطَّاقَةُ: "والجُهدُ الطَّاقَةُ، قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 79]"⁴، فمعنى "الجُهدُ في هَذِهِ الآيةِ: الطَّاقَةُ؛ تَقُولُ:

1 قبش، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، 47/2.

2 ابن فارس، مقاييس اللغة، 486/1، (جهد)، وانظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، (جهد)، وابن منظور، لسان العرب، 133/3، (جهد).

3 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص208، (جهد).

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، 486/1، (جهد)، وانظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، (جهد)، وابن منظور، لسان العرب، 133/3، (جهد).

هَذَا جُهْدِي، أَي: طَاقَتِي"¹، وَقِيلَ: "الْجَهْدُ (بِالْفَتْح) الْمَشَقَّةُ، وَالْجُهْدُ (بِالضَّم) الطَّاقَةُ"².

3. بَذَلَ الْوُسْعَ وَالْغَايَةَ: "وَمِنْهُ قَوْلُكَ: اجْهَدْ جَهْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَي: ابْلُغْ غَايَتَكَ"³، و"الْجَهْدُ الْغَايَةُ"⁴، وَمِنْهُ: "بَلَّغْتُ بِهِ الْجَهْدَ، أَي: الْغَايَةَ"⁵، "وَالْاجْتِهَادُ بَذْلُ الْوُسْعِ فِي طَلَبِ الْأَمْرِ"⁶.

4. الْمُبَالَغَةُ فِي الْجِدِّ: تَقُولُ: "جَهَدَ الرَّجُلُ فِي كَذَا، أَي: جَدَّ فِيهِ وَبَالَغَ"⁷.

ثَانِيًا: فِي الْإِصْطِلَاحِ:

الاجتهادُ فِي الْإِصْطِلَاحِ يَتَوَافَقُ مَعَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ، فَقَدْ قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ أَنَّهُ: "أَخَذَ النَّفْسَ بِبَذْلِ الطَّاقَةِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَقَّةِ"⁸.
وَقِيلَ: "الْاجْتِهَادُ: بَذْلُ الْوُسْعِ فِي طَلَبِ الْأَمْرِ"⁹.

1 ابن منظور، لسان العرب، 134/3، (جهد).

2 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، (جهد)، وابن منظور، لسان العرب، 133/3، (جهد).

3 السابق.

4 ابن منظور، لسان العرب، 133/3، (جهد).

5 السابق.

6 السابق، وانظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 461/2، (جهد).

7 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 460/2، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، 134/3، (جهد).

8 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص208، (جهد).

9 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 319/1، (جهد).

وقيل: هو "بذلُ الوسع في بُلوغِ الغرض"¹.

ف نجدُ تعاريف العلماء الاصطلاحية تتَّفِق على أن الاجتهاد بذلٌ للوسع والطاقة، وتحمُّلٌ للمشقة، وهو ما قرَّره علماء اللغة كما سبق.

ب. تعريف التفكُّر والتفكير:

أولاً- في اللغة:

يعودُ التفكُّرُ والتفكيرُ في اللغة إلى الجذر اللغوي "فَكَرَ"، الذي يعني:

1. تَرَدَّدُ القلبِ في الشيء: "الفاءُ والكافُ والراءُ: تَرَدَّدُ القلبِ في الشيء،

يُقال: تَفَكَّرَ، إذا رَدَّدَ قلبه مُعْتَبِرًا، وَرَجُلٌ فَكَّيرٌ: كثيرُ الفِكرِ"².

2. إعمال العقل في الشيء: "الفِكرُ والفِكرُ: إعمالُ الخاطرِ في الشيء"³.

و"فكر في الأمر فكذا: أعملُ العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم؛ ليصل به إلى مَجْهُول... فَكَّرَ في الأمر مُبَالَغَةً في فَكَّرَ، والتفكيرُ إعمالُ العقل في مشكلةٍ للتوصُّلِ إلى حلِّها، والفِكرُ إعمالُ العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مَجْهُول"⁴.

1 الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت: 478هـ)، الورقات، تحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد، (د.ط.)، (د.ت.)، ص31.

2 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 4/446، (فَكَرَ).

3 ابن منظور، لسان العرب، 5/65، (فَكَرَ)، وانظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 458، (فَكَرَ).

4 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 2/698، (فَكَرَ).

3. التأمُّل: "التَفَكُّرُ يأتي بمعنى التأمل، والاسمُ الفِكْرُ والفِكرَةُ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح"¹.

ثانيًا- في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتفكير عامةً عن المعاني اللغوية السابقة؛
فقال: "الفكرُ: ترتيبُ أمورٍ معلومةٍ للتأدي إلى مجهول"².
وقيل: "تصرُّف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب"³.
وقيل: "عمل عقلي عام يشمل التصوُّر والتذكُّر والتخيُّل والتقييم والتأمُّل، ويطلق على كل نشاط عقلي"⁴.
ويمكن القول بناء على ما سبق من المعاني اللغوية والاصطلاحية: إن التفكير وسيلةٌ للوصول إلى المجهول؛ عن طريق التفكير في المعلوم، وإعمال العقل فيه.

ولا بد من الإشارة إلى أنه ثمة ارتباط وثيق بين التفكير والتفكير، فالتفكير من أعمال القلب التي تثمر فهمًا في العقل، والتفكير من أعمال العقل الذي

1 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 783/2، (فكر)، والرازي، مختار الصحاح، ص 242، (فكر).

2 الجرجاني، التعريفات، ص 168.

3 المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (ت: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق بو محمد جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، 2010م، ص 104.

4 وجدي، محمد فريد (ت: 1373هـ)، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، 1971م، 10 مج، 358/7.

يثمر نورًا في القلب، كما أن كثرة التفكر تنمي ملكة التفكير السليم، والنظر السديد، والتصور الصحيح؛ فيثمر ذلك في سلوك الإنسان وعمله؛ وما السلوك إلا ثمرة من ثمار التفكير.

أهمية الاجتهاد والتفكر والتفكير:

للاجتهاد والتفكر والتفكير أهمية بالغة؛ إذ يوظف الإنسان من خلالهما جهده وعقله للنظر والبحث حتى يصل إلى حقائق الأشياء، وإدراك كنهها، واكتشاف ماهيتها، وتتجلى أهميتهما في جوانب عدة، من أبرزها:

1. الاجتهاد والتفكر طاعة لله تعالى وسبيل إلى معرفته:

أمر الله تعالى بالاجتهاد في طلب العلم، والاستزادة منه، فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، ورفع مكانة العلماء، وقرّهم باسمه وبملائكته، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، وفي هذه الآية دليل على فضل الاجتهاد في طلب العلم وشرف العلماء وفضلهم¹.

وبالتفكر والتفكير يعرف العبد ربه تعالى، ويهتدي إلى الإيقان ببديع خلقه، ومحكم صنعته، فيزداد إيمانه به، وتعظم معرفته بأسمائه وصفاته، ويقوى يقينه بقدرته جل جلاله، فيردد بلسانه وقلبه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ﴾ [آل عمران: 191]، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 191]، فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون

1 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 41/4.

بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا مَنْ ليس كمثله شيء، وَمَنْ هو مالكُ كُلِّ شيءٍ ورازقُه، وخالقُ كُلِّ شيءٍ ومدبِّرُه، وَمَنْ هو على كل شيءٍ قدير، وبيده الإغناء والإفقار، والإعزازُ والإذلال، والإحياءُ والإماتة، والشقاء والسعادة¹. فالتفكر في خلق السماوات والأرض وما أبدعَ فيهما؛ يَدُلُّهُمْ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ، وَيَعْرِفُوا أَنَّ لَهَا صَانِعًا قَادِرًا مُدَبِّرًا حَكِيمًا² عَلِيمًا رَحِيمًا.

فالتفكر طاعةٌ وعبادةٌ من أعظم العبادات، وقد روي: "تفكر ساعة خير من قيام ليلة"³، وسئلت أم الدرداء رضي الله عنها: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت: "التفكر والاعتبار"⁴.

2. الاجتهاد والتفكير والتفكر في القرآن الكريم وسيلة قوية لتعميق فهمه:

الاجتهاد والتفكر في القرآن الكريم وسيلة قوية لتعميق فهمه وإدراك مضامينه، وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعًا، حثَّ اللهُ تعالى فيها الإنسان على التفكير والتفكير، و"التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، وبينت هذه الآيات أنه ما من رسولٍ أرسله الله تعالى إلا دعا قومه إلى إعمال عقولهم، وإطلاق تفكيرهم، فقال إبراهيم عليه السلام لقومه:

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 309/6.

2 البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 556/1.

3 من قول أبي الدرداء، انظر: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، الزهد، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1420 هـ - 1999 م، ص 114.

4 وكيع، وكيع بن الجراح (ت: 197هـ)، الزهد، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1404 هـ - 1984 م، ص 474.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 67]. ودعا موسى عليه السلام إلى التفكير في نظام الكون فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28]. وقال تعالى: ﴿كِتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]، ومن خلال الاجتهاد والتأمل والتدبر والتفكير والتبصر في آياته يقتبس المؤمن من شعاع نوره وهدايته، ويزداد إيمانه، وينهل من معين حكمته، وعلومه ومعارفه، وقيمه وأخلاقه، ويفيد من أمثاله وعبره، فيكون له بالغ الأثر في استقامة نفسه وحياته.

ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره¹.

3. اهتمّ النبي ﷺ بالاجتهاد في طلب العلم، وبالتفكير والتفكير لزيادة العلم:

حثّ النبي ﷺ على الاجتهاد في طلب العلم، ورَتَّبَ على سلوك سبيله الأجر العظيم والخير الكبير، فعن كثير بن قيس، قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، إني جئت من مدينة الرسول ﷺ لحديثٍ بَلَغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رِضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له مَنْ في السموات وَمَنْ في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة

1 الغزالي، إحياء علوم الدين، 4/423.

البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً؛ ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر"¹.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] إشارة مهمة إلى علاقة التفكر والتدبر في القرآن وآياته بازدياد العلم؛ إذ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ يا محمد ﴿بِالْقُرْآنِ﴾ فتقرئه أصحابك، أو تقرئه عليهم، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، أي: من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، ولا تتلّه على أحد، ولا تُملِّه عليه حتى نبيّنه لك²، وكان عليه السلام يحرص على أخذ القرآن من جبريل عليه السلام؛ فيعجل بقراءته قبل استتمام جبريل مخافة النسيان، ف قيل له: لا تعجل إلى أن يستتم وحيه فيكون أخذك إياه عن تثبت وسكون، والله تعالى يزيدك فهماً وعلمًا، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، المعنى أنه سبحانه وتعالى أمره بالفزع إلى الله سبحانه في زيادة العلم التي تظهر بتمام القرآن أو بيان ما نزل عليه³.

فالتفكر يزيد علم المرء ويثبتته، قال الحسن: "ما زال أهل العلم يعودون بالتذكُّر على التفكُّر وبالتفكُّر على التذكُّر، ويناطقون القلوب حتّى نطقَتْ بالحكمة، فالتفكُّر والتذكُّر بذار العلم، وسقيه مطارحته، ومذاكرته تلقّحه"⁴، كما أن القراءة بتفكُّر وتدبر وتأمّل تزيد في عقل القارئ وفهمه، وتحمله على العمل.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3641، 317/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث:

2682، 48/5، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 223، 81/1.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 180/15.

3 الرازي، التفسير الكبير، 104/22 - 105.

4 الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 319/2.

4. الاجتهاد والتفكر والتفكير يعين على معرفة الخير من الشر:

كان ﷺ يشجع أصحابه على بذل وسعهم وجهدهم في إيجاد الحلول المناسبة للأمور المستعصية، والقول فيها بعد طول تفكير ونظر، كما رسخ ﷺ مبدأ: "مَنِ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمَنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"¹، وما ذلك إلا لإعمال العقل وتنشيط الفكر بقدر الاستطاعة.

فبالاجتهاد والتفكر في الأمور تنكشف للمرء حقائقها، ويعلم مراتبها، فيستطيع تمييز صحيحها من سقيمها، وخيرها من شرها، وفاضلها من قبيحها، فيضعها في مواضعها، ويتفكر في عواقبها، فيُقدِّم على ما فيه من خير، ويدع ما فيه من شر أو ضرر، وتلك هي الحكمة.

ومن خلال الاجتهاد والتفكر والتفكير يتسَّع فهم الإنسان وإدراكه للحياة، وسننها، وقوانينها، فتتعرَّز قدرته على التفاعل معها، والتعامل مع ظروفها، والتصرف فيها، فيتخذ قرارات أكثر دقة وحكمة، ويستثمر ذلك فيما ينفعه وينفع غيره.

5. الاجتهاد والتفكر والتفكير طريق للابتكار والإبداع:

فالاجتهاد والتفكير العميق طريق الإبداع، وسبيل الاختراع، وبه يتم الاكتشاف، وقد جعل الله في خلقه آيات حثَّ العقول على التفكير والتأمل فيها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3]، فبال تأمل في تكوين الخلق ودراسة آليته يتمكن الإنسان من محاكاة ذلك

1 انظر: البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 7352، 9 / 108، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1716، 3 / 1342.

باختراعات مفيدة، وابتكارات نافعة، وما نراه اليوم من اختراعات وابتكارات في الطب والتكنولوجيا والعلوم والذكاء الصناعي... وغيرها، هي نتاج تفكير المفكرين، واكتشافات الباحثين، الذي يُعملون عقولهم، ويجهدون تفكيرهم فيما ينفع البشرية، ويقدم الخير للإنسانية.

مجالات الاجتهاد والتفكير والتفكير:

الاجتهادُ والتفكيرُ مطلوب في كل علم نافع، وهو سبيل تحصيل ثمرة العلم، وباب الاجتهاد والتفكير واسع، ومجالاته كثيرة، ومما يضاد ذلك: التّفريطُ، والتّراخي، والتّقاعس، والتّسويف، والتّقصير، والفتور، والإغفال، والاستهانة، والاستهتار، والاستخفاف، والإهمال...، فكل ذلك مطلوب تركه وتخليه النفوس منه، وتخليصها من آثاره.

والعلماء المجتهدون كالأرض الخصبة؛ تُنبِتُ الكَلأَ وتنفع الناس، قال ﷺ: "إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعِلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"¹.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 79، 27/1. ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2282، 4/1787.

ويظهر التفكير والاجتهاد في العلم النافع في مجالات متنوعة، يتطلب كل منها بذل الجهد واستفراغ الوسع لتحقيق الخير والنفع للبشرية والإنسانية، ومجالات ذلك كثيرة، منها:

1. التفكير والاجتهاد في كافة العلوم النافعة، ومنها:

• العلوم الشرعية:

من فقه وتفسير وحديث... وغيرها من العلوم الشرعية؛ وذلك باستنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية والنبوية، وتحليل وتفسير آيات القرآن الكريم وتدبرها لاستخلاص الدروس والعبر منها، وفهم دلالاتها ومعانيها.

وهذا الاجتهاد هو الذي يعرفه علماء أصول الفقه الإسلامي بقولهم: "هو بذل الجهد في تعرف الحكم الشرعي"¹، وعُرفَ بأنه: "استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه"².

والاجتهاد أصل من أصول التشريع الإسلامي، دلّ عليه إما نصًا وتصريحًا، وإما إشارة وتلميحًا، أما القرآن الكريم ففي كثير من آياته إشارات إلى معناه ومفهومه، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنُحْكِمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105]، وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ فِي

1 الطوفي، سليمان بن عبد القوي (ت: 716 هـ)، شرح مختصر الروضة، 1407 هـ - 1987 م، 3 مج، 575/3.

2 الأمدي، علي بن أبي علي (ت: 631 هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، 1387 هـ - 1968 م، 162/4.

ذَلِكَ لَا يَتَّ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[الرعد: 3]﴾، كما حث النبي ﷺ على الاجتهاد في العلم ومسائله، وفتح الباب الواسع لذلك، فقال ﷺ: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ [أي: القاضي] فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"¹. وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: "كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟" قال: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قال: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟" قال: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قال: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؟" قال: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا أَلُو - أي: لَا أَقْصِرُ -، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَدْرِ مَعَاذَ، وَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ"².

• العلوم الطبيعية:

من فيزياء وكيمياء وبيولوجيا...؛ وذلك من خلال البحث والتفكير في الظواهر الطبيعية، والوقوف على قوانينها، وتطويرها، والاستفادة من مكوناتها، ومحاكاة تكوينها في ابتكارات نافعة.

• العلوم الصحية:

من طب وصيدلة وتغذية...؛ وذلك من خلال دراسة جسم الإنسان، وتشخيص الأمراض، واستكشاف علاجاتها، وتطوير الأدوية، ودراسة تأثيراتها.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 7352، 9/ 108، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1716، 3/ 1342.

2 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1327، 3/ 608.

• العلوم الهندسية:

من بناء، وكهرباء، وميكانيك، وغيرها من علوم الهندسة، للوقوف على
تصاميم مثالية، وأنظمة فعالة، وآلات مفيدة، تسهل حياة الناس، وتحقيق
لهم الرفاه.

- العلوم الاجتماعية:

ويكون ذلك بدراسة العلاقات الاجتماعية، وسلوك الأفراد، وفهمها، وتطويرها، ووضع الحلول لمشكلاتها، من أجل تحقيق النمو والازدهار، والأمن والاستقرار.

- العلوم الاقتصادية:

من خلال الاجتهاد في دراسة الاقتصاد المحلي والعالمي، والتفكير في كيفية إدارته، وتحليل نتائجه، للارتقاء بالاقتصاد الذي يعود نفعه على الإنسان والمجتمع والوطن.

- العلوم البيئية:

من خلال الاجتهاد في دراسة البيئة الطبيعية وحمايتها وتنميتها، والتفكير والبحث عن طرق التنمية المستدامة، للمحافظة على الموارد الطبيعية للأجيال الحالية والقادمة.

وثمة مجالات أخرى للاجتهاد والتفكير، تشمل جميع مجالات العلوم على اختلافها، بما يحقق النفع للإنسانية والخير للبشرية.

2. الاجتهاد والتفكير في القرآن الكريم:

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليجتهد الإنسان في فهم معانيه، ويتفكر في آياته، قال جل جلاله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219]، وحث جل جلاله على التفكير في آيات القرآن الكريم، والتدبر في معانيها، والتأمل في مقاصدها ومراميها فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وحين نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190]، قال ﷺ: "لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [آل عمران: 190] الآية كلها"¹.

وإن الاجتهاد والتفكير في القرآن الكريم يثمر الخشية، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]، كما يفتح أقفال القلوب ومغاليقها، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، وغاية التفكير والاجتهاد في القرآن الكريم العمل بما أنزل الله تعالى فيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44].

1 ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم الحديث: 620، 386/2.

3. الاجتهاد بالتفكير في خلق الله عمومًا وفي نفس الإنسان خصوصًا:

دعا الله تعالى في كتابه العزيز إلى التفكير في خلقه؛ بأن يتفكر الإنسان في ما حوله، وفي خلق السماوات والأرض، ليقف على عظمة الله وقدرته في آياته الكونية، وبالغ حكمته في آياته التكوينية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: 8].

وقد أمر الله تعالى الإنسان بالتفكير في نفسه، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، فيتفكر الإنسان في نفسه وجسده، وعقله وعاطفته، وقواته وقدراته، ونومه ويقظته، وموته وحياته، وتقلب أحواله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42].

وحث الله سبحانه الإنسان أن يتفكر في أسرار تكوينه، قال جل جلاله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: 5-7].

وعليه أن يتفكر في غاية خلق الله تعالى له، ومراده سبحانه منه، وأن الله ما خلقه عبثًا، وإنما خلقه لعبادته، وعمارة أرضه، وكذلك يتفكر الإنسان في تصرفاته وسلوكياته، ليرتقي بنفسه، ويطور أدائه، ويحمل نفسه على القول الحسن والعمل النافع، ويستثمر مدة بقائه في الدنيا في عمل الصالحات، والقيام بالأمور النافعات، ومن أقوال الحكماء: "ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم، وما فهم إلا علم، وما علم إلا عمل"¹.

1 من قول وهب بن منبه، انظر: المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص 378.

4. التفكر في النعم، والاجتهاد في شكرها:

ومما حثنا الله تعالى على التفكر فيه ما سخره لنا في الأرض من نعمه؛ لنحسن استثمارها، ونجتهد في شكر الخالق العظيم عليها، فقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3]، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "الفكر في نعم الله أفضل العبادة"¹.

ومن تلك النعم المأكَل والمشرب، فقد سخر الله تعالى الكائنات لذلك، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68-69]، وقال جل جلاله معيدًا نعمه، أمرًا بالتفكر فيها، وشكرها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٩﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 10-14].

1 ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (ت: 795هـ)، استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، تحقيق طلعت الحلواني، دار الفاروق الحديثة، 1425هـ/2004م، 315/3.

5. التفكُّر في الحياة:

ومما حثَّ الله تعالى الإنسان على التفكُّر فيه؛ ما يجري حوله من الأحداث والوقائع والأمثلة التي تحملها على التعلُّم والاعتبار، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضِرُّ بِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]، فيدرك بالتفكُّر والتفكير فيها سنن الحياة، ويفهم قوانينها، ويستشرف مآلاتها، ويستدرك اللاحق ما فات السابق، ويضبط تصرفاته ويتحكم بتفاعلاته بناء على ما اتضح له من هذه الآيات، فيعتبر بالمخطئين والمقصرين، ويتأسى بالمحسنين السَّابِقِينَ، وينافس المتسابقين إلى ما فيه الخير في الدنيا والدين.

طرق اكتساب الاجتهاد والتفكير والتفكُّر وآلياته:

من الوسائل المعينة على تنمية قيمة الاجتهاد والتفكُّر والتفكير ما يأتي:

1. المثابرة والمداومة على التفكير والتفكُّر والاجتهاد في طلب العلم:

لا بدَّ لطالِبِ العلم المجتهدِ من الدأب على طلب العلم، والتفكير والنظر في مسائله، والمثابرة على تحصيله مهما كانت الظروف والأحوال، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لما قبض رسول الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار: هَلَمْ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟! قال: فتركتُ ذاك وأقبلتُ أسألُ أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان يَبْلُغُنِي الحديث عن الرجل يأتي بابه وهو قائلٌ، فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني، فيقول:

يا ابن عم رسول الله ﷺ، ما جاء بك هلا أرسلتَ إلي فأتيتك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن أتيتك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني!¹. وقال أَبُو زُرْعَةَ لأبي حاتم: ما رأيتُ أحرصَ على طلب الحديث منك يا أبا حاتم، فقال: إن عبد الرحمن - يعني: ابنه - لحريص، فقال: مَنْ أشبه أباَه فما ظلم! قال الرقام: ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه². لشدة حرصه على العلم، واغتنامه للوقت في طلبه.

2. التركيز، والابتعاد عن التشُّتُّ:

يحذر طالب العلم المجتهد من الغفلة وتشُّتُّ الذهن عن العلم الذي يطلبه ويدرسه ويفكر فيه؛ فإنما ذلك شيطانٌ يسرقُ منه أغلى ما يملك وهو وقته، وفي الحديث قال ﷺ: "أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ"³.

وإذا شعر الطالب بقلَّة التركيز والغفلة؛ حاول معالجة ذلك بالانتقال إلى موضوعٍ آخر غير الذي يقرأ فيه، وبذلك يريح نفسه، ويجدِّد همته وتحصيله.

1 الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم الحديث: 363، 188/1.

2 المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت: 742 هـ)، تهذيبُ الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشَّار عوَّاد معروف، 1400 هـ، 35 مج، 387/24 - 388.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 4/2052.

3. انتقاء أفضل الأوقات:

وقد يختلفُ هذا الوقت من إنسانٍ لآخر، ولكن بالعموم وقت السَّحَر هو وقت الهدوء، واتقاد الذهن، وكذلك من بعد صلاة الفجر إلى الضحى، فهذه أصفى أوقات الذهن للفهم والكتابة والدراسة والتفكير، وهي أوقاتٌ يغتنمها طلبة العلم، والمجتهدون في مسأله.

وقد قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك"¹.

فعلى طالب العلم المجتهد أن يغتنم وقته، فكلُّ دقيقةٍ يمكنُ له أن يكتسبَ فيها علماً نافعا، ينفع به نفسه وغيره.

4. الاستفادة من طلبة العلم المجتهدين، والتنافس معهم:

فعلى طالب العلم أن يبحث عن ثلة من طلبة العلم المجتهدين، يتبادلون العلم، ويتفكَّرون في مسأله، ويُعمِلون عقولهم في حلِّها، وفهم مشكلها، وإدراك مراميها، فالنفع سيكون لهم جميعاً، وهذا من أقوى الوسائل التي تعينُ الطالب على الاجتهاد والتفوق.

قال النبي ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله" أي: مسجد، وألحقَ به نحو مدرسة²، "يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم" أي: يشتركون في قراءة بعضهم على بعض وكثرة درسه ويتعهدونه خوف النسيان، وأصل

1 الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 7846، 341/4.

2 المناوي، فيض القدير، 408/5.

الدراسة التعبد، وتدارس تفاعل للمشاركة¹، "إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"².

5. الدعاء والطلب من الله تعالى:

فالدعاء من المعينات على تحصيل العلم وفهم مفرداته، والاجتهاد فيه بالفكر والبحث، فالمؤمن يسأل ربه أن يبارك له في وقته، وأن يعينه على صرفه في النافعات، قال أهل العلم: "ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسَلِ المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خير إلا بمعصيته، فمن الذي أقبل عليه فلم يردَّ كلَّ مُراد؟! ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة، أو حظي بغرض من أغراضه؟!"³.

6. انتفاء أسباب تعطيل ملكة الاجتهاد والتفكير والتفكير لدى الإنسان.

ومن أهمها:

- الانشغال بالخلق عن الخالق، وبالنعمة عن المنعم، وبالكائنات عن موجدتها، مما يجعل الإنسان منشغلاً عن التفكير بعظمة الخالق وبديع وما خلق وعظيم ما أنعم.
- الركون إلى الأشخاص ذوي التعليم المحدود، أو الفكر المحصور.
- التهيؤ من التفكير البناء والاجتهاد فيه، والخوف من عرض الأفكار الجديدة والمفيدة.

1 المناوي، فيض القدير، 408/5.

2 أخرجه مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2699، 2074/4.

3 ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص 502.

- تغليب جانب الحفظ على الاجتهاد في الإدراك والفهم والفكر.
- انخفاض مستوى الطموح، والابتعاد عن الإبداع والابتكار وتوليد الجديد من الأفكار.
- الوجود في بيئة لا تشجع على الاجتهاد والتفكير والتفكير، والإبداع والجديد.

ضوابط الاجتهاد والتفكير والتفكير:

عقل الإنسان بطبيعته مجتهد لا ينقطع عن التفكير، وهذه جيلة خلقه الله عليها، وعلى الإنسان أن يحمل عقله على التفكير السليم المنضبط، وأن يكون جهده واجتهاده ذا ثمرة ونفع، وحتى يكون التفكير سليماً، والاجتهاد نافعاً، لا بد له من ضوابط يلتزمها الإنسان، ويُعمل عقله في مسارها:

1. أن يكون الاجتهاد والتفكير خالصاً لوجه الله تعالى:

الإخلاص لله تعالى من أهمّ الضوابط التي تجب مراعاتها في كل اجتهاد، وعند كل فكر، وذلك بأن تكون نية طالب العلم الوصول إلى رضا الله تعالى والتقرب منه، ونفع الناس بعلمه، فالعلم إذا خلصت فيه النية قبل وزكا، ونمت بركته، ومن أخلص لله تعالى أثيب بقدر إخلاصه، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيَصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"¹، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لِنُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ،

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3664، 323/3، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 252، 92/1.

ولا لثَمَاروا به السفهاء، ولا تَخَيَّرُوا به المجالس"¹. قال الشافعي رحمه الله:
"أخشى أَنَّ مَنْ طلبَ العلمَ بغير نية ألا ينتفعَ به"².

2. أن يكون العلمُ نافعاً والأفكارُ مشروعةً:

قد يجتهدُ الإنسانُ بالاشتغال في علمٍ، ويجهد فيه فكره وعقله، ولكنه لا ينتفعُ به، ولا ينفعُ به غيره، ولا يجلب له مصلحةً في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا مما ينبغي للإنسانِ العاقل أن يجتنبه، ولا يضيع وقته فيه، وكان النبي ﷺ يستعِذ بالله من علم لا ينفع، فكان من دعائه ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها"³.

وكذلك الأفكار التي يشغلُ الإنسانُ بها عقله، يجب أن تكون نافعةً، وغرضها نبيلًا، وأن تكون موافقة للقوانين والقيم والأخلاق، تعود عليه وعلى المجتمع بالفائدة، فيفكر بما يطور نفسه، ويرتقي بذاته، وينفع مجتمعه، ويزدهر به وطنه.

3. أن تكون الأفكار عملية واقعية:

فيركز المرء على الأفكار التي يمكن تحقيقها وتطبيقها في الواقع، والتي تتماشى وتناسب مع الظروف والإمكانيات المتاحة؛ حتى يستطيع تحويل

1 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 254، 93/1.

2 الغزي، محمد بن محمد، العامري (ت: 1061 هـ)، حسن التنبيه لما ورد في التشبيه، تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، 1432 هـ - 2011 م، مج 3، 566/3.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2722، 4/2088.

أفكاره إلى واقع ملموس بفعالية وكفاءة، ولا يضيع جهده فيما لا طائل منه ولا فائدة فيه.

4. مراعاة المصالح والمفاسد:

فعلى المرء أن يفكر بالنتائج المحتملة وراء كل جهد وفكرة، ويقدر الفوائد والأضرار الناجمة عنها، فيقدم على ما يغلب على ظنه أن عاقبته خير، ويحجم عما يغلب على ظنه أن عاقبته سوء؛ حتى يحقق أكبر قدر من الفائدة، ويتجنب أكبر قدر من الضرر، ويكون الاجتهاد والتفكير متكاملًا، ومتوازنًا، ومستدامًا، قال الشافعي رحمه الله: "صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والتدب، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس، وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم"¹.

5. استشارة ذوي العقول والخبراء:

فالعاقل يجمع إلى تفكيره مشورة أصحاب الرأي والخبرة وذوي الحكمة ومن يعلم عنهم الرأي الصائب، فإن ذلك يوفر له رؤية أعمق، وفهمًا أكبر، ويعين على تجنب الأخطاء، ويزيد من صواب اتخاذ القرارات، ومن فرص النجاح، فقد كان رسول الله ﷺ يحقِّر أصحابه على التفكير والاجتهاد في التوصل إلى الأفكار المبتكرة من خلال المشورة معهم، فكان يقول لهم: "أشيرُوا عليَّ"²، فالاستشارة أشبه ما تكون بالعصف الذهني؛ حيث تتلاقى العقول فتتولد الأفكار.

1 الغزالي، إحياء علوم الدين، 4/ 425.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1333، 2/ 970.

ثمرات الاجتهاد في العلم والتفكير والتفكير:

للاجتهاد في العلم وإعمال العقل بالتفكير والتفكير عددٌ من الثمرات التي تنعكسُ على الفرد والمجتمع والوطن، ومن أهمّها:

1. تنمية القدرات العقلية واكتساب المعرفة:

وذلك بتعزيز الملكات الاستنباطية والمهارات الفكرية؛ حيث إنه يعزز التفكير النقدي والإبداعي، ويعين على تطوير مهارات التحليل والتفكير والمنطقي وحل المشكلات، والفهم العميق للأمور.

2. مَعْرِفَةُ حَالِ النَّفْسِ، والسعي في تهذيبها:

لأنَّ الإنسان متى اجتهد في التفكير في نفسه عَرَفَ عُيُوبَهَا ومحاسِنَهَا؛ قَالَ الفضيل رحمه الله: "التفكيرُ مرآةٌ تُريكَ حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ"¹، فثمرَةُ التَّفَكُّر العلم، وإذا حَصَلَ العلمُ في القلبِ تَغَيَّرَ حالُهُ إلى المحاسبة، والرغبة في الجِدِّ والاجتهاد، وتَغَيَّرَ أعمالُ الجوارح تَبَعًا لِتَغَيُّرِ القلب، فيصلح الإنسان، ويتحسن حاله.

3. الاجتهادُ في العمل:

فالفكر يثمر اليقين ويقود إلى العمل، فإذا تفكر الإنسان فيما يُصلحه وينفعه؛ قام به، وإذا تفكر في عاقبة أمره، وصالح آخرته؛ زاده ذلك اغتنامًا

1 أبو الشيخ، عبد الله بن محمد (ت: 369 هـ)، العظمة، تحقيق رضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، 1408 هـ (5 مج)، 227/1.

لوقته، وحرصًا على ما ينفعه، وسعيًا فيما ينفع غيره، وجدًا واجتهادًا في إرضاء ربه سبحانه، فقد كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: "اعلم أنّ التّفكر يدعو إلى الخير والعمل به"¹.

4. زيادة الإيمان بالله، والخشية والمحبة له:

بالتفكر يفهم كلام الله تعالى وهدى نبيه ﷺ، ويدرك معالم دينه، وفقه أحكامه، ودقائق حكمه، ويُرزق المتفكر العلم والمعرفة والحكمة، قال الشافعي رحمه الله: "استعينوا على الاستنباط بالفكر"².

والتّفكر في آيات الله وحلّقه في الكون، وفي الآفاق، وفي الأنفس يؤدي إلى زيادة الإيمان، فيترسّخ في قلب المتفكر معاني قدرة الله تعالى، وقوّته، وعظمته، وتديبره، وقِيُوميته، ورحمته، وحِكمته، كما يؤدي إلى طاعة الله، والتّزيد من عبادته، قال بشر بن الحارث رحمه الله: "لو تفكر الناس في عظمة الله؛ ما عصوا الله عز وجل"³.

وبالتفكر في النّعم والتأمل في الآلاء تحصل المحبة لله وتزيد؛ لأنّ النفس مجبولة على حب مَنْ أحسنَ إليها، فإذا تأمل الإنسان نِعَمَ الله الكثيرة عليه؛ أوصله ذلك إلى محبته جل جلاله، قال ﷺ: "أَحِبُّوا الله لما يَغْذُوكُم مِنْ نِعَمِهِ"⁴.

1 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 134/2.

2 ابن حنبل، محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321 هـ) الفوائد والأخبار، تحقيق إبراهيم صالح، ط2، 1407 هـ - 1986 م، ص 139.

3 أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 337/8.

4 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 3789، 664/5.

وبالاجتهاد في التفكير - كذلك - تزيد خشية الإنسان من ربه، فقد جعل سبحانه وتعالى العلماء أولى الناس بخشيته، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، ومعنى الآية: "إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشيةً منه أن يعاقبه"¹.

5. طمأنينة النفس وانسراح الصدر:

فإن الذي يجيل الفكر في أموره وجميع شؤونه، وانظر في عواقبها، ويتأمل قبل أن يُقدم عليها، يغلب صوابه خطأه، فيطمئن قلبه، ويرتاح باله، وينشرح صدره، وتسعد نفسه.

ومن يتأمل في بديع صنع الله وعظيم خلقه وحسن تدبيره؛ يعلم أن لهذا الكون سيدًا خالقًا عظيمًا ومدبرًا حكيمًا، فيطمئن!

وعندما يتفكر المرء في خلق الله فيذكر الله تعالى؛ يطمئن قلبه بذكر الله، ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

6. رفعة الإنسان:

جعل الله سبحانه وتعالى العلم والاجتهاد فيه سببًا لرفعة طالبه، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 364/19.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، ومعنى الآية: "﴿قُلْ﴾: بيانا للحق، وتنبيها على شرف العلم والعمل، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم؛ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم؟!"¹.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5]، وهذا من كمال كرمه سبحانه وإكرامه لعباده، فقد علمهم ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم². وهذا يدل على أن مما يستحق به الإنسان التكریم: أنه أعطي العلم، فالعلم أشرف عطية، وأعظم موهبة³.

7. الارتقاء في المجتمع والوطن:

وذلك في جميع المجالات، فإن الاجتهاد في طلب العلم والتفكير والتفكر سبيل إلى التطور والرقى، وسبب رئيس في الإبداع والابتكار، الذي يؤدي إلى الاستقرار وتحقيق الازدهار. والاجتهاد والتفكير والتفكر تعزز البحث العلمي، والتقدم المعرفي، والابتكار والإبداع، مما يسهم في دفع عجلة التقدم في المجالات التكنولوجية والتعليمية والصحية، ويسهم في دعم الاقتصاد الوطني عبر إدارة الموارد بكفاءة، ويعزز الاستقرار الاجتماعي والوحدة الوطنية، ويقوي الهوية الوطنية والانتماء من خلال التفكير في التراث التاريخي والعادات والتقاليد، محققا تقدما مستداما للوطن على كافة المستويات.

1 أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 245/7.

2 ابن عجيبة، البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد، 328/7.

3 النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 232/1.

كما يسهم الاجتهاد في طلب العلم في الحفاظ على التراث الثقافي والتاريخي للوطن، ويعزز الافتخار بالهوية الوطنية، وذلك من خلال فهم أعمق للجذور الثقافية، ويكون أفرادًا متعلمين، ينقلون خبراتهم ومعارفهم وعلومهم وإبداعاتهم وابتكاراتهم للأجيال القادمة؛ مما يضمن استمرار قيمة الاجتهاد وتطورها لدى الأجيال المتلاحقة.

خاتمة:

وهكذا؛ فإن الاجتهاد في طلب العلم يمثل قيمة عظيمة ترتقي بالفرد والمجتمع والوطن، وتحقق الرفعة والكرامة للإنسان في الدنيا والآخرة، كما أن بذل الجهد في تحصيل العلوم والمعارف يعزز التفكير النقدي والنظر الإبداعي، ويسهم في التقدم على المستوى الفردي والاجتماعي.

وبالاجتهاد في التفكر والتفكير يستثمر الإنسان عقله وملكاته، ويستزيد من علومه ومعارفه، ويدرك حقائق الأشياء وكنهها، ويتوصل إلى عظمة خالقه وطاعته وحسن عبادته، لذا كان لزاماً على كل إنسان أن يكون التفكر عبادة له، والتفكير جزءاً من أعماله، يتغلب على كل ما يعيقه، ويسعى إلى تطوير بيئة محفزة تتيح له الاستفادة الكاملة من هذه النعمة العظيمة، بالجهد المستمر، والعزيمة والصبر، ليصل إلى أعلى مراتب العلم والفهم، ويسهم في رفعة نفسه، وبناء مجتمعه، وازدهار وطنه، ولا بد لمن يطلب المعالي أن يجد ويجتهد في طلب العلوم وتحصيلها، لينال ثمراتها اليانعة وقطوفها الدانية، ورحم الله القائل: "من لم يصبر على ذل التعلم؛ بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه؛ آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا"¹.
ولله در الإمام الشافعي إذ يقول:

بَقْدَرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ
تَرَوْمُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي²

1 النووي، المجموع شرح المذهب، 38/1.

2 انظر: عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 1912.

الصدق

مقدمة:

الصدق قيمة أخلاقية تشمل جميع المجالات، وتعظم أهميتها في العلم؛
تعلُّماً وبحثاً وتعليماً؛ حيث إنه لا يمكن فصل الصدق عن العلم، فالعلمُ:
معرفة المَعلوم على ما هو به¹، أو: إدراكُ الشيء بحقيقته²، والصدق:
مطابقةُ الحكم على الشيء للواقع³؛ فيظهر من اتحاد روح التعريفين أن
الصدق عنصر أساس لنجاح العلم وتقدُّمه وتطويره؛ وإنَّ السَّعي وراء
الحقيقة والتمسُّك بالصدق - خاصة في البحث العلمي - يضمن مصداقية
النتائج ومخرجات البحث العلمي، كما أن الصدق يعصم العلم من التلاعب
بالحقائق أو تزويرها، فالصدق خلقٌ أصيل ينبغي أن يتحلى به العلماء
والباحثون وطلبة العلم في طلبهم للعلم وحصولهم على المعرفة، وقد امتدح
الله تعالى الصدقَ وذكره في أوصاف المؤمنين، ورَتَّبَ عليه الثواب والأجر
الجزيل، قال تعالى: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24]، وأمر
به المؤمنين، فقال جلَّ مِن قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

1 الباجي، الحدود في الأصول، ص95.

2 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص580.

3 الجرجاني، التعريفات، ص 132.

تعريف الصدق:

أولاً- في اللغة:

الصدق في اللغة مصدر الفعل "صَدَقَ"، ويأتي بمعانٍ عدّة، أهمّها:

1. القوة في الشيء: "الصَّادُ وَالِدَالُ والقافُ أصلٌ يدلُّ على قُوَّةٍ في الشيءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ، مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكُذِبِ، سُبِّي لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكُذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ، وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ شَيْءٌ صَدَقٌ، أَيُّ: صُلْبٌ، وَرُمُحٌ صَدَقٌ"¹.

2. خلاف الكذب: "الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكُذِبِ"²، وَصَدَّقَهُ: قَبِلَ قَوْلَهُ، وَصَدَقَهُ الْحَدِيثُ: أَنْبَأَهُ بِالصِّدْقِ، وَيُقَالُ: صَدَقْتُ الْقَوْمَ، أَيُّ: قُلْتُ لَهُمْ صِدْقًا، وَرَجُلٌ صَدُوقٌ: أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ³، وَالصِّدِّيقُ: الْمُلَازِمُ لِلصِّدْقِ⁴.

ثانيًا- في الاصطلاح:

الصدق في الاصطلاح لا يخرج عن معناه في اللغة،

فقليل في تعريفه: إنه "مطابقة الحكم على الشيء للواقع"⁵.

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 339/3، (صدق).

2 الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1505/4، (صدق)، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، 193/10، (صدق).

3 ابن منظور، لسان العرب، 193/10، (صدق).

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، 339/3، (صدق).

5 الجرجاني، التعريفات، ص132.

وقيل: "مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً [بمعنى: وقوع التطابق بين قول الإنسان عن شيء، وما في نفسه ورأيه عنه، وما هو على حقيقته واقعاً]، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً"¹.

وقيل: "استواء السرّ والعلانية والظاهر والباطن؛ بالألا تكذب أحوالُ العبد أعماله، ولا أعماله أحواله".

ويمكن تعريف الصدق كونه قيمةً من قيم العلم بأنه: الالتزام بالمعايير الأخلاقية العلمية؛ من نزاهة وشفافية، ودقة ووضوح، وكل ما من شأنه أن يضمن مصداقية البحث العلمي، ويحقق جودة تعلّم العلم وتعليمه.

أهمية الصدق:

الصدق قيمة أخلاقية عظيمة، وفطرة إنسانية نبيلة، وركن من أركان الفضائل التي دعا ديننا الحنيف إليها؛ ينبغي على كل أحد التحلي به، في جميع المجالات، وسائر الأحوال، وذلك لأهميته البالغة، وأثره النافع، ولما يحققه من ثقة بين الأفراد، ومصداقية في الأقوال والأفعال، وتعزيز للعلاقات الاجتماعية بين الناس، وتتجلى أهمية الصدق فيما يأتي:

1. الصدق من صفات الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]، وقال جلّ ذكره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ

1 الراغب، المفردات في الغريب، ص 277.

لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿[النساء: 87]﴾، يعني بذلك سبحانه: فاعلموا حقيقة ما أخبركم من الخبر، فإني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب والثواب والعقاب يقيناً، فلا تشكوا في صحته، ولا تمتروا في حقيقته، فإن قولي الصدق الذي لا كذب فيه، ووعدِي الصدق الذي لا خُلْفَ له، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، يقول: وأي ناطق أَصْدَقُ من الله حديثاً؟ وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتَلِبَ بكذبه إلى نفسه نفعاً، أو يدفع به عنها ضرراً، والله - تعالى ذِكْرُهُ - خالق الضرِّ والنفع، فغيرُ جائز أن يكون منه كذبٌ؛ لأنه لا يدعوهُ إلى اجتلاب نفع إلى نفسه أو دفع ضرر عنها¹.

2. الصدق من صفات الأنبياء عليهم السلام:

الصدق من صفات رسل الله تعالى، بل هو من أخص صفاتهم، فهم المبلغون عن الله تعالى، فوجب أن يتصفوا به، وهذا ما أكدته القرآن الكريم في العديد من الآيات؛ قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54]، ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٦٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 56، 57]، وقال تعالى عن رسوله الكريم ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 37] أي: صدَّق مَنْ كان قبله من المرسلين²، وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 80]. ولقد كان

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 280/7.

2 السابق، 34/21.

الصدق من أخص وأعظم صفات النبي ﷺ، فهو الصادق الأمين، صاحب الخلق العظيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين] [الزمر: 33 - 34].

ويوم نادى النبي ﷺ قريشاً بمكة ووقف على جبل الصفا قائلاً: "أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً¹. وفي رواية: قالوا: ما جربنا عليك كذباً².

وكان الصدق من أحب الصفات إليه ﷺ، إذ قال ﷺ: "أحبُّ الحديثِ إليَّ أصدقُهُ"³. كما كان الكذب من أبغض الصفات إليه ﷺ، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "ما كان خلقٌ أبغضَ إلى أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجلُ يكذبُ عند رسول الله ﷺ الكذبة؛ فما يزالُ في نفسه عليه حتى يعلمَ أنه قد أحدثَ منها توبةً"⁴. ويلتزم ﷺ بالصدق في جميع أحواله حتى في مزاحه، ففي الحديث: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا! قال: "إني لا أقول إلا حقاً"⁵.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4770، 111/6.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 4971، 179/6، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 208، 193/1.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2307، 99/3.

4 ابن حنبل، المسند، رقم الحديث: 25183، 101/42.

5 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1990، 357/4.

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: حفظتُ من رسول الله ﷺ: "دَع ما يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيْبُكَ، فإن الصدقَ طمأنينةٌ، وإن الكذبَ رِيبةٌ"¹.

3. الصدق من أخلاق المؤمنين، وهم به مأمورون:

فالصدق من أجل الصفات التي يتخلق بها المرء، قال رسول الله ﷺ: "أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِقَّةٌ فِي طُعْمَةٍ"². وقد وصف الله تعالى في القرآن الكريم عباده المؤمنين بصفات وخصال كثيرة، ومن أهمها صفةُ الصدق؛ قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23]، وقال جل جلاله: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24]، وذلك لعِظم شأنِ الصدق عند الله تعالى، كما أمر المؤمنين بالتزام الصدق، والاهتداء بأهل الصدق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، وجعل سبحانه وتعالى منزلة الصدق تالية لمنزلة الأنبياء، فهم ممن أنعم الله تعالى عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69]، وهؤلاء هم الرفيق الأعلى، الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

1 الترمذي. سنن الترمذي، رقم الحديث: 2518، 668/4، واللساني. سنن النسائي، رقم الحديث: 5711، 327/8.

2 الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث: 7876، 349/4.

4. الصدق صفة جامعة لكلِّ بر:

عَدَّدَ اللهُ سبحانه وتعالى أوجه البر، ثم وصف العاملين بها والمتخلقين بأخلاقها بالصادقين، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]، يعني: مَنْ فعلَ هذه الأشياء؛ فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم، وحقَّقوا قولهم بأفعالهم¹.

وقال النبي ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"².

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، 92/3.

2 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6094، 25/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2607، 2012/4.

أنواع الصدق ومجالاته:

للصدق أنواع كثيرة، ومجالات متعددة، من أبرزها:

1. الصدق في العلم:

بالتزام الأمانة العلمية في نقل المعلومات، وعدم تحريفها أو تزويرها، وكذلك بتقديم المعلومات بصورة صحيحة ودقيقة، والتأكد من صحتها وصدقها، والدقة في التوثيق من المصادر والمراجع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، ويتمثل الصدق في العلم في عدم نسبة شيء من أفكار غيره لنفسه، قال ﷺ: "الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُورٍ"¹. كما يتجلى الصدق في العلم في نقله ونفع الغير منه وعدم كتمان شيء منه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42].

2. الصدق في الأقوال:

بأن يطابق قول الإنسان الحقيقة والواقع، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

3. الصدق في الأفعال:

بأن يطابق فعل الإنسان نيته وقوله، فيفي بوعده، ويخلص في عمله، ويؤدي ما يتوجب عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2].

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 5219، 35/7، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2130، 3/ 1681.

4. الصدق في النيات:

بأن تكون نية الإنسان خالصة لوجه الله تعالى، وصادقة في نفع الناس، بعيدة عن الرياء، قال ﷺ: "إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى"¹. ومن علامات صدق النية: الاهتمام بها، واستحضارها واستذكارها قبل العمل وفي أثناءه، ومحاولة تحريرها وتنقيتها مما يشوبها من حظوظ النفس الدنيوية وما يخالف التعاليم الدينية والقيم الإنسانية، فمن صحَّ قصده وصدق نيتُه وتجرّدت للخير إرادته صار صادقًا في نيته وعمله².

5. الصدق في الوعد:

ويتجلى في الوفاء بالوعود والعهود، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]، كما جعل النبي ﷺ الوفاء بالوعد من صفات المؤمنين.

6. الصدق في العزم:

وهو الجد والعزم على القيام بالأعمال دون تردّد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159]، وقال رسول الله ﷺ: "واستعين بالله؛ ولا تعجز"³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1، 6/1، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1515/3، 1907.

2 انظر: المحاسبي، الحارث بن أسد المحاسبي (ت: 243 هـ)، آداب النفوس، دار الجيل - بيروت - لبنان، ص122. والغزالي، إحياء علوم الدين، 388/4.

3 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2664، 2052/4.

7. الصدق مع النفس:

ويتمثل في وقوف الإنسان مع نفسه وقفة صدق، معترفاً بأخطائه، ساعياً لتصحيحها، وتحسين نفسه وتطويرها، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14]، وقال عمر بن الخطاب: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا"¹.

8. الصدق مع الله:

بالإخلاص الكامل لله سبحانه وتعالى في الأقوال والأفعال والنوايا والأحوال، فيَقصد رضاه، ويتبغى وجهه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]، وقال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه"².

طرق اكتساب ملكة الصدق:

الصدق فطرة في الإنسان ينشأ معه، ويستمر ما لم يحصل ما يغيره، ويحيد به عن أصله، قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ خَلَةٍ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ"³، والمؤمن صادق في كل أحواله، فلا يكون كاذباً في حال من الأحوال، قيل لرسول الله ﷺ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ فَقَالَ: "لا"⁴. ويتعزز الصدق ويترسخ من طرق عدة أهمها:

1 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2459، 4 / 638.

2 البهقي، شعب الإيمان، رقم الحديث: 6456، 9 / 181.

3 أبو يعلى، مسند أبي يعلى، رقم الحديث: 711، 2 / 67.

4 الأصبحي، مالك بن أنس، الموطأ، رقم الحديث: 3630، 5 / 1441.

1. اعتياد التحقق والتوثيق:

أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بالتبيين والتثبت في الأمور كلها، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]. وفي حكاية موقف سليمان من خبر الهدهد عن أهل سبأ قال تعالى: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: 27].

فإذا سمع خبراً أو بدا له رأي تحرّى الفهم، وفي التنزيل: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَّ﴾ [الأنبياء: 79]، وتحقق وتوثق قبل أن ينقل، وبذلك يكون قد تحرى الصدق، "وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ؛ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا"¹، فإن قصّر في التَّحَقُّقِ والتَّوَثُّقِ وتحرّى الصدق وقع في خلافه، ففي الحديث: "بَحْسَبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"²، وقال مالك رحمه الله: "اعلم أنه ليس يَسْلَمَ رجلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ!"³، فلا يكون المتحدث مجرد ناقلٍ لما سمع، ولا يسلّم عقله وفكره لغيره من دون محاكمة وفهم وتوثق وتحقيق، ولا يعفيه من ذلك مجرد الإسناد للأخبار؛ بأن يقول: "قالوا"، و"نشروا"، و"زعموا"... ففي الحديث: "بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ: (زَعَمُوا)"⁴.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6094، 25/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2607، 2012/4.

2 مسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 5، 11/1.

3 السابق، رقم الحديث: 5، 11/1.

4 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4972، 294/4.

2. القدوة الصادقة:

فالصدق يتعزز في النفس بمصاحبة الصادقين، ومصادقة المستقيمين؛ لأجل هذا حث الله تعالى على صحبة الصادقين، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]، كما أن الصغار يقتدون بأقوال الكبار الصادقة وفعالهم، فعن عبد الله بن عامر، أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيهِ؟" قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَّا إِنَّكَ لَوَلَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذْبَةٌ"¹.

3. تعزيز السلوك الصادق:

فإن مكافأة السلوك الصادق والثناء على صاحبه يعززه ويزيده، خاصة مع الصغار والأطفال، فإن ذلك يبني جيلاً صادقاً، في قوله وفعله وسَمته وجميع تعاملاته.

4. التعليم والتربية:

فالتوعية بأهمية الصدق، ومكانة الصادقين، وسرد قصصهم، وبيان ثمرات الصدق ومنافعه، سبيل إلى ترسيخه وتعزيزه في نفوس المتعلمين.

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4991، 4/298.



5. تعزيز دواعي الصدق:

بدعم ما يدفع إلى الصدق ويرسخه قيمة، ودواعي الصدق أربعة:

- أ- العقل: من حيث كونه موجباً لقبح الكذب.
 - ب- والدين: حيث ورد بوجوب اتباع الصّدق وحظر الكذب، والله سبحانه لم يشرع إلّا كلّ خير.
 - ج- والمروءة: لأنها مانعة من الكذب باعثة على الصّدق.
 - د- وحبّ الاشتهار بالصّدق: فمن يتمتّع بهذا الاشتهار بين النّاس؛ لا يردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم¹.
- فيتعزز الصدق بإعمال العقل في فضائله ومآلات أهله، ومعرفة منزلته وثوابه في الدين، وسوء ما ينافيه ويقابله، ومصاحبة أهل المروءات والقراءة عنهم والنظر في أخبارهم، والاهتمام بالسمعة.

1 الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 261 - 262.

ضوابط قول الصدق:

الصدق قيمة رئيسة وأساسية، وهي جوهر لدى كل إنسان، إلا أن ممارستها والتزامها ينبغي أن يكون منضبطاً؛ بحيث لا يؤدي إلى إيذاء الآخرين، أو التسبب في ضررهم، ومن أهم ضوابط قول الصدق:

1. التلطف في قول الصدق:

فديننا الحنيف يحث على التعامل مع الآخرين بلطف ورفق ورحمة؛ بحيث يراعي مشاعرهم، ويتلطف في قول الحقيقة لهم، قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهٗمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

2. الحكمة في اختيار الوقت المناسب لقول الصدق:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، فمن حسن القول قول الصدق في وقته المناسب؛ حتى لا يتسبب في أذية الآخرين أو الإضرار بهم.

ثمرات الصدق:

للصدق ثمرات جليلة، وفوائد جمة غفيرة، من أهمها:

1. الصدق طريق الموثوقية:

إذا صدق الباحث في بياناته ومعلوماته ونتائجه، وقدم نتائج حقيقية، غير مزيفة ولا مغلوطة ولا مضللة؛ تميز بحثه بالدقة والموثوقية والشفافية والنزاهة، وأمكن الاعتماد عليه، والبناء على مخرجاته.

كذلك يصدق في مصادره ومراجعته، وعزو الأفكار إلى مصادرها وتوثيقها - وسيأتي حديث عن الأمانة العلمية قريباً -.

2. الصدق طريق إلى الجنة:

وعد الله تعالى الصادقين بالجزاء العظيم، والثواب الكبير، فقال سبحانه: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24]، ووعدهم سبحانه بالنعيم المقيم، ورضوان الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: 119]، قال رسول الله ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ"¹. وقال ﷺ: "أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَيْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ"².

3. نيل منزلة الأفضلية:

فإن الصادقين هم أفضل الناس، قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: "كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ". قالوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٍّ وَلَا حَسَدٍ"³.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 6094، 25/8، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 2607، 2012/4، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3849، 1265/2، واللفظ له.

2 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4800، 253/4.

3 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 4216، 1409/2.

4. حصول البركة:

فالصدق سبيل لحصول البركة في الأرزاق وفي العلوم وفي سائر الأمور، قال النبي ﷺ عن المتعاملين: "فإن صدقًا وبَيْنًا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"¹.

5. محبة الله ومحبة الناس:

فالصادق يكون في نفسه سعيدًا، وعند الله محبوبًا، وبين الناس محبوبًا، قال رسول الله ﷺ: "إِنْ أَحَبَبْتُمْ أَنْ يُحِبَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ فَأَدُّوا إِذَا اتُّمِنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَحْسِنُوا جَوَارَ مَنْ جَاوَزَكُمْ"².

6. طمأنينة القلب وراحة البال:

فالصدق يمنح صاحبه شعورًا بالطمأنينة وراحة في الضمير، فيحرره من القلق والتوتر والضغط النفسية التي يتسبب بها عدم قول الحقيقة، "فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة"³. كما أن الصدق يعزز الثقة بين الأفراد، فيمنحهم الأمن والاستقرار، ويجنبهم المشكلات والصراعات.

1 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2079، 58/3، ومسلم، المسند الصحيح، رقم الحديث: 1532، 3/ 1164.

2 الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، (ت 360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسي، دار الحرمين - القاهرة، 1415هـ - 1995م، رقم الحديث: 6517، 320/6.

3 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2518، 668/4، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 5711، 327/8.

- 469 -

خاتمة:

وهكذا؛ فإن الصدق قيمة أخلاقية عظيمة، تنعكس إيجابياتها على جميع مجالات الحياة؛ خاصة في المجالات العلمية والتعليمية، فهو من أبرز الأخلاقيات العلمية والتعليمية التي تعمّ فوائدها الفرد والمجتمع، فالصدق مفتاح النجاح، ووسيلة لتعزيز الثقة والمصداقية بين الناس، وسبيل إلى طمأنينة القلب وراحة البال، وحصول البركة في الحياة، ونيل رضوان الله تعالى وجنته جل جلاله.

الأمانة العلمية

مقدمة:

تعد الأمانة العلمية من القيم الأساسية السامية، ومن الركائز الأخلاقية النبيلة، التي تميز الباحثين والعلماء في ميادين العلوم والمعارف المختلفة، فهي تعكس مدى التزامهم بالصدق والدقة في نقل العلم والمعرفة، وتمثل أحد الأعمدة الرئيسة في ضمان النزاهة والشفافية والمصداقية في المؤلفات والأبحاث والدراسات العلمية والفكرية، وهي السبب الرئيس في ثقة الناس بالعلماء والباحثين، وعلومهم وأبحاثهم، وهي صورة من صور الأمانة التي أمر الله تعالى بالمحافظة عليها وأدائها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58].

وتتجلى الأمانة العلمية في عزو الأفكار إلى أصحابها، والاعتراف بفضلهم وجهودهم فيها، وعدم إنكار حقهم فيها، وبعدم انتحالها أو تزيفها أو تحريفها أو إخفاءها، وبذلك تكون الأمانة العلمية ضامناً في استمرار الجهود المعرفية، والأبحاث العلمية واستدامتها، وسبباً إلى تقدم الحضارات وازدهارها، كما أن الخيانة العلمية تعد فعلاً إجرامياً تعاقب عليه القوانين، ويجني المرء من ورائه الإثم المبين.

تعريف الأمانة العلمية:

أ. الأمانة:

أولاً- في اللغة:

يعودُ معنى الأمانة في اللغة إلى الجذر "أَمَنَ" الذي يأتي بمعانٍ متعدّدةٍ، منها:

1. ضدُّ الخيانة: "الهمزةُ والميمُ والنونُ أصلانِ مُتقاربانِ: أحدهما الأمانةُ التي هي ضدُّ الخيانة، ومعناها سُكُونُ القَلْبِ، وَالْآخِرُ التَّصَدِيقُ، والمعنيانِ كما قلنا مُتدانيانِ"¹.

2. الأَمْنُ والأمان: وهذا المعنى نقيضُ الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: 11]²، و"الأمانُ والأمانةُ بمعنى، وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ، وأَمَنْتُ غيري، من الأَمْنِ والأمان"³.

3. التصديق: فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: 17] أي: مُصَدِّقٍ لنا، ولم يَخْتَلِفْ أَهْلُ التفسيرِ على ذلك⁴، وقال بعضُ أَهْلِ العلمِ: إِنَّ "المُؤْمِنَ" في صفاتِ الله تعالى هو أن يَصْدُقَ ما وَعَدَ عَبْدُهُ مِنَ الثوابِ⁵.

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/133، (أمن)، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1176، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 13/21، (أمن).

2 انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 5/2071، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 13/21، (أمن).

3 الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 5/2071، (أمن).

4 ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/135، (أمن)، وابن منظور، لسان العرب، 13/21، (أمن)، وانظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، 13/34.

5 ابن فارس، مقاييس اللغة، 1/135، (أمن).

ثانيًا- في الاصطلاح:

- قيل في تعريف الأمانة اصطلاحًا: "هي كل حقٍ لزمك أدائه وحفظه"¹.
- وذكر بعض المفسرين أنَّ الأمانة في الاصطلاح القرآني على ثلاثة أوجه:
- أحدها: الفرائض، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27]، أي: تُضَيِّعُوا فرائضكم، وقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72].
 - والثاني: الوديعة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8].
 - والثالث: العِفة، منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصاص: 26]².

ب. العلمية:

كلمة "العلمية" في اللغة: منسوبةٌ إلى العلم، والعلمُ في اللغة: نقيضُ الجهل³، وتقدم تعريفه في مادة العلم لغة واصطلاحًا، ولعلَّ أبرز التعريفات الاصطلاحية للعلم أنه: إدراكُ الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراكُ ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء⁴.

1 المناوي، فيض القدير، 223/1.

2 ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: 597 هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، 1404 هـ - 1984 م، ص 104، 105.

3 ابن فارس، مقاييس اللغة، 4/110، (علم)، وابن منظور، لسان العرب، 12/417، (علم).

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580، (علم).

ج. الأمانة العلمية:

أما الأمانة العلمية: فهي التزام نقل النصوص كما هي من مصادرها، من دون زيادة، أو نقصان، أو تحريف، أو تبديل في نصوصها أو معانيها، والتجرد في فهمها، وتوثيقها بنسبتها إلى أصحابها¹.

فالباحث العلمي لا بدَّ له - في جزءٍ من دراسته - أن يعتمد على مجهودات الآخرين، ويستفيد منها، والأمانة العلمية خُلِقَ من الأخلاقيات العلمية؛ تقتضي منه أن يوثق هذه النقول والمجهودات من مصادرها، وينسبها إلى أصحابها.

أهمية الأمانة العلمية:

تأتي أهمية الأمانة العلمية من أمورٍ عدةٍ، أهمها:

1. أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها:

وذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: 283]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]، وهذه الآية عامةٌ في كل أمانة، ومنها الأمانة العلمية، يقابله نهي عن الخيانة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27].

1 المرعشلي، يوسف، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2003م، ص 77.

2. أمر النبي ﷺ بأداء الأمانة:

قال رسول الله ﷺ: "إِدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّيَمَّنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ"¹، أي: لا تعامله بمعاملته، ولا تقابل خيانتته بخيانتك؛ فتكون مثله². وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "أخبرني أبو سفيان أَنَّ هِرْقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعِفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ"³.

3. حفظ الأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين:

ومما يؤكد أهمية الأمانة أنها صفة بارزة من صفات الأنبياء والمرسلين، وقد وصف الله بها أنبياءه، ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام حين سقى لابنتي الرجل الصالح، وكان معهما عفيقًا أمنيًا قالت إحداهما: ﴿يَتَأَبَّتُ اسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، وقال تعالى على لسان سيدنا هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 68]، وقال على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 107]. وكان سيدنا محمد ﷺ معروفًا بالصدق والأمانة حتى قبل بعثته، ففي قصة بناء الكعبة المذكورة في كتب السيرة والحديث أن القبائل تنازعت فيمن يضع الحجر الأسود عندما وصلوا إليه،

1 أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 3534، 290/3، والترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 1264، 556/3.

2 المناوي، فيض القدير، 223/1.

3 البخاري، الجامع الصحيح، رقم الحديث: 2681، 180/3.

فَاتَّفَقُوا أَنْ يَحْكُمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ ﷺ هُوَ أَوَّلُ دَاخِلٍ، فَقَالُوا عَنْهُ:
هَذَا مُحَمَّدٌ، هَذَا الصَّادِقُ الْأَمِينُ، فَحَكَّمُوهُ¹.

4. حفظ الأمانة من صفات المؤمنين الصادقين:

قال تعالى في صفات المفلحين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8]، وهذه الآية تشمل كلَّ أمانة: بين الإنسان وربه، أو بينه وبين الآدميين، فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على الإنسان حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار والعلوم وغيرها. قال ﷺ: "وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ"²، فالمؤمن الحق هو من اتصفَ بحفظ الأمانة تجاه الخلق كما في الحديث.

5. تعظيم الله تعالى لشأن الأمانة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، فعظَّم الله تعالى شأنَ الأمانة؛ التي هي امتثالُ الأوامر واجتنابُ المحارم، في حال السرِّ والعلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، فإذا قام بها المؤمن وأداها على وجهها، كتب له الثواب، وإن لم يقم بها ولم يؤدِّها استحق العقاب.

1 بخرق، محمد بن عمر، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق محمد غسان عزقول، دار المنهاج، جدة، 1419هـ، ص 119، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 197/1.

2 الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: 2627، 17/5، والنسائي، سنن النسائي، رقم الحديث: 4995، 104/8.

6. الأمانة العلمية تحفظ حقوق الناس الفكرية وجهودهم الشخصية من السرقة والضياع:

فكما أنَّ صونَ الأمانة بشكل عام يحفظ أموال الناس وأملاكهم وأعراضهم؛ فإن الأمانة العلمية تحفظ للباحثين والمفكرين والمثقفين جهودهم وخبراتهم وإبداعهم، وتعزز من مصداقية البحث العلمي وترفع من شأنه، وتشجع على الإبداع والابتكار، وتطور العلم والمعرفة، مما يضمن التقدم المستدام للمعارف والعلوم؛ حيث إن الأمانة العلمية تشعر المثقفين بقيمة أعمالهم ورفعة مجهوداتهم، وتحفزهم على التواصل في مجال العلم والمعرفة.

صور من الأمانة العلمية:

الأمانة العلمية ليست وليدة عصرنا الحالي، بل إن العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا أشد الناس حفظاً لها، ومن الأمثلة والشواهد على ذلك:

الحديث النبوي الشريف:

ومن أبرز أمثلة الأمانة العلمية عند العلماء: منهجهم في نقل الحديث الشريف؛ الذين برعوا وتميزوا به، فقد حصر العلماء طرقَ الأخذِ للحديث وتلقيه عن الرواة بثماني طرق، وذلك من أجل ضبط نقل الحديث؛ بحيث لا يكون فيه زيادة لا نقصان ولا تغيير، ويمكن تلخيص هذه الطرق فيما يأتي:

1. السماع: وهو الوسيلة التي تلقى الحديث بواسطتها رعيلاً المحدثين الأوائل عن النبي ﷺ، ثم روه بها للناس أيضاً، فلا غرو أن يعتبر أعلى مراتب التلقي للحديث، وأرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين من المحدثين وغيرهم، والعمدة في هذا القسم على سماع لفظ الشيخ، وذلك قد يكون بمجرد سرده للحديث، وقد يكون إملاء، سواء كان من حفظه أو بالقراءة من كتابه، فكل ذلك سماع عند المحدثين.
2. العرض: سلك المحدثون هذا الطريق بعد أن انتشر التدوين، وأصبحت كتابة الحديث أمراً شائعاً، ومعنى العرض عندهم: القراءة على الشيخ من حفظ القارئ، أو من كتاب بين يديه، وهو طريق صحيح في تلقي الحديث، والرواية به سائغة بالإجماع.
3. الإجازة: وهي إذن المحدث للطالب أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً أو كتباً من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه، كأن يقول له: أجزتك أو أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري، أو كتاب الإيمان من صحيح مسلم، فيروي عنه بموجب ذلك من غير أن يسمعه منه أو يقرأه عليه، وقد أجاز الرواية بها جمهور العلماء، من أهل الحديث وغيرهم.
4. المناولة: ومعنى المناولة عند المحدثين أن يعطي الشيخ للتلميذ كتاباً أو صحيفة ليرويها عنه.
5. المكاتبه: وهي أن يكتب المحدث إلى الطالب شيئاً من حديثه ويبعثه إليه.
6. الإعلام: وهو إعلام الراوي للطالب أن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه من فلان، من غير أن يأذن له في روايته عنه.

7. الوصية: الوصية وسيلة ضعيفة من طرق التحمل، وهي: أن يوصي المحيِّث لشخص أن تُدفع له كتبه عند موته أو سفره.
8. الوجدادة: وهي: أن يجد المرء حديثًا أو كتابًا بخط شخص بإسناده، فله أن يروي عنه على سبيل الحكاية فيقول: "وجدت عن فلان: حدثنا فلان..."، أما روايته بـ "حدثنا" أو "أخبرنا" أو نحو ذلك مما يدل على اتصال السند؛ فلا يجوز إطلاقاً¹.

الكتب والتصانيف:

يقف الناظر في كتب أهل العلم على لطائف والتفاتات تظهر مدى دقتهم في النقل والعزو، وعنايتهم في تمثُّل الأمانة العلمية ونسبة العلم إلى أهله، ومن الشواهد على ذلك:

1. قال المزني في مختصره: "بابُ الطهارة. (قال الشَّافِعِيُّ): قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48]"². قال الإمام السيوطي - رحمه الله - معلِّقًا ومبينًا لدقَّة المزني في أمانة النقل: "أفما كان المزني رأى هذه الآية في المصحف، فينقلها منه بدون عزوها إلى إمامه؟ قال العلماء: إنما صنع ذلك؛ لأن الافتتاح بها من نظام الشافعي

1 انظر: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت: 643 هـ)، معرفة أنواع علوم الحديث = مقدمة ابن الصلاح، أبو عمرو، تحقيق عبد اللطيف الهميم، ماهر الفحل، دار الكتب العلمية، 1423 هـ، ص 177.

2 المزني، إسماعيل بن يحيى المزني (ت: 264 هـ)، مختصر المزني، تحقيق عبد الله شرف الدين الداغستاني، دار مدارج للنشر - الرياض، 1440 هـ - 2019 م، 2 مج، 93/8.

لا من نظامه"¹. فمن دقة المزني رحمه الله ومن أمانته في نقل العلم أنه نسب ذكر الآية إلى الإمام الشافعي؛ مع أنها آية قرآنية، و متاح لكل مصنف أن يدرجها في كتابه، وليست رأياً فقهياً.

2. وقد نقل الإمام السيوطي عن إمام الحرمين والرافعي وغيرهم أنهم كانوا إذا نقلوا شيئاً لم يقفوا على أصله الأول قالوا: "وفي كتاب فلان عن كتاب فلان"².

3. ويقول السيوطي أيضاً: "وكان الحافظ ابن حجر يعلم طلبته إذا نقلوا حديثاً أورده لهم أو أثراً أن يقولوا: (رواه فلان أو خرج فلان بإفادة شيخنا ابن حجر)؛ كل ذلك حرصاً على أداء الأمانة، وتجنب الخيانة، فإنها بنست البطانة"³.

4. وفي كتاب "المزهر" ذكر الإمام السيوطي فصلاً بعنوان: "فصل: ومن بركة العلم وشكره عزّوه إلى قائله"⁴، قال السيوطي: "قال عبد الغني بن سعيد: لما وصل كتابي إلى عبد الله الحاكم أجابني بالشكر عليه، وذكر أنه أملاه على الناس، وضمن كتابه إليّ الاعتراف بالفائدة، وأنه لا يذكرها إلا عني، وأن أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم حدّثهم قال:

1 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ)، الفارق بين المصنف والسارق، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1958م، ص35.

2 السابق، ص35، 36.

3 السيوطي، الفارق بين المصنف والسارق، ص41.

4 انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، 1418هـ 1998م، 2 مج، 273/2، وهذا المعنى ذكره ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 922/2.

حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: سمعتُ أبا عبيد يقول: مِنْ شُكْرِ العلم أن تستفيد الشيء، فإذا ذكر لك قلت: خفي عليّ كذا وكذا، ولم يكن لي به علم؛ حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا، فهذا شكر العلم. انتهى" ¹.

5. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: (مِنْ شُكْرِ الْعِلْمِ أَنْ تَقْعَدَ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ، فَيَذْكُرُونَ شَيْئًا لَا تُحَسِّنُهُ فَتَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَقْعَدَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ؛ فَيَذْكُرُونَ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ فَتَقُولَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ؛ حَتَّى سَمِعْتُ فَلَانًا يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَتَعَلَّمْتَهُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ شَكَرْتَ الْعِلْمَ) ². قال الحافظ السيوطي معقبًا على ذلك: (ولهذا لا تراني أذكرُ في شيء من تصانيفي حرفًا إلا معزوًّا إلى قائله من العلماء، مبينًا كتابه الذي ذَكَرَ فيه) ³.

1 السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 273/2.

2 الداوودي، محمّد بن عليّ بن أحمد (ت: 945 هـ)، طبقاتُ المفسِّرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2 مج، 41/2.

3 السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 273/2.

صور معاصرة للأمانة العلمية:

وعلى هذه الصور للأمانة العلمية سار كثير من أهل العلم المعاصرين، كما برزت صور متعددة جديدة تهدف إلى ضبط قيمة الأمانة العلمية، تمثلت في حفظ:

1. براءات الاختراع والابتكار والإبداع:

والتي تعني حماية حقوق المخترعين والمبتكرين والمبدعين في أي مجال من مجالات العلوم، وأن لهم الحق الحصري في استثمارها وتقديم منفعتها للناس، لا يجوز التعدي عليها، بنسبتها لغيرهم.

2. حقوق المؤلف:

والتي تعني حفظ الجهد الذهني والعلمي والفكري الذي يبذله الكتاب في تأليف كتبهم، وكتابة أبحاثهم ومقالاتهم وبرامجهم، وحفظ حقوقها لهم، ونسبتها إليهم؛ فإن ذلك من شأنه أن يدفعهم على استدامة المعرفة، والاستزادة من تقديم العلم ونشره بين الناس، ويلحق بهذا حقوق الطباعة والبحث العلمي.

3. الحقوق الرقمية:

وتتجلى في حماية الحقوق الفكرية الرقمية على مختلف مواقع الشبكة العنكبوتية (النت)، العلمية وغيرها؛ سواء كانت نصية أم صورية أم برمجية، وذلك بعدم نسخها أو توزيعها أو نشرها أو الاقتباس منها من دون إذن أصحابها، أو من دون نسبتها إليهم.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة صدرت مجموعة من التشريعات والقوانين التي تخص الملكية الفكرية، ومن شأنها حماية المصنفات الفكرية وأصحابها وحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مثل: قانون اتحادي رقم (40) لسنة 1992 في شأن حماية المصنفات الفكرية وحقوق المؤلف¹، ومرسوم بقانون اتحادي رقم (38) لسنة 2021 بشأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة²، ونحو ذلك من تشريعات الملكية الفكرية³ التي تقدم الحماية لمؤلفي المصنفات وأصحاب الحقوق المجاورة، وبوجه خاص المصنفات الآتية:

1. الكتب والكتيبات والمقالات وغيرها من المصنفات المكتوبة.
2. التطبيقات الذكية وبرامج الحاسب الآلي وتطبيقاتها، وقواعد البيانات، وما يماثلها من مصنفات.
3. المحاضرات والخطب والمواعظ الشفوية والمكتوبة والمصنفات الأخرى التي لها طبيعة مماثلة
4. المصنفات التمثيلية والمصنفات التمثيلية الموسيقية والتمثيل الصامت.
5. المصنفات الموسيقية المصحوبة وغير المصحوبة بكلمات.
6. المصنفات السمعية أو البصرية أو السمعية البصرية.

1 انظر: نص القانون، المنظمة العالمية للملكية الفكرية wipo.

2 انظر: الملكية الفكرية، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

3 انظر: تشريعات الملكية الفكرية، موقع وزارة الاقتصاد.

أنواع الأمانة العلمية:

تتمثل الأمانة العلمية في ثلاثة أنواع:

1. الأمانة في تَلَقِّي العلم وأخذه:

تتمثل في الالتزام بتلقي المعرفة من مصادر موثوقة وأمانة ومعتزف بها، وعدم الاكتفاء بالمعلومات السطحية أو المشوّهة، مما يحتم على طالب العلم والباحث أن يكون دقيقاً في انتقاء المصادر التي يعتمد عليها، والعلماء الذين يأخذ عنهم، ساعياً لتوسيع آفاقه العلمية بالاستناد إلى الأبحاث والدراسات المثبتة والموثوقة، كما يراعي طالب العلم أخذ العلم بالتدرج؛ حتى يستوعبه ويُلِم بجميع أطرافه، وذلك من أمانة التلقي في العلم، فإن "تلقيين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرّج، شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا؛ يُلقَى عليه أولاً مسائل من كل باب في الفن هي أصول ذلك الباب، ويقربُ له في شرحها على سبيل الإجمال، ويُراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يُورَدُ عليه؛ حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكةٌ في ذلك العلم"¹.

2. الأمانة في النقل:

وتتجلى في نقل المعلومات بطريقة دقيقة وأمانة، مع الإشارة إلى المصادر الأصلية وتوثيقها بشكل صحيح، تحتّم على الباحث تجنّب التحريف أو

1 ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808 هـ)، المقدمة، تحقيق أ. د علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط7، 2014م، 3 مج، ص 531-532.

الاقتباس من غير ذكر المصدر، والحرص على نقل الأفكار كما هي دون زيادة أو نقصان؛ بما يحفظ حقوق أصحابها ويعزز مصداقية العمل العلمي، قال العلماء: "من بَرَكَه العلم وشُكره عَزَّوهُ إلى قائله"¹.

3. الأمانة في تقديم الأفكار:

من خلال عرضها بشكل موضوعي ونزيه، بعيداً عن التحيز، فعلى الباحث والكاتب أن لا ينقل إلا ما يجيده ويتقنه، ويكون له ملكة فيه، وأن يعرض وجهات النظر المختلفة بشفافية، وأن يقدم تحليلاً منصفاً مدعماً بالأدلة والبراهين، وينقدها نقداً إيجابياً بناءً، ويسعى دائماً لتحقيق الإضافة الحقيقية للمعرفة والعلم.

ضوابط الأمانة العلمية ومظاهرها:

وهي المعايير والإرشادات الهادفة إلى ضمان النزاهة والدِّقَّة في البحث العلمي، والتي يتوجب على العالم والباحث وطالب العلم مراعاتها، ومن أبرزها:

1. الاقتباس الصحيح:

وذلك بالنقل الصحيح والدقيق للنصوص والأفكار من مصادرها الأصلية، والإشارة إلى هذه المصادر بشكل واضح، مع استخدام علامات الاقتباس عند نقل النصوص حرفياً.

1 ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، 229/2، والسيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 132/2.

إن الموضوعية هي صفة فكرية ومهارة ذهنية ولياقة نفسية، تمكّن صاحبها من التجرّد عن المؤثرات الداخلية والخارجية، وتعطيه القدرة على التزام الحياد الذي يحمله على الاعتدال والإنصاف في المحاكمات الذهنية والتصورات العقلية والانفعالات النفسية، ثم استخلاص النتائج وإصدار الأحكام واتخاذ القرارات والتزام السلوكات بناء على ذلك. من هنا كانت الموضوعية قيمة أصيلة في البحث والمعرفة والتعاملات الإنسانية؛ حيث تسهم في تحقيق الدقّة وتيسير الحقائق وبلوغ الصواب؛ من خلال فهم أعمق وأوضح للحقائق والظواهر، يعين في التوصل إلى علم دقيق ومعرفة موثوقة.

وإن تعزيز هذه القيمة يستدعي وعياً مستداماً والتزاماً دقيقاً بآلياتها ومبادئها، مع التمسك بركائزها والانضباط بضوابطها؛ مما يعزز الموثوقية ومصداقية الأحكام، ويسهم في بناء مجتمع أكثر توازناً وإنصافاً.

6. الحصول على الموافقات المسبقة:

فمن الأمانة العلمية طلب الموافقات - على نشر الاستبيانات، والاستفادة من المعلومات - من أصحابها، أو من الجهات الرسمية المخوّلة بمنحها، وذلك قبل البدء في البحث.

7. الالتزام بمعايير النشر العلمي:

المتعارف عليها في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية، والبحثية، ودور النشر، وغيرها، بما في ذلك عمليات المراجعة والتصحيح والتعديل المطلوبة من الجهات العلمية والبحثية قبل النشر.

فوائد الأمانة العلمية وثمراتها:

للأمانة العلمية ثمرات جليلة، ومنافع عظيمة، من أبرزها:

1. تعزيز المصداقية العلمية:

تسهم الأمانة العلمية في تعزيز مصداقية الباحثين والأكاديميين، مما يكسبهم احترام المجتمع العلمي والجمهور، ويزيد الثقة بين الباحثين والجمهور من طلبة العلم وغيرهم، فيتلقَّون علومهم وأبحاثهم بطمأنينة وثقة، فتعمَّ فائدتها ويعظم أثرها بينهم.

2. تطوير المعرفة واستمرارها واستدامتها:

فمن خلال الاعتراف بمصادر الأفكار والمعلومات؛ يتمكن الباحثون من بناء أعمالهم على أسس متينة، مما يسهم في تطوير المعرفة والعلم بشكل مستدام، ويشعر الباحثين بالحافز على مواصلة مسيرتهم العلمية والفكرية؛ الذي يؤدي إلى رفع مستوى التعليم والبحث.

3. التشجيع على الإبداع والابتكار:

فحفظ الحقوق الفكرية يشجع العلماء والباحثين والمفكرين وأصحاب العقول المبدعة والأقلام المبتكرة على المزيد من عرض أفكارهم الاستثنائية، وإفادة المجتمع بها.

4. تعزيز التعاون العلمي:

فالالتزام بالأمانة العلمية يبني الثقة بين المثقفين والعلماء والباحثين، ويعزز روح التعاون فيما بينهم، في جميع المجالات وكافة الصّعد، ويعمل على إثراء حركة البحث العلمي؛ من خلال تبادل الأفكار والمعرفة بشكل نزيه وشفاف.

5. رفع جودة البحث العلمي:

فالأمانة العلميةثمر أبحاثاً ذات جودة عالية، تعتمد التوثيق، والدقة، والنزاهة في التحليل.

6. تحقيق الإنصاف:

فالأمانة العلمية تضمن إنصاف العلماء والباحثين؛ من خلال الاعتراف بجهودهم، ونسبة الفضل إليهم، وذلك يعزز مناخًا من النزاهة والشفافية، ويشجع على تلاقي الأفكار، والمزيد من تبادل العلوم والمعارف.

7. ترسيخ الأخلاق العلمية:

فإن من أعظم ما تثمره الأمانة العلمية، تعزيز الأخلاق العلمية في الأوساط العلمية، وترسيخها بين الطلاب والباحثين، ونقلها إلى الأجيال وترسيخها في سلوكهم العلمي والبحثي.

8. منع الانتحال والسرقة العلمية:

فالأمانة العلمية عامل رئيس في الحفاظ على المملكة الفكرية، للباحثين والكتّاب، وحماية البحث العلمي عمومًا من السرقة والانتحال.



خاتمة:

الأمانة العلمية قيمة عليا، وواجب أخلاقي، وهي سبب رئيس في موثوقية العلم والمعرفة، وضمانة حقيقية لحفظ حقوق العلماء والباحثين والمفكرين، ومحرك رئيس يشجعهم على الابتكار والإبداع، فمن خلالها نستطيع بناء مجتمع علمي مزدهر؛ يعتمد المصداقية والنزاهة والشفافية في تلقّيه ونقله وتناوله، كما أن الأمانة العلمية تسهم في تعزيز التعاون بين العلماء، ورفع جودة الأبحاث العلمية، وتحقيق الإنصاف بين الباحثين، فالحرص عليها واجب إيماني، وأخلاقي، وعلمي؛ لتحقيق تقدّم علمي، وازدهار بحثي فائق ومستدام.





فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

7	مقدمة
11	مقدمة العلامة عبد الله بن بيّه
21	الفصل الأول: الأسس النظرية للقيم
23	مدخل إلى فهم القيم: تعريف القيم، وفلسفتها، وتصنيفاتها
23	مقدمة
24	تعريف القيم
33	مفهوم القيم وفلسفتها وخصائصها
45	أبعاد القيمة وعناصرها
46	أهمية القيم للفرد والمجتمع
46	أهمية القيم للفرد
47	أهمية القيم للمجتمع
50	تصنيف القيم
55	الفصل الثاني: القيم الكبرى في الإسلام
57	منظومة القيم التي أكَّدها الإسلام
65	القيم المركزية الكبرى في الإسلام

65	القيمة المركزية الأولى: (الرحمة)
67	الرحمة
103	الإحسان
131	الرفق
153	العطاء
189	الرأفة والعطف
209	التعاون والتضامن
231	القيمة المركزية الثانية: (السلام)
233	السلام
263	الكرامة الإنسانية
285	الأخوة الإنسانية والتسامح والتعايش
321	التواصل والتعارف والاحترام
337	العدل والاعتدال
361	القيمة المركزية الثالثة: (العلم)
363	العلم
423	الاجتهاد والتفكير والتفكير
453	الصدق
471	الأمانة العلمية
493	فهرس المحتويات



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

نبذة عن الكتاب

يتعرف القارئ في هذا الكتاب على القيم الكبرى في الإسلام، المتمثلة بقيم مركزية ست، هي: (الرحمة والسلام والعلم والحكمة وتهذيب النفس والمواطنة)، وما يتفرع عنها من أهم القيم، التي تسهم في إبراز الصورة الحضارية الناصعة للإسلام المتأسس على القيم، والهادف إلى تحقيق السعادة للعالمين. ليدرك القارئ أن هذا الكتاب هو بمنزلة دليل استرشادي سيكون له عظيم الأثر في تيسير سبل التواصل بين الثقافات المعاصرة، بما يسهم في إيجاد تفاهم عالمي حول القيم المشتركة وتفعيلها، وحفظ الإنسان، ويستديم العمران.

ISBN 9789948706410



9 789948 706410



mbzuh



MBZ university for humanities



mbzuh.ac.ae